الحصاد

AL-HASAD Issue No:180 / September 2026 | العدد ١٨٠ / أيلول ٢٠٢٦ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

ترامب رهنها بالتطبيع والرياض تسقط الشروط

النووي الأميركي ـ السعودي: الصفقة المفاجئة

الحصاد

AL-HASAD

العدد ١٨٠- أيلول ٢٠٢٦. Issue No: 180 - September 2026

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:
إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:
د. مازن الرمضاني
أمين الغفاري

المدير الفني:
حسين حمّود

ثمن النسخة :
٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :
٣٠ جنيهاً سترلينياً

لإعلاناتكم على صفحات «الحصاد»

E-mail: hussein@hhammoud.com

"Al-Hasad" Head Office:

Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

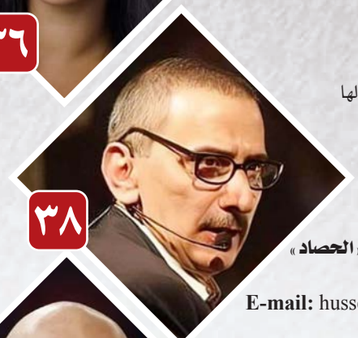

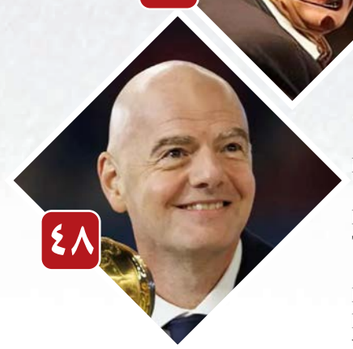

في هذا العدد ص

موضوع الغلاف ٤
النووي الأميركي ـ السعودي: الصفقة المفاجئة

مستقبلات ٢٤
اليابان: مدخلات القوة والضعف في حاضر المستقبل

قضايا أدبية ٢٨
الهوية السعودية اليوم هي مشروعٌ يصنع المستقبل

إضاءات ٤٤
مشروع قانون المحاماة ومشكل الثقة بين الحكومة والمحامين

رياضة ٤٨
إغراءات المال تهدد مسابقات الفيفا

كلمة «الحصاد»

سلام يا صاحبي

نبحث عن السلام، نشتاقه، نتأمل صفاته، أناس يعيشون في بقاع الأرض،،يسعون لإيفاء إلتزاماتهم المعيشية البسيطة، لا يعتدون على أحد ولا أحد يعتدي عليهم.

يتجاورون ولا يفرض أحدهم وجوده على الأخر ولا يُعتدى عليهم، يتجاورون ولا يفرض أحدهم إسلوب حياته على ألآخرين، يمرون على بعض ولسانهم يقول (سلام ياصاحبي)، ويعود كلٌ إلى عائلته، بيته ،قريته، مدينته، وطنه، ثم يخلدون لنومٍ لا تزعزه جيوش هادرة ولا قنابل عنقودية أو ذرية أو غيرها، فهل هذا كثير؟

يقولون لي أنت تحلمين! فأقول لمَ لا؟ ألم يبدأ كلُّ إنجازٍ بشريٍ منذ بدء الخليقة بحلم ؟ وهل صنع الإنسان ما صنعه إلا بعد أن حلمَ وترجم حلمه إلى حقيقة؟

فتعالوا معي نحلم، وعسى أن يتلقف جيلٌ جديد هذا الحلم ويترجمونه إلى حقيقة واقعة.

في خضمّ المعارك التي تعاني منها البشرية، شرقها وغربها شمالها وجنوبها، يبقى الأمل الركيزة التي تستند عليها الشعوب لتحقق أمنها وسلامها وحريتها.

لا أحب المقارنة كثيراً ولكن ،،، كيف يحق لشعوب أن تعيش بسلام وأمان ولا يحق لغيرها؟

كيف يحق لساكن البيت الأبيض الأمريكي أن يسمح بإبادة الشعب الفلسطيني وتستمر المجازر لثلاث سنوات وما زالت مستمرة ولا يحق للشعب الفلسطيني أن يدافع عن أرضه وعرضه وأولاده وأمنه؟ كيف يحق لإسرائيل إجتياح ثلث ألأرض اللبنانية وجنوب سوريا والضفةالغربية بما فيها بيت المقدس وكنيسة القيامه وقتل أو تهجير كل من ليس يهودياً ولايحق لأهل الدار الدفاع عن أنفسهم أو حتى الشكوى من هذه الجرائم؟

وكيف يحق لدول أن تتسلح لأم رأسها بكل الأسلحة بما فيها (ألقنابل الذرية) ولا يُسمح لأخرى أن تمتلك مفاعلات نووية وان كانت لأغراض سلمية؟

ويقولون، هذه أمور واقعية! وديمقراطية! وضد الإرهاب!! ويبقى الحلم العربي «أمة تحب الحياة»، ومن حقها أن تكون نداً لكل شعوب العالم.

فلنحلم، ولنبدأ السلّم من أوله بالخطوة الأولى في الصعود ولا نتراجع مهما كان الثمن. ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وان كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:
www.alhasad.co.uk

النووي الأميركي ـ السعودي: الصفقة المفاجئة

لندن: محمد قواص*

لا يُقرأ الاتفاق النووي المدني بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية، الذي وُقّع في 22 تموز (يوليو) 2026، كصفقة تقنية عابرة، ولا كمجرد تعاون في مجال الطاقة النووية السلمية. هو حدث مؤسس يعيد صياغة معادلات القوة في الشرق الأوسط، ويفتح الباب أمام مرحلة جديدة من التوازنات الإقليمية، حيث تصبح الرياض طرفا قادرا على فرض شروطه حتى في ملفات سيادية حساسة مثل البرنامج النووي.

والاتفاق، المعروف رسميا باسم «اتفاقية 123»، لا يعكس فقط تقاطعا في المصالح الاقتصادية والاستراتيجية بين البلدين، بل يكشف عن تحوّل عميق في فلسفة واشنطن تجاه الانتشار النووي، وعن صعود السعودية كلاعب إقليمي قادر على المناورة بين القوى الدولية الكبرى. لم يعد السؤال حول ما إذا كانت السعودية ستدخل العصر النووي، بل حول كيف ستغير هذه الخطوة خريطة النفوذ والردع في منطقة مضطربة أصلا.

تخصيب تحت الإشراف الأميركي

تتميز الاتفاقية بخصائص نوعية تميزها عن سابقاتها في المنطقة. فهي تسمح للشركات الأميركية ببناء مفاعلات نووية مدنية في السعودية، وتفتح الباب، بعد دراسة مشتركة تستغرق عامين، أمام إمكانية إقامة منشأة لتخصيب اليورانيوم داخل الأراضي السعودية بمشاركة أميركية. وتمتد الشراكة لعقود، بقيمة تقدر بعشرات المليارات من الدولارات، وتخضع لرقابة أميركية مباشرة تحول دون أي استخدام عسكري.

يحول بند التخصيب الاتفاق من إطار تقني إلى نقطة تحول استراتيجية. في الأدبيات النووية، يشكل التخصيب الخط الفاصل بين الاستخدام السلمي والقدرة العسكرية الكامنة. فالدول التي تمتلك دورة وقود نووي كاملة، حتى لو لأغراض مدنية، تقترب نظريا من «عتبة السلاح». ولذلك، فإن السماح للسعودية بإمكانية التخصيب ولو تحت إشراف أميركي، حتى لو نفى الرئيس الأميركي دونال ترامب لحسابات داخلية ذلك، يمثل سابقة في السياسة الأميركية الحديثة، التي لطالما سعت إلى تقييد هذا الخيار لدى حلفائها.

هنا يكمن جوهر الصفقة: فواشنطن لم تمنح الرياض مجرد مفاعلات، بل منحتها إمكانية امتلاك المعرفة والسيطرة الصناعية على جزء من دورة الوقود النووي. وهذا ما لم يحصل حتى مع حلفاء مقربين مثل الإمارات، التي وقّعت اتفاق 2009 وفق (المعيار الذهبي) الذي يحظر التخصيب بالكامل.

ولي العهد السعودي: إذا امتلكت إيران «النووي» سنحصل عليه أيضا

طهران: إزدواجية معايير ضدنا

لماذا تنازلت واشنطن؟

يسعى الباحثون إلى الاهتداء إلى جواب على السؤال: لماذا قبلت الولايات المتحدة بما رفضته سابقا؟ الإجابة لا تكمن في سبب واحد، بل في تشابك ثلاثة عوامل حاسمة.

أولا، المنافسة الدولية على النفوذ. كانت السعودية أمام خيارات متعددة، بينها عروض من الصين وروسيا وفرنسا. وفي عالم يتجه نحو تعددية قطبية، لم يعد بالإمكان فرض الشروط الأميركية التقليدية دون ثمن. فدخول الصين أو روسيا إلى هذا الملف لا يعني فقط خسارة عقود بمليارات الدولارات، بل فقدان واشنطن لورقة نفوذ استراتيجية في منطقة حساسة.

ثانيا، إنقاذ الصناعة النووية الأميركية. تعاني الصناعة النووية الأميركية منذ سنوات من تراجع القدرة التنافسية أمام الصين وروسيا. فبينما تبني موسكو وبكين مفاعلات في دول مختلفة بشروط مغرية، تراجعت الحصة الأميركية في السوق النووية العالمية بشكل ملحوظ. وتمثل هذه الصفقة فرصة لإعادة إحياء القطاع، عبر عقود بمليارات الدولارات، وتأمين وظائف، وتعزيز صادرات التكنولوجيا النظيفة.

ثالثا، إعادة تثبيت التحالف مع الرياض. بعد سنوات من التوتر النسبي، تسعى واشنطن إلى إعادة ترسيخ شراكتها مع السعودية، ليس فقط كحليف نفطي، بل كركيزة في الأمن الإقليمي وموازنة النفوذ الإيراني والصيني. وفي وقت تتصاعد فيه المخاوف من تمدد النفوذ الصيني في الخليج، تصبح الشراكة النووية مع الرياض وسيلة لضمان بقاء واشنطن في قلب المعادلة الأمنية الإقليمية.

بالنسبة للرياض، تأتي الصفقة في سياق رؤية 2030، التي تهدف إلى تنويع الاقتصاد وتقليل الاعتماد على النفط. غير أن البعد الاقتصادي لا يختزل دوافع المملكة.

يمنح البرنامج النووي السعودية ثلاثة مكاسب استراتيجية:

-1 أمن طاقي طويل الأمد، في ظل تزايد الطلب المحلي على الطاقة.

إسرائيل قلقة وتتجنب الصدام مع الرياض

الموقف السعودي: لا تطبيع بدون مسار لاقامة دولة فلسطينية

-2 نقل تكنولوجيا متقدمة وبناء قاعدة صناعية جديدة، ما يعزز القدرات الوطنية ويخلق فرص عمل في قطاعات متطورة.

-3 هامش ردع استراتيجي غير معلن، في بيئة إقليمية مضطربة.

وفي خلفية الصفقة تظل التصريحات السابقة لولي العهد محمد بن سلمان، حول احتمال السعي لامتلاك سلاح نووي إذا امتلكته إيران، حاضرة. فحتى لو كان البرنامج مدنيا بالكامل، فإن امتلاك قدرات تخصيب يضع المملكة في موقع مختلف تماما على خريطة القوة الإقليمية.

ويلفت خبراء في شؤون المنطقة إلى ملاحظة مهمة مفادها أن السعودية لم تعد تكتفي بدور "الحليف التابع"، بل أصبحت طرفا قادرا على التفاوض بفرض شروطه، حتى مع أقوى دولة في العالم. هذا التحول يعكس نضجا في الدبلوماسية السعودية، وقدرة على المناورة بين القوى الدولية لتحقيق مصالح وطنية عليا.

غياب «المعيار الذهبي»

تختلف الاتفاقية عن «المعيار الذهبي» الذي وقّعته الإمارات مع الولايات المتحدة عام 2009، والذي يحظر التخصيب المحلي وإعادة معالجة الوقود المستهلك. ولا تتضمن الصفقة السعودية البروتوكول الإضافي للوكالة الدولية للطاقة الذرية. ويسمح البروتوكول الإضافي عادة لمفتشي الوكالة بالدخول إلى مواقع غير معلنة، وأخذ عينات بيئية من أي مكان، والحصول على معلومات أوسع عن دورة الوقود النووي بأكملها، وإجراء عمليات تفتيش قصيرة الإخطار أو حتى مفاجئة نسبياً.

وفق مصادر أميركية، فإن رفض البروتوكول كان ضرورياً لإقناع السعودية بالاختيار الأميركي بدلاً من العروض الصينية أو الروسية أو الفرنسية. يأتي هذا الغياب متزامناً مع بند آخر في الصفقة يسمح للسعودية، بعد دراسة مشتركة أميركية–سعودية تستغرق عامين، ببناء منشأة لتخصيب اليورانيوم داخل أراضيها بمشاركة شركات أميركية. غياب البروتوكول يعني مستوى أقل من الشفافية الدولية، مما يثير مخاوف جدية لدى بعض أعضاء الكونغرس الأميركي وخبراء عدم الانتشار وإسرائيل.

وأحد أكثر عناصر الاتفاق إثارة للجدل هو غياب شرطين أساسيين في منظومة عدم الانتشار: حظر التخصيب المحلي، وتوقيع البروتوكول الإضافي للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

يعني هذا الغياب أن مستوى الشفافية الدولية سيكون أقل مما هو معمول به في حالات مشابهة، ويمنح السعودية مرونة أكبر في إدارة برنامجها. ومن منظور أميركي، يبدو هذا التنازل ثمنا ضروريا لمنع دخول الصين أو روسيا إلى هذا الملف. ففي مفاوضات استمرت سنوات، كانت الرياض مصرة على الاحتفاظ بحق التخصيب، ورفضت أي قيود من شأنها أن تجعلها أقل سيادة من جيرانها.

أما من منظور المنتقدين (لا سيما في إسرائيل)، فهو سابقة خطيرة قد تفتح الباب أمام مطالب مماثلة من دول أخرى. وهنا تكمن المفارقة: واشنطن، التي كانت تقود جهود الحد من الانتشار، أصبحت تقبل استثناءات عندما »

الصفقة تسمح للسعودية بالتخصيب دون مراقبة الوكالة الدولية

يتعلق الأمر بحلفائها.

قلق إسرائيل

لم تعلن إسرائيل معارضة صريحة للصفقة، لكنها عبرت عبر تسريبات ومواقف غير مباشرة عن قلقها العميق، خصوصا من بند التخصيب. تاريخيا، اعتمدت إسرائيل على تفوق نوعي في المجال النووي، مع حرص شديد على منع أي دولة في المنطقة من امتلاك قدرات مماثلة. ولذلك، فإن منح السعودية هذا الهامش،حتى لو تحت رقابة، يمثل تحديا لهذا التفوق.

غير أن الموقف الإسرائيلي معقد، إذ يتقاطع مع مسار التطبيع. فواشنطن حاولت ربط الصفقة بانضمام الرياض إلى "اتفاقيات إبراهيم"، وهو ما اعتبرته إيران دليلا على الطابع السياسي للاتفاق. لكن السعودية، وفق المعطيات، رفضت إدخال هذا الشرط ضمن الاتفاق، ما يعكس تمسكها بفصل المسارات وعدم ربط الملفات السيادية بمقايضات سياسية مباشرة.

في الوقت نفسه، تدرك إسرائيل أن معارضة الصفقة علانية قد تضر بعلاقاتها مع الرياض، التي تأمل إسرائيل أن تشهد تحسنا تدريجيا. ولذلك، يبدو أن الموقف الرسمي سيظل محكوما بحسابات دقيقة توازن بين القلق الأمني والفرص الدبلوماسية.

القراءة الإيرانية

في طهران، لم يُقرأ الاتفاق كصفقة طاقة، بل كتحول جيوسياسي موجه ضدها. الخطاب الإيراني ركز على ثلاث نقاط رئيسية شكلت جوهر القراءة الإيرانية للحدث:

أولا، ازدواجية المعايير الأميركية. فمن منظور إيراني، تمنح واشنطن الرياض ما كانت ترفضه لطهران. فبينما تخضع إيران لعقوبات صارمة وقيود مشددة على برنامجها النووي، وتواجه تهديدات عسكرية متكررة لمنشآتها، تُمنح السعودية مساراً أكثر مرونة دون "المعيار الذهبي". ويعزز هذا التباين الرواية الإيرانية القائلة إن القضية ليست الانتشار النووي بحد ذاته، بل الاصطفاف الجيوسياسي لمكافأة الحلفاء ومعاقبة الخصوم.

ثانيا، محاولة بناء محور إقليمي يضم إسرائيل والخليج. ترى طهران أن الاتفاق جزء من استراتيجية أميركية أوسع تهدف إلى عزل إيران وتعزيز التحالفات المعادية لها. وربط ترامب الصفقة بالتطبيع مع إسرائيل يعزز هذه القراءة، إذ يجعل من القدرات النووية أداة جيوسياسية لشراء التطبيع، وليس مجرد تعاون في مجال الطاقة المدنية.

ثالثا، خطر سباق تسلح نووي في المنطقة. حذر الإعلام الإيراني والمتشددون في طهران من أن الاتفاق قد يدفع دولاً أخرى مثل مصر وتركيا والإمارات إلى السعي لقدرات مشابهة، ما يقوض أي جهود للحد من التسلح ويدفع المنطقة نحو عدم استقرار أعمق.

وتستند إيران في موقفها إلى مقارنة واضحة: بينما تخضع لقيود صارمة وضغوط وعقوبات بسبب برنامجها النووي، يُسمح للسعودية بمسار مشابه دون الالتزام بالمعايير نفسها. هذا الواقع يمنح طهران ورقة تفاوضية قوية، يمكن استخدامها للمطالبة بحقها في التخصيب، أو لتبرير أي تشدد مستقبلي في المفاوضات. بل إن بعض التحليلات الإيرانية تذهب أبعد، معتبرة أن الصفقة تعني فشل سياسة "الصبر الاستراتيجي" الإيرانية، التي اعتمدت على الانتظار والدبلوماسية، وتقترح أن الانخراط الذكي قد يكون أكثر فعالية من المواجهة المستمرة.

في هذا السياق، يبرز تصريح وزير الداخلية الإيراني علي زيني وند، الذي حذر من أنه "إذا بدأ سباق تسلح في المنطقة، فإن أيدينا أكثر حرية من الجميع". وتحمل هذه العبارة دلالات واضحة على أن إيران تمتلك معرفة نووية متراكمة وخبرة تقنية، وأنه رغم العقوبات، فإن قدراتها قد تتفوق على غيرها إذا دخلت المنطقة في سباق مفتوح.

وتنقل المصادر الإيرانية عن محللين مقربين من السلطة تساؤلات حول ما إذا كان القادة الإيرانيون ما زالوا يتصرفون بحسن نية تجاه أميركا والوكالة الدولية للطاقة الذرية، في ظل هجمات وتهديدات أميركية لمنشآت نووية إيرانية. ويعكس هذا الخطاب حالة من الإحباط المتزايد، وشعورا بأن الصبر الاستراتيجي لم يعد يجدي في مواجهة ما تراه طهران نفاقا أميركيا صارخا.

وتضيف مصادر دبلوماسية إيرانية أن الأمر يمنح طهران حجة قوية مفادها أنه إذا كان التخصيب مقبولا للسعودية، فلماذا يحرم على إيران؟ ما يعزز التشدد الإيراني في أي محادثات، ويجعل التنازلات أصعب، خاصة أن طهران تعتبر برنامجها حقا سياديا سلميا.

الخوف من سباق نووي

يتمثل القلق الأكبر الذي يطرحه الاتفاق في احتمال انتقاله من حالة استثنائية إلى نموذج قابل للتكرار. فإذا حصلت السعودية على برنامج نووي مع إمكانية تخصيب، فإن دولا مثل مصر، التي وقّعت اتفاقات نووية مع روسيا، قد تسعى لمراجعة شروطها. وتركيا، التي طورت برنامجها النووي المدني، قد تطالب بمعاملة مماثلة. والإمارات، رغم التزامها بـ "المعيار الذهبي"، قد تعيد النظر في سياستها إذا تغيرت المعادلة الإقليمية.

ويعني هذا السيناريو الانتقال من إلى "شرق أوسط متعدد القدرات النووية" قد ينافس قدرات إسرائيل النووية "المكتومة"، وهو تحول جذري في بنية الأمن الإقليمي. غير أن هذا الاحتمال ليس حتميا. فالكلفة التقنية والسياسية لمثل هذه البرامج لا تزال مرتفعة، كما أن الرقابة الأميركية قد تبقى عاملا كابحا.

وتبرز هنا ثلاثة سيناريوهات:

-الأول، بقاء الصفقة حالة استثنائية، محصورة في إطار الشراكة الأميركية–السعودية، دون أن تنتقل إلى دول أخرى.

-الثاني، انتقال النموذج إلى دولة أو دولتين أخريين، ما يخلق توازنا نوويا جديدا في المنطقة. الثالث، انهيار المنظومة التقليدية لعدم الانتشار، ودخول المنطقة في سباق نووي مفتوح.

-الثالث هو الأكثر ترجيحا إذا استمرت واشنطن في سياساتها الانتقائية. وترى طهران أن أي سباق تسلح سيعطيها ميزة نسبية، نظرا لتراكم الخبرة النووية رغم عقود من العقوبات.

*صحافي وكاتب سياسي

النص الكامل على موقعنا الإلكتروني

معن بشور*

تصميم الحاخام ورد الأمة

حين يؤكد حاخام صفد الصهيوني صموئيل الياهو على تصميمه مع جماعته على إقامة كنيس صهيوني في باحة المسجد الأقصى قريبا، لا يكشف مشروعا صهيونيا قديما تجاه المسجد الأقصى فحسب. ولا يكشف أهدافا صهيونية تجاه تهويد الاقصى يمهدون لها بشكل دائم عبر الاقتحامات الصهيونية للاقصى المبارك فقط، بل يعلن أيضا ان كيانه الغاصب لم يعد يجد من يمنعه عن إقامة مشروعه القديم الجديد.

إن هذا الاعلان الاستفزازي الجديد والخطير يجب أن لا يمر دون وقفة عربية واسلامية واممية تظهر مقاومة جدية عبر تحركات شعبية ورسمية توحد مسلمي العالم في تحرك ضخم لا يقل عن توحيد الموقف للإجهاز على هذا الحلم الصهيوني القديم الجديد.

واذا كنا في الحركة الشعبية العربية والإسلامية مدعويين إلى الوحدة لمواجهة مخاطر هذا المشروع متجاوزين كل ما بيننا من خلافات وصراعات. فان دولنا العربية والإسلامية بشكل خاص مدعوة إلى تجاوز كل ما بينها من خلافات وصراعات وبناء آليات عمل مشتركة عربية واسلامية لمجابهة هذا المشروع الصهيوني الخطير، لاسيما عبر توسيع مجموعة مكة التي تضم السعودية وتركيا وباكستان لتضم كل الدول العربية والإسلامية وفي مقدمها مصر وايران وإندونيسيا والجزائر ودول غرب أفريقيا واثيوبيا باسم مجموعة القدس التي تسعى لتحقيق أهداف مؤسسة بيت مال القدس الشريف الرسمية التي انشاتها القمة الاسلامية وتراسها ملك المغرب بعد حريق الاقصى عام 1968 والتي تتراسها منذ عقود المملكة المغربية دون نتائج ملموسة. ولعل المعركة التاريخية التي تعيشها فلسطين اليوم والتي عاصمتها القدس الشريف ويشارك فيها لبنان واليمن والعراق وصولا إلى ايران في «المجابهة الكبرى» هي الاطار الأفضل لخوض معركة الدفاع عن القدس الشريف وفلسطين الغالية بكل مقدساتها.

□■□

من وحي زيارة الوزيرة الصهيونية إلى المغرب

■ وانا اتابع صور التنديد الشعبي المغربي بزيارة وزيرة النقل الصهيونية إلى المغرب في طائرة إسرائيلية تهبط في مطار مدينة مراكش التي يرشحها الصهاينة لان تكون المركز الثاني لحائط المبكى بعد المسجد الأقصى في القدس.. تذكرت مسيرة في اوائل عام 2007 دعاني اليها المناضل المغربي الكبير المحامي خالد السفياني، رئيس المؤتمر العربي العام الان، للمشاركة فيها امام البرلمان المغربي، وكان شعارها «فلسطين أمانة والتطبيع خيانة».

وبقي هذا الشعار الذي يختصر جوهر المعركة التي يخوضها اليوم احرار امتنا العربية والإسلامية والعالم حاضراً في ذهني، فيما يخوض المقاومون في فلسطين ولبنان واليمن والعراق وايران معارك ميدانية وشعبية لاسقاط مؤامرة التطبيع مع الكيان الغاصب.

تذكرت اليوم ذلك الشعار الذي يختصر جوهر المواجهة التي نخوضها في مشرقنا العربي والفلسطيني ، وكم شعرت بالاعتزاز وانا استمع اليوم إلى الأخ العزيز المناضل الميداني المميز الدكنور احمد ويحمان رئيس المركز المغربي لمناهضة التطبيع في المغرب ، والعضو البارز في المؤتمر القومي العربي، في مقابلة لقناة الميادين الغراء تعليقاً على زيارة الوزيرة الصهيونية إلى بلاده... وادركت مجدداً كم هو واهم ذاك العدو الذي ظن انه بانتزاع توقيع حاكم من هنا او هناك قادر ان ينهي صراع وجود بين أصحاب الأرض ومغتصبيها.

بل أدركت ان الصراع الذي اعتقد أعداء امتنا انهم قادرون على محوه دون اعادة الحق لأصحابه والأرض لاهلها هو صراع مستمر مهما توغل الأعداء في اجرامهم ، ما دام في امتنا مقاومون ، وفي العالم احرار ينتصرون للحق ، مهما خيم ظلام التفريط والتخاذل ... والله على ما اقول شهيد.

□■□

دعوة لتوحيد جهود الأمّة وأحرار العالم ضد الاعتداءات الصهيونية

■ عقدت الحملة الأهلية لنصرة فلسطين وقضايا الأمّة اجتماعها الأسبوعي في جامع «كفتارو» في بيروت، بدعوة من حركة الأمّة وبحضور منسق الحملة معن بشور وممثل حركة الأمّة الشيخ محمد العمري والشيخ عبد الله إشراقية ومقرر الحملة د. ناصر حيدر، والأعضاء ممثلي الأحزاب والقوى والجمعيات وفصائل المقاومة الفلسطينية.

توقف المجتمعون أمام الصمود الأسطوري للمقاومة الإسلامية في جنوب لبنان أمام العدوان الصهيوني المتمادي داخل ما يسميه "بالخط الأخضر" وبعده، لاسيّما في تلة علي الطاهر حيث أبلت المقاومة بلاء حسنا لمواجهة العدو وحققت صموداً كبيراً أمام قواته التي أرادت أن تحقق للعدو انتصاراً يعزز وضع نتنياهو وجماعته في الانتخابات القادمة في الشهر المقبل.. ورأت الحملة أن صمود المقاومة المتلازم مع إصرار العدو على استمرار احتلاله لأراضٍ في جبل عامل، يشير إلى أن هذا العدو لا يفهم إلا لغة المقاومة، وهو ما يجب أن تدركه السلطة اللبنانية التي انجرفت إلى تفاوض عقيم مع العدو الصهيوني.

ودعا المجتمعون السلطة إلى مراجعة سياستها والعودة إلى الخيار التاريخي للشعب والجيش والمقاومة القائم منذ أكثر من عقدين ونيف وهو خيار «شعب وجيش ومقاومة».

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

هل تكون لغة المصالح أقوى من الثوابت السياسية؟

القاهرة: صفاء عزب*

«إن وجود برنامج نووي مدني في السعودية سيقود إلى سباق محموم للتسلح في مختلف أنحاء الشرق الأوسط»، «هذا الاتفاق يعد تنازلاً كبيراً لصالح السعودية، ولن يؤدي إلا إلى تعزيز طموحات إيران، كما أنه لن يفضي إلا إلى مزيد من زعزعة الاستقرار في المنطقة، إنها سياسة ليست حكيمة».

تصريحان أولهما عبر وسائل التواصل لعضو الكنيست الإسرائيلي ووزير الدفاع السابق أفيغدور ليبرمان، والثاني لعضو مجلس النواب الأمريكي عن الحزب الديمقراطي، رو خانا، ممثل ولاية كاليفورنيا.

ويعكس التصريحان حالة من القلق والخوف الذي أثاره الإعلان عن اتفاق نووي بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين المملكة العربية السعودية خاصة في الأوساط المنحازة للكيان الصهيوني وكذلك بين السياسيين الإسرائيليين الذين يتوجسون خيفة من أن يؤدي ذلك إلى أن تتحول السعودية إلى تهديد نووي جديد في المنطقة، وهو ما لم يثير اتفاق سابق مماثل بين الولايات المتحدة الأمريكية ودولة الإمارات العربية عام 2009. وذلك لاختلاف اتفاق الإمارات عن الاتفاق الأمريكي السعودي الذي بموجبه يمنح ترامب السعودية ما كانت تسعى إليه من دون أن يحصل في المقابل على أي تنازلات لصالح إسرائيل، كما أنه لم يتضمن «المعيار الذهبي» الذي يمنع السعودية من تخصيب اليورانيوم ومعالجة الوقود النووي المستنفد، وهما مساران يمكنانها من إنتاج مواد تستخدم في صنع رأس حربي نووي.

كما لا يتضمن الاتفاق «البروتوكول الإضافي» الذي يفرض رقابة دولية أوسع حيث أن مسودة الاتفاق لا تلزم المملكة السعودية بتبني اتفاقية قياسية معززة للضمانات الدولية مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ولذلك يثور القلق الإسرائيلي وربما الإقليمي من هذا الاتفاق.

في المقابل يرى الطرف الأمريكي مكاسب عدة في اتفاقه مع المملكة السعودية وهو ما أكده وزير الطاقة الأمريكي، كريس رايت، الذي يرى أن الاتفاق سيسهم في تعزيز الاقتصاد الأمريكي وتقوية الأمن القومي، وأنه "سيلتزم بأعلى معايير السلامة النووية ومنع الانتشار النووي" دون أن يوضح أية تفاصيل.

من جهة أخرى أثار الاتفاق قلقا وجدلا كبيرا بين أعضاء الكونجرس خاصة فيما يتعلق بإمكانية التخصيب وإعادة المعالجة داخل المملكة، فضلًا عن غياب التزام معزز من جانب الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

بينما قال السفير الأمريكي لدى الأمم المتحدة، مايك والتز أن مبادئ الصفقة قائمة، "لكننا نجري محادثات مع السعوديين بشأن تطبيع العلاقات مع إسرائيل"، مؤكدًا أن الصفقة لن تُنفذ بالكامل إلا بعد حدوث التطبيع.

إصرار سعودي وتحول استراتيجي أمريكي

ومن ثم نحن أمام اتفاق له خصوصية، يختلف عن سابقه مع الإمارات الذي فرض عليها الرقابة الدولية من جانب الوكالة الدولية للطاقة الذرية، والتخلي عن التخصيب وإعادة المعالجة، وهو ما لم يحدث في اتفاق السعودية.

كما أن الاتفاق السعودي الأمريكي له خصوصية أيضا في التوقيت بالتوازي مع مجريات الأحداث الساخنة في الشرق الأوسط وعلى رأسها الصراع العسكري والسياسي المتوازي بين إيران وأمريكا والذي اشتعل أساسا بسبب البرنامج النووي الإيراني.

كما أن هذا الاتفاق يمثل تحولا استراتيجيا تاريخيا يمنح الرياض مزايا تفوق غير مسبوقة، مقابل تحقيق مكاسب جيوسياسية واقتصادية لواشنطن، لكنه يظل محاطاً بضغوط سياسية إقليمية تشكل تحديات كبيرة له. وهو يعكس استمرارا في التحول الكبير في سياسة إدارة ترمب الخارجية بالانخراط في الشرق الأوسط بعد أن كان رافعا شعار أمريكا أولا، فلم يكتف

بالدخول في حرب شرسة غير مضمونة العواقب في مواجهة إيران، بل يتجه لإبرام صفقات إقليمية نحو مزيد من توطيد العلاقات مع الحلفاء الإقليميين دون الالتفات لأثر ذلك على استفزاز المشاعر الإسرائيلية أو إثارة حالة من السباق النووي في المنطقة خاصة لو دخلت أطراف أخرى تطالب باتفاق مماثل.

كما يأتي هذا الاتفاق بعد ثماني سنوات من تصريح لولي العهد محمد بن سلمان بأنه إذا طوّرت إيران أسلحة نووية، فينبغي أن يُسمح للسعودية بتطويرها أيضاً. ومن ثم فإن هذا الاتفاق يعد تتويجا لمرحلة طويلة من التخطيط والإصرار السعودي على الدخول إلى عصر استخدام الطاقة النووية.

ولكنه في نفس الوقت يثير تساؤلات عديدة عن انعكاساته على التوازنات في الشرق الأوسط ومنطقة الخليج، وكذلك على استقرار المنطقة. كما تثور تساؤلات حول النتائج المترتبة عليه والمسؤوليات أو التنازلات التي يمكن أن يقدمها كل من الطرف الأمريكي والسعودي لاستمرار هذا الاتفاق في ظل التحديات الكبيرة التي تواجهه. ويبقى السؤال الأكثر إلحاحا هل تتحول السعودية إلى دولة نووية بالمعنى الشامل وتصبح الدولة الأكبر عسكريا واقتصاديا في المنطقة؟

اتفاقية 123

في أواخر شهر يوليو الماضي أعلنت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية التوصل إلى اتفاق للتعاون النووي تبلغ قيمته مليارات الدولارات، يمتد لثلاثين عاما إستنادا إلى المادة 123 من قانون الطاقة الذرية الأمريكي لعام 1954 وهو الاتفاق الذي جاء تتويجا للمفاوضات الأمريكية السعودية في أكتوبر 2025، والذي تأخر إعلانه بسبب الحرب الدائرة مع إيران، وفقا لمصادر إعلامية غربية. وتعد المادة 123 هي الإطار القانوني للتعاون في مجال الطاقة النووية السلمية بين الولايات المتحدة ودول أخرى، ويجب أن يُرسل هذا الإتفاق إلى الكونجرس للمراجعة، وفق القانون الفيدرالي الذي ينص على قيام البيت الأبيض بذلك فور توقيعه.

يذكر أن تخصيب اليورانيوم وإعادة معالجة البلوتونيوم هما المساران الرئيسيان لإنتاج المادة الأساسية اللازمة لصنع الأسلحة النووية. ولا تُنتج معظم الدول التي تتطلب مفاعلاتها النووية المدنية اليورانيوم المخصب محليًا، بل تشتريه من موردين كالولايات المتحدة أو روسيا، وتستلمه في شحنات مُغلقة تحت إشراف دولي صارم. ومع ذلك فإن تقارير إعلامية أمريكية كشفت أن بند تخصيب اليورانيوم داخل السعودية وفق هذا الاتفاق يتضمن شروطا تفرضها الولايات المتحدة لكن تفاصيل القيود المحتملة لم تتضح بعد.

كما كشفت شبكة CNN وفق مصادرها، أن الإدارة الأمريكية وافقت مبدئيًا على السماح للمملكة العربية السعودية بتخصيب اليورانيوم دون تفعيل الضمانات الدولية الرامية إلى منع تطوير الأسلحة النووية، وأن مسودة الاتفاقية لا تُلزم السعودية أيضًا بتبني اتفاقية قياسية مُعززة للضمانات النووية مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، والمعروفة باسم البروتوكول الإضافي، وذلك وفقًا لطلب إعفاء قدمته الإدارة الأمريكية إلى الكونجرس العام الماضي، ورسالة من وزارة الخارجية الأمريكية إلى المشرعين في مايو الماضي.

وأمام المخاوف التي أثارها الإعلان عن هذا الاتفاق كتب ترمب منشورا على وسائل التواصل الاجتماعي قال فيه إن الاتفاق النووي مشروط بانضمام السعودية إلى الاتفاقيات الإبراهيمية، لكنه لم يوضح ما إذا كان هذا الشرط منصوصاً عليه في نص الاتفاق أم إذا كانت السعودية قد وافقت عليه، أو إذا كانت ستكون مُلزمة بالانضمام إلى تلك الاتفاقيات. ومن ثم فلازالت هناك أمور معلقة وغير محسومة.

أما أبرز بنود الاتفاق فتشمل:

-1 تخصيب اليورانيوم؛ حيث تتيح الاتفاقية للمملكة العربية السعودية إمكانية تخصيبه على أراضيها لتلبية احتياجاتها من الطاقة.

-2 بناء منشأة التخصيب داخل المملكة، ويتولى بناءها الجانب الأمريكي دون نقل التكنولوجيا الحساسة مباشرة إليها.

-3 مشاركة الشركات الأمريكية الكبرى في تزويد السعودية بالخبرات والتقنيات اللازمة لبناء وتطوير برنامجها النووي.

-4 تشكيل لجنة تقييم؛ مكونة من فريق مشترك من البلدين لدراسة الجدوى التجارية قبل بدء أي عمليات تخصيب.

مكاسب وتحديات

لقد جاء هذا الاتفاق بعد مرور عام على توقيع اتفاقية الدفاع الاستراتيجي المشترك بين المملكة السعودية وباكستان، كما تلاه بأيام قليلة اتفاق أحدث هزة كبيرة على صعيد الشرق الأوسط؛ وهو الاتفاق الثلاثي بين المملكة وتركيا وباكستان والذي اعتبره البعض بمثابة نواة لناتو إسلامي جديد، على اعتبار أن الدول الثلاث أقطاب دولية إسلامية كبيرة.

تعد المملكة السعودية من الدول الكبرى في المنطقة وتحظى بمكانة سياسية واقتصادية رفيعة، كما تتمتع بنفوذ عسكري بدا واضحا في تعاملها مع الأزمة اليمنية؛ إذن فلماذا اتجهت إلى التعاون النووي مع أكبر قوة عسكرية وسياسية في العالم؟ ومالذي يعود عليها؟ كذلك ما الدافع وراء تحمس الولايات المتحدة الأمريكية لإبرام هذا الاتفاق ببنوده الاستثنائية في سابقة تاريخية دون خشية رد الفعل الإسرائيلي؟!

إذن لابد وأن هناك مكاسب كبيرة ينشدها الطرفان من جراء هذا الاتفاق رغم التحديات المواجهة له، فما هي؟

بالنسبة للمملكة العربية السعودية فقد نجحت في تحقيق مكاسب سيادية وتكنولوجية من هذا الاتفاق متمثلة في تجاوز ما يعرف بـ"المعيار الذهبي" بعدم توقيعها على البند القياسي الملزم للدول بالتخلي عن حق تخصيب اليورانيوم محليا، ما يعني إمكانية قيامها بتطوير الأمر نحو إنتاج الوقود النووي على أرضها مستقبلا. كما خلت الاتفاقية مما يلزم السعودية بتبني البروتوكول الإضافي الخاص بإتاحة الفرصة للوكالة الدولية للطاقة الذرية لرقابة النشاط النووي للمملكة، وهو ما يمنحها قدرا كبيرا من المرونة السيادية لم يتح لغيرها من قبل. ويضاف إلى ذلك استفادة المملكة من فرصة تطوير البنية التحتية التي يتطلبها هذا النشاط من بناء مفاعلات متطورة بدعم من شركات أمريكية عملاقة وتعظيم استفادتها الاقتصادية من مخزوناتها الهائلة من اليورانيوم والبالغ تقريبا 90 ألف طن متري، بما يسهم في توليد الكهرباء وتحلية المياه وتنويع مصادر الطاقة.

أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فقد أقدمت على اتفاقها النووي مع السعودية لأهداف استراتيجية واقتصادية؛ فهي من ناحية تريد إنعاش الاقتصاد وتقليص مشكلة البطالة لديها؛ حيث يتيح الاتفاق تدفق مليارات الدولارات إلى قطاع الطاقة التكنولوجي الأمريكي وخلق آلاف الفرص الوظيفية عالية الأجر، ومن ناحية أخرى تحرص على قطع الطريق على منافستيها الكبيرتين وربما في الشرق؛ وهما الصين وروسيا والعمل على حسم استبعادهما من المنافسة بعد أن كانوا يحاولون تقديم عروض بديلة للمملكة لبناء مفاعلات نووية.

ورغم تلاقي إرادتي الطرفين واتفاقهما حول بنود الاتفاقية، إلا أنه تظل هناك تحديات كبيرة تهدد استكمال هذا الاتفاق أو ربما تؤجل تنفيذه على أرض الواقع وهي كالتالي:

أولا: تحديات نابعة من مواقف الطرفين وثوابتهما التاريخية. فمن المعروف دعم الولايات المتحدة اللامحدود لدولة الاحتلال الإسرائيلي وحرصها على فتح طريق التطبيع أمامها مع مختلف الدول العربية. وفي المقابل هناك موقف ثابت للمملكة السعودية مفاده رفض الحديث عن أي تطبيع قبل إيجاد خارطة طريق قابلة للتنفيذ لإقامة دولة فلسطينية، ومن ثم فإن اشتراط ترمب انضمام السعودية للاتفاقيات الإبراهيمية لتفعيل الاتفاق النووي بشكل نهائي يكون بمثابة وضع العقدة في المنشار في ظل تمسك المملكة بموقفها الثابت.

ثانيا: تحديات نابعة من القلق الإسرائيلي الشديد من هذا الاتفاق ومحاولات بعض الصقور الإسرائيلية للضغط على الطرف الأمريكي لإفساد وإفشال تنفيذه على أرض الواقع حتى مع احتمالات النجاح في التطبيع الرسمي مع المملكة كثمن للاتفاق، وذلك خشية فقدان التفوق الاستراتيجي المطلق في المنطقة.

ثالثا: تحديات نابعة من اعتراضات داخل الإدارة الأمريكية نفسها والمعركة التي يتوقع أن يخوضها ترمب مع أعضاء الكونجرس لإقناعهم بتمرير الاتفاق والموافقة عليه، في ظل تحفظات ومخاوف كبيرة أبداها نواب ديمقراطيون من هذا الاتفاق الذي يرونه بداية لسباق تسلح نووي في الشرق الأوسط في ظل ما أسموه بالتنازلات التكنولوجية التي تقدمها الولايات المتحدة.

انتصار كبير للدبلوماسية السعودية

على مدار ثماني سنوات منذ أعلن بن سلمان عن رغبة بلاده في التوجه للطاقة النووية السلمية، انتظرت السعودية الفرصة السانحة لتحقيق هذا الحلم بظهور شخصية ترمب البراجماتية على الساحة السياسية الأمريكية فهو شخصية ليس لديها أية مبادئ ولا ثوابت ولايعرف إلا لغة المصالح والمكاسب الاقتصادية بالدرجة الأولى، ومن ثم نجحت المملكة في استغلال ذلك وتحقيق هذه الخطوة التي تأجل الإعلان عنها عاماً كاملاً بسبب ظروف حرب إيران. ولكن رغم نجاح المملكة في فرض شروطها السيادية ومفهومها للأمن القومي، فإنها تواجه ضغطا سياسيا كبيرا من إدارة ترمب الذي يحاول صياغة نظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط، وهو ما بشكل تحديا كبيرا أمام تحقق الحلم السعودي.

ولكن ذكاء الإدارة السعودية بدا في الإعلان عن اتفاق مكة بعد أيام قليلة من الإعلان عن اتفاقها النووي مع الولايات المتحدة مما أدى إلى تعزيز موقفها التفاوضي والاستراتيجي في مواجهة الكونجرس الأمريكي وإثبات قدرتها كحليف قوي للولايات المتحدة قادر على بناء منظومة أمن واستقرار ذاتي دون الاعتماد المطلق وبما يكسر من مسألة الانفراد الأمريكي العسكري بالتفاصيل الإقليمية. كما أن اتفاق مكة للدفاع المشترك مع تركيا وباكستان يكمل ما بدأته الرياض مع واشنطن، ببناء طبقات أمنية متعددة لمواجهة أي تراجع يمكن أن يحدث في الموثوقية الأمريكية، كما يمكنها من تنويع مصادر القوة والدعم اللوجيستي والعسكري المتبادل، وتعزيز الردع الذاتي والإقليمي في مواجهة التوترات التي تشهدها المنطقة.

وعلينا أن ننتظر ما ستسفر عنه قرارات الكونجرس تجاه هذا القرار، ليبقى السؤال مثارا عمن يبدأ بالتنازل من الطرفين؛ هل السعودية أم الولايات المتحدة؟!

هذا ما تكشفه الأيام المقبلة. ■

* كاتبة وصحافية مصرية

وجهة نظر

من يقطع رأس مونتسكيو؟

البروفسور
نسيم الخوري*

يعجز بل يستحيل على اللبنانيين وعددهم ٥ ملايين تحقيق ملامح وحدتهم المُهدّدة أبداً فوق 10452 كلم مربع هي مساحة وطنهم المدموغ ب 99 حزبا و31 الف جمعية إلى 700 جمعية جديدة في كل عام. ماذا أسميها غير البقعة الجميلة المتشظية بالصراعات المذهبية وأحلام الجغرافيا المستحيلة.

أكتب في عتمة باتت تشتهي المصباح لم نفقد أحلامنا بلغة العرب اللذين لطالما أدمنوا علامات استفهامنا وتعجبنا وأراهم يتقاطرون مجدداً نحونا بما يفرحني ان أُطرّز هذه الإستهلالية للإفصاح قانوناً بما لا نعثر عليه في أي دولة في العالم:

تصوّروا أن هذه التشظيات دفعت الألسن والأذهان ان تسميه لا وطنا بـ: الساحة اللبنانية والساحات بل الشوارع اللبنانية.

استقصيت الأمر متأكّداً عطفاً على: «نظام العلم والخبر في قوانين تأسيس الجمعيات والأحزاب» أن لا للمبالغة قط توصيفاً لوطن جميل بالساحات والجماعات والطوائف والمذاهب بصيغ تتكرّر في الإعلام وعلى ألسنة السياسيين والطوائف والمذاهب بصيغ مستعصية بل مستحيلة الجمع في مسارٍ وطني متآلف.

لماذا؟

لأنه بمجرد إجتماع مجموعة لبنانيين ثمّ تكليف محامٍ المضي بتقديم ملف علم وخبر يُسجّل في وزارة الداخلية يتضمّن إخراجات قيد وسير المؤسسين المجتمعين مع نص الوثيقة السياسية للتجمع وفيها المبادئ والأهداف والإصلاحات التي يتطلع المجتمعون لتحقيقها، يمكن الحصول ببساطة على «العلم والخبر» بالموافقة على منحهم الترخيص الذي يمنحهم حقوق توزيع

المراتب والصلاحيات وعقد الاجتماعات الأسبوعية أو الدورية وزيارة المسؤولين الرسميين والسفارات وإصدار البيانات عبر وسائل الإعلام وإقامة المهرجانات والمشاركة فيها مع أحزاب أخرى والتعبير عن مواقفهم عبر وسائل الإعلام في وطنٍ غمرته محيطات وسائل الإعلام لا بحورها ثم المشاركة في الترشح للانتخابات البرلمانية ونقد اقتراحات القوانين والمناصب والوزارات إذ تُفتح الأبواب على مصراعيها للحريات السياسية التي لا حدود لها وتفتقر أحياناً إلى لجمها بالألف واللام.

المشهد العام ينسف هوامش قوانين الحريات، لكنه يثير بالمقابل تساؤلات عميقة تتمطّى حول مخاطر انعكاس هذه التعددية بما يحول دون حتى التفكير ببناء الدولة الديمقراطية المعاصرة.

أكتب هذا صارخاً بجروحي لا بالحبر في وطن أنهكته الحروب

وتداخلت في شؤونه تأثيرات معظم إن لم نقل جميع المراجع والقوى الإقليمية والدولية التي لا فسحات لتعدادها اذ تتكرّر المشاهد والأزمات السياسية كي لا نقول الحروب والمنازعات المذهبية المقيتة،لكأن لبناننا وأجيالنا ينتظرون ببلاهة وعجزٍ بلوغ عصر حلم خيالي من الاستقرار السياسي والاجتماع والإنساني.

للتاريخ، قضى الاجتماع الأول للبرلمان بعد اتفاق الطائف بتعيين الرئيس رينيه معوض رئيساً للجمهورية واغتيل رحمه الله بعد 17 يوماً قرب وزارة الاعلام ليتسلّم الرئيس الياس الهراوي رحمه الله الجمهورية وتُصدر حكومة الطائف الأولى برئاسة الدكتور سليم الحص المرسوم رقم 1 بتعيين الجنرال إميل لحّود قائداً للجيش ثمّ المرسوم الثاني رقم 55 تاريخ 1990/2/3 بتعييني في مجلس إدارة تلفزيون لبنان، الأمر الذي «رماني» فجأةً في قلب جمهورية الطائف منذ 35 سنة فوجدت نفسي أحد مؤسسي «هيئة الدفاع الوطني» ومن مهماتي الأولى تسلّم تلفزيون الحازمية بأعقاب رحيل الجنرال ميشال عون نحو باريس لأُتابع مع ٤ من قادة الجيش ومعاونيهم الذين تسلّموا رئاسة الجمهورية اللبنانية أقصد: إميل لحود وميشال سليمان وميشال عون وجوزاف عون بعد تسلمهم تباعاً قيادة للجيش اللبناني.

هذا التاريخ يعني لديّ كتاباً غنياً حافلاً بما لا يمكن تصوره من أسرار واحداث حمت هيبة المكانة الوطنية التي حظي ويحظى وسيحظى بها الجيش اللبناني الذي يتطلّع إليه اللبنانيون اليوم، بوصفه المؤسسة الجامعة التي تضم الجميع بعيداً من الانقسامات الهائلة العاصفة بالحياة السياسية، مع اليقين أن هذه المؤسسة والجمهورية عينها لا ولم تسلم حتى اليوم من التجاذبات السياسية والإعلامية والتهور والنقد إذ بات المنشور في وسائل التواصل والإعلام يتجاوز أبسط الأعراف المتبعة في معظم دول العالم، إذ تُعامل الجيوش بوصفها المؤسسات الدفاعية الجامعة المنصهرة بعيداً من الانقسامات والتجاذبات المحلية والمستوردة.

للإعلام في لبنان، للغرابة، حرّيات مطلقة بلا ألف ولام ، وخصوصاً في زمن الإستباحات في التفكير والتعبير واشتعال الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي المباحة والمستباحة، والذي كنت من الساهرين أبداً في غلوائه ومعصياته أستاذا ومديراً لكليّة الإعلام في لبنان ومسؤولاً في الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات البرلمانية في لبنان.

خرّجنا أجيالاً من الإعلاميين بات فيهم وزيرات وزراء للإعلام الذي يفترض أن يكونوا جواهر السلطة الرابعة، فإذا بها سلطات لا متناهية تشهد تحولات وعقد ومشادات لا حدود لها ولا ضوابط خصوصا عبر توسع الفضائيات والمنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي.

هكذا بدت حرية التعبير في الساحات والشاشات عارية نهائياً من دون الألف واللام لكأن الإعلام هي السلطة السائبة الأولى الأشد تأثيراً في توجيه النقاشات والجبال بما يستحيل ضبطه عبر ساحات نعم ساحات التواصل كما تسمّى في لبنان.

يطلّون على الشاشات وينشرون النصوص والأسرار الصحيحة والمختلقة صارخين بالساحة والساحات اللبنانية.

للتاريخ. كان الفيلسوف مونتسكيو أرسيى مسألة توازن السلطات بوصفه ضمانة الديمقراطية، لكن الواقع اللبناني أدمن معتبرا الإعلام هو السلاح الأمضى وبات بحرياته الرقمية خارج أسوار القوانين ، ولهذا موضوع بحث طويل منفصل، إذ أصبح لاعبًا رئيسا يتجاوز بتأثيره المؤسسات الدستورية والسلطات المتفرعة عنها.

لا يعني ما ورد، رغبة التقليل من قيم حرية التعبير التي كانت من أبرز سمات لبنان، لكنها باتت كغيرها من الحريات تحتاج بإلحاح إلى مسؤوليات وضوابط مهنية وأخلاقية. ليس هناك من حريات سائبة بلا حدود في الحرية والتعبير والتحرير تعميقاً للانقسام المقيت وإضعاف الثقة بمقدرات الدولة. وليس أخطر من أن يتمكّن الإعلاميون يتباهون بقطع رأس مونتسكيو القائل بالنظام الديمقراطي واضعاً الإعلام في المرتبة الرابعة لتغدو اللاديمقراطية والإستباحة نظاماً، والانقسام ثقافة، والاستثناء قاعدة بما يكفل ضمور الهيكل العظمي الذي تقوم على أساسه الدول وترتقي تباعاً الأجيال في بناء الحضارة الإنسانية. ■

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

محاولة لفرض السلام الأميركي ـ الإسرائيلي بالقوة

لبنان يتحصن بدول اقليمية لحين اتضاح وضع المنطقة

بيروت ـ غاصب المختار*

دخل لبنان بلا شك مدار تصاعد التوترات الاقليمية الاخيرة، كأنه لا تكفيه التوترات التي يفتعلها كيان الاحتلال الاسرائيلي وعرقلته (بدعم اميركي واضح وصريح) لتنفيذ المتوجب عليه في اتفاق الاطار وتفاصيله الاخرى ولو غير المكتملة بعد، فمن حروب لبنان المتقطعة، إلى حروب ايران والتوغلات والاعتداءات على سوريا وقبلها على اليمن ثم على العراق مؤخراً، ظهر ان اميركا والكيان الإسرائيلي يريدان فرض السلام بالقوة حسب رؤيتهما على كامل اطراف منطقة الشرق الاوسط ومن ضمنها لبنان.

لذا، كان لزاماً على السلطات اللبنانية الاستعانة بمزيد من الاصدقاء المؤثرين اقليمياً لتحصين وضع البلاد الداخلي من مخاطر توترات الاقليم، عبر نسج علاقات اكثر عمقاً من مجرّد بحث العلاقات الثنائية مع الدول الاقليمية المؤثرة.. ومن هنا كانت زيارة رئيس الجمهورية جوزيف عون الشهر الماضي الى تركيا، نظراً لدورها المحوري الجغرافي والسياسي الخاص ومن ضمن حلف «الناتو» في محاولات تهدئة التوترات لا سيما في سوريا ولبنان عدا منطقة الخليج، اضافة الى زيارة الرئيس عون قبل ذلك لدول مجلس التعاون الخليجي الست والى مصر، ضمن اطار حشد الدعم العربي والدولي للبنان بمواجهة مشاريع الاحتلال الاسرائيلي وافتعال مزيد من التوترات، ومحاولة منع اي تسويات ستجري من ان تكون على حساب مصالحه.

لكن لسوء الحظ، بدا من كل الحراك الرسمي اللبناني والذي قام به ايضاً رئيس الحكومة نواف سلام، انه لم يؤت ثماره حتى الآن نتيجة تفرّد الادارة الاميركيةً وكيان الاحتلال الاسرائيلي بالتصرف وفق مشاريعهما ومصالحهما من دون الاخذ بعين الاعتبار مراعاة مصالح الدول الاخرى التي تعتبر صديقة للولايات المتحدة، على الرغم من ان لبنان الذي وضع كل اوراقه في السلة الاميركية قام بكل المتوجب عليه واكثر بناء لإتفاق الاطار، ووضع نفسه تحت المظلة الاميركية التي لم تقيه انعكاسات العواصف الاقليمية والعدوان الاسرائيلي.

على هذا يبحث لبنان الرسمي عن ابواب دعم اخرى اقليمية ودولية تساعده في الوقوف بوجه العواصف وتَحدٍّ من خسائره لحين اتضاح صورة وضع الاقليم ومستقبل لبنان فيه في ظل الصراعات الكبرى الجارية ومحاولات تغيير الخرائط الجيو ـ سياسية والاقتصادية. عدا مواجهة تداعيات الاحتلال الاسرائيلي ودعم وتطبيق اتفاق الاطار بما يعزز فرص نجاحه، ويحول دون تحوله إلى اتفاق منقوص التنفيذ، والإسهام في دعم توجهات لبنان لتحقيق الانسحاب الإسرائيلي، وتعزيز الجهود الدولية الهادفة إلى منع أي فراغ أمني في الجنوب بعد انتهاء ولاية قوات «اليونيفيل» نهاية هذا العام.

اما ماذا سيحصد لبنان من هذا الحراك المتعدد الوجهات، فالامر رهن بمدى ملائمة مصالح الدول التي يقصدها مع مصالح لبنان، وقدرة هذه الدول على التأثير في القرارات الاميركية والاسرائيلية، وفي الحد الادنى مدى مساهمة هذه الدول في دعم لبنان في الامور غير السياسية والامنية، كالاقتصاد والسياحة لرفد خزينته بمزيد من المداخيل لمنع انهيار مؤسسات الدولة.

لا شك ان لبنان غير متروك نهائياً، والدول الشقيقة والصديقة مهتمة بمتابعة اوضاعه، لكن انشغالها بأوضاعها الداخلية نتيجة التوترات العسكرية والسياسية الاقليمية والدولية تعيق او تؤخر تحقيق الدعم الكافي المطلوب لإخراجه من الازمات التي يتخبط بها، وأولها واخطرها مشكلة الاحتلال الاسرائيلي، الذي ارهق لبنان على كل المستويات وسيرهق خزينته لاحقا في موضوع اعادة إعمار ما هدمه العدوان والتعويض لعشرات آلاف المتضررين. ولكن تبقى ثمة تفاصيل ومواضيع اخرى يمكن ان تسهم فيها الدول المعنية بالوضع اللبناني، كدعم قرارات وتوجهات لبنان في المنتديات والمحافل والمؤتمرات الدولية والاقليمية، وفضح ممارسات كيان الاحتلال الاسرائيلي والضغط على الدول المعنية لا سيما الادارة الاميركية لكبح جماح كيان الاحتلال.

وفي انتظار تبلور صورة الوضع الاقليمي، يقوم لبنان بما عليه من تواصل مع الدول المؤثرة في الشرق الاوسط واوروبا ودول اخرى مثل روسيا، حتى لا تنعكس اي تسويات او حلول مرتقبة قد تحصل عاجلاً ام آجلاً على وضعه سلبياً وتُدخله في مزيد من الاضطرابات والمشكلات الداخلية.

تعقيدات التفاوض

هذا الحراك فرضته ايضاً التعقيدات والمطبات التي بدأت تبرز ويجري الكلام عنها بصورة رسمية، امام مفاوضات لبنان والكيان الاسرائيلي، حيث لم تسجل مفاوضات روما في اجتماعاتها الثلاث الاخيرة في شهر آب ـ اغسطس الماضي، أي تقدم ملحوظ لتنفيذ اسرائيل المطلوب منها في اتفاق الاطار، لا سيما على صعيد تحديد مناطق تجريبية جديدة لإنسحاب الاحتلال منها ونشر الجيش اللبناني.

واوضحت مصادر رسمية متابعة للمفاوضات لـ «الحصاد»، ان التقدم الجزئي وغير النهائي الوحيد الذي تم الحديث عنه رسمياً هو تبادل لوائح بأسماء الاسرى اللبنانيين المدنيين المعروفين وعددهم 36 شخصاً من المواطنين الذين خطفتهم قوات الاحتلال الاسرائيلي في توغلاتها بقرى الجنوب خلال وقف اطلاق النار. اما اسرى حزب الله والمفقودين منهم فلم تعرف اعدادهم ولا اسماؤهم في الجلسة الاخيرة. بينما قدّم وفد الكيان الاسرائيلي لوائح بأسماء الطيار المفقود في لبنان رون آراد واسماء نحو 11 يهودياً لبناني الجنسية، الذين تم خطفهم وقتلهم خلال الحرب الاهلية وبعد دخول قوات الحلف الاطلسي الى لبنان إثر الاجتياح الاسرائيلي عام 1982، اي قبل نحو 50 سنة، علماً أن معرفة مكان رفاتهم امر بالغ التعقيد والصعوبة ومن سابع المستحيلات بعد مرور نصف قرن على الحدث.

وتوضح المصادر ان كل ما تحقق في موضوع اطلاق سراح الاسرى هو وعد اسرائيلي بالرد على لبنان حول مصيرهم وامكانية قيام الصليب الاحمر الدولي بزيارتهم، لكن من دون تأكيدات اسرائيلية وضمانة اميركية. لذلك سيبقى لبنان منتظراً وصول الرد الاسرائيلي. علماً ان كيان الاحتلال سبق وحاول مراراً معرفة مكان دفن الطيار اراد، وآخر محاولة كانت الانزال الكبير في منطقة النبي شيت بالبقاع، حيث اعتقد الاحتلال ان رفاته موجودة في احدى المقابر. لكن قوة الكوماندوس الاسرائيلي لم تعثر على شيء بعد حفر اكثر من مكان.

ولكن المصادر الرسمية تشير الى ان المفاوضت لم تفشل بشكل مطلق ونهائي، نظراً لبدء البحث بمصير الاسرى وتثبيت الحدود البرية اللبنانية مع فلسطين. كما لا يمكن القول انها نجحت كما يريد لبنان لا سيما في ما خصّ تحديد مناطق تجريبية جديدة في الجنوب لإنسحاب قوات الاحتلال منها اقترح لها الوفد اللبناني المفاوض مدينتي بنت جبيل والخيام ورفضتهما اسرائيل، وتحقيق تقدّم في وقف شامل لإطلاق النار على كامل الأراضي، ووقف عمليات هدم المنازل والمنشآت والبنى التحتية والاراضي الزراعية، وهو يتشدد في هذه المطالب قبل العودة الى جولة المفاوضات المقبلة في شهر ايلول والتي لم يتم تحديد تاريخها بدقة.

خلاصات سلبية

وبرزت اتجاهات لبنانية استناداً إلى خلاصات سلبية أدت إليها الجولة الأخيرة للمفاوضات، مفادها وفق المعلومات المستقاة من مصادر قريبة من الوفد اللبناني المفاوض، أن لبنان يتّجه إلى ربط حضور الجولة المقبلة من المفاوضات مع إسرائيل، المرتقبة مبدئيًا في أيلول ـ سبتمبر بتنفيذ المطالب التي وضعها الوفد اللبناني، وكشفت هذه المعلومات أنّ موعد جولة أيلول ليس ثابتًا بعد حتى الآن وأنّ انعقادها من الجانب اللبناني، ليس أمراً محسوماً أو منفصلًا عمّا ستقوم به إسرائيل على الأرض خلال المرحلة المقبلة.

وبحسب المصادر نفسها، بات الموقف اللبناني واضحاً لجهة رفض الذهاب إلى جولة جديدة لمجرّد الحفاظ على استمرارية المسار التفاوضي، فيما تواصل إسرائيل عملياتها العسكرية في الجنوب. وبذلك، تحاول بيروت ربط أيّ تقدّم سياسي بخطوات ميدانية ملموسة، بدل الفصل بين طاولة المفاوضات وما يجري على الأرض، الأمر الذي يثير تساؤلاً عما إذا كان لبنان يرفض عقد الجولة المقبلة إذا رفضت مطالبه.

وتحدثت المصادر عن أن منسوب التوتر في اليوم الأخير من الجولة السابعة بلغ أشدّه، إذ إن رئيس الوفد المفاوض سيمون كرم قطع المفاوضات اعتراضاً على المراوغة الإسرائيلية ما أفضى إلى اختتامها قبل ساعتين.

ولعل اطالة امد المهلة بين جولة روما الاخيرة وبين الموعد الجديد في ايلول المقبل اي بعد نحو شهر تقريباً، دليل تعثر ومماطلة مقصودة وفشل في التوصل سريعاً الى تطبيق اتفاق الاطار بما يُلزم كيان الاحتلال بتنفيذ المطلوب.وعلى هذا يُخشى ان يستغل كيان الاحتلال فترة الشهر لمزيد من الاعتداءات والتفجيرات لإزالة معالم قرى الحدود، وممارسة مزيد من الضغط العسكري على وحدات الجيش المنشرة في القرى الجنوبية وعلى اهاليها الصامدين فيها منه وسط صمت اميركي فاضح.

كل هذه التطورات تشير الى ان اتفاق الإطار يترنّح ما لم يكن قد سقط فعلا كما نُقل عن الرئيس نبيه بري، أو إنه على شفير السقوط نهائياً، بسبب رفض الاحتلال الانسحاب حالياً (ليس فقط بسبب استخدام احتلاله ورقة سياسية للتأثير على الناخبين في الانتخابات المبكرة التي ستجري في تشرين الأول المقبل) بل الأهم في العمق محاولة فرض شروطه القاسية على لبنان للإنسحاب ثم الدخول في المفاوضات السياسية بالمرحلة اللاحقة للتوصل الى اتفاق سياسي واضح بإنهاء حالة العداء وعقد اتفاق سلام أو تطبيع كما يشتهي هو لا كما يريد لبنان.

لبنان وضرب ايران

لكن يبقى السؤال، هل يسمح الراعي الأميركي للتفاوض المباشر بسقوط اتفاق الإطار في لبنان كما سقطت مذكرة التفاهم بينه وبين إيران، ما أدّى الى اندلاع موجات قصف وقصف متبادل طالت دول الخليج والأردن، وأسهمت في زيادة التوتر الى مرحلة خطرة؟

يبدو من كلام الرئيس الأميركي ترامب المتكرر بوقف الضربات الكبيرة والقوية التي كانت مقررة على إيران بعد تدخّل الوسطاء من باكستان ودول الخليج، ان ما يسري من محاولات تهدئة والعودة الى المفاوضات مع إيران يمكن أن يسري على التفاوض بين لبنان وكيان الاحتلال، إذا تدخّل الوسيط الأميركي بفعالية أكبر لدى كيان الاحتلال لتنفيذ خطوات جدّية وفعلية لا صورية بالانسحاب من بعض القرى المحتلة لتسهيل التفاوض والتوصل الى نتائج ملموسة، يحتاجها الأميركي أيضا في الانتخابات النصفية لمجلس النواب لإنجاح مرشحي الحزب الجمهوري بعد تراجع شعبيته بسبب الحرب، تماما كما يفعل نتنياهو في لبنان قبيل الانتخابات المبكرة للكنيست لكن بشكل معاكس، فترامب يريد التهدئة لتحقيق نتائج لمصلحته ونتنياهو يريد التصعيد أكثر لتحقيق نتائج لمصلحته. ■

* صحافي وكاتب سياسي

مفاوضات لبنان وإسرائيل:

بين واشنطن وروما وظل «حرب الخليج»

بيروت: محمد المشنوق*

منذ 2 آذار 2026، عاد جنوب لبنان إلى دائرة النار بعد تصاعد التوترات العسكرية بين لبنان وإسرائيل. تعود جذور هذه التوترات إلى قضايا طويلة الأمد تشمل حقوق السيادة، والنزاعات الحدودية، ودور الجماعات المسلحة، وما يرتبط بذلك من التوتر الإقليمي. ومع اقتراب الصراع من مواجهة شاملة، حيث يعيش المدنيون بين فكي كماشة التوترات المسلحة، دخلت الأطراف المعنية في مفاوضات تشمل جنبات جغرافية جديدة. فقد كتبت أميركا القواعد بينما سعت روما لتطبيقها. ولكن السؤال الذي يتردد في الأذهان هو: هل نحن أمام مسار تفاوضي حقيقي يقود إلى السلام؟ أم مجرد إدارة متواصلة للتصعيد بين جولتين مستمرتين؟

الولادة من واشنطن: إطار المفاوضات

تدخلت أميركا بشكل مباشر بعد فشل هدنة آذار في الصمود. استدعت الولايات المتحدة 6 ضباط كبار من الجيش اللبناني إلى جانب نظرائهم الإسرائيليين، وكان الهدف واضحًا: وضع إطار لوقف الحرب. تعتبر هذه الخطوة بمثابة محاولة لتجنب تصعيد أكبر وإعادة تفعيل العملية الدبلوماسية التي كانت قد تجمدت لفترة طويلة.

أسفرت نتائج 5 جولات من المفاوضات في واشنطن عن وثيقة تتضمن 3 محاور رئيسية يجب أن تكون محور التركيز في جميع الأطراف المعنية:

- المحور الأمني: تم الاتفاق على إنشاء مناطق تجريبية في جنوب الليطاني، حيث ستقوم إسرائيل بالانسحاب تدريجيًا بينما ينتشر الجيش اللبناني على الفور. تعتبر هذه الخطوة حجر الزاوية في أي جهود لتحقيق استقرار طويل الأمد في المنطقة. وقد تم تحديد هذه المناطق بعناية لضمان عدم تعارضها مع مصالح الأطراف المختلفة.

- المحور السيادي: تم التأكيد على حق لبنان وإسرائيل في العيش بسلام كدولتين ذات سيادة. يعد هذا التصريح سابقة مهمة، حيث يعكس تغييرًا في النظرة التقليدية للعلاقة بين الطرفين منذ عام 1949. هذا التوجه يسعى لتعزيز الثقة وخلق بيئة تضمن عدم تصعيد العنف في المستقبل.

-حصر السلاح: يشير النص الضمني إلى أن الجيش اللبناني هو الجهة الوحيدة المخولة بالسلاح في المنطقة، مع تلميحات غير مباشرة لحزب الله والجماعات المسلحة الأخرى. يعتبر هذا الخطاب خطوة نحو تفعيل سيادة الدولة اللبنانية على أراضيها، ولكن ذلك يحتاج إلى آليات واضحة للتنفيذ.

ومع ذلك، تركت الوثيقة بعض الأسئلة الحاسمة بلا إجابات: من يبدأ بالتنفيذ؟ وما المدة الزمنية اللازمة لتحقيق ذلك؟ هذه الفجوات تبرز التحديات الكبيرة التي تواجه الأطراف في الوصول إلى اتفاق شامل.

لماذا روما؟ جغرافيا السياسة والوساطة

بعد واشنطن، كان من المتوقع أن تُستكمل المحادثات في نيويورك أو جنيف، لكن تم اختيار روما لعدة أسباب رئيسية:

- الحياد النسبي: إيطاليا ليست طرفًا مباشرًا في النزاع بين لبنان وإسرائيل. وزير الخارجية أنطونيو تاياني علّق في نيسان قائلاً إن إيطاليا مستعدة لاستضافة الحوار. هذا الحياد جعل منها مكانًا مناسبًا لاستضافة الجولات، مما يسهل على الأطراف التواصل دون ضغوطات من القوى الكبرى.

- الضغط الأميركي الناعم: أرادت أميركا تقديم غرفة خلفية بعيداً عن الأضواء. السفارة الأميركية في روما استضافت جولتي 15–16 تموز و4–6 آب، ووصف مسؤول في أميركا هذه الجولات بأنها إيجابية ومنتجة. وهذا يشير إلى أن الأطراف كانت قادرة على تحقيق بعض التقدم، وإن كان ببطء. ويبدو أن هذا التوجه يساعد الأطراف في استكشاف حلول مبتكرة وسط التوترات.

النتيجة الميدانية الأولى كانت في 20 تموز، حيث دخل الجيش اللبناني إلى قرى فرون وصرفا وزوطر الغربية. أكدت إسرائيل أنها ستبدأ بالانسحاب إذا أظهر الجيش اللبناني قدرته على المنع، وهذا يتطلب تعاونًا وثيقًا بين الجانبين، بما في ذلك جمع المعلومات الاستخباراتية وتنسيق التحركات.

خلق العقدة: من يتحرك أولاً؟

تبقى القضية الجوهرية المحورية في المفاوضات: من الذي يجب أن يتحرك أولاً؟ حيث يسعى كل طرف للعب دور المراقب والناقد لأفعال الطرف الآخر. وبهذا الصدد، يتهم كل طرف الآخر بتعطيل الاتفاق.

- الموقف اللبناني الرسمي: الحكومة اللبنانية تطالب بأن يتم الانسحاب أولاً وقبل أي شيء آخر، مبررًا ذلك بأن الوضع الأمني الحالي لا يسمح للجيش اللبناني بالانتشار تحت تهديد النار. دعم هذا الموقف يعكس رغبة لبنان في حماية سيادته وضمان عدم عودة حزب الله المسلح إلى الحدود.

- الموقف الإسرائيلي: الإسرائيليون يرون أن نزع السلاح يجب أن يأتي أولًا. يُصرح مسؤولو الأمن الإسرائيليون بأنه إذا لم يتم نزع سلاح حزب الله، فلن يكون هناك انسحاب. ويعتبرون أن وجود حزب الله يهدد أي استقرار مستقبلي. تتزايد هذه المخاوف مع استمرار التصعيدات العسكرية. هذا السياق أسفر عن حالة من عدم اليقين والتوتر، حيث أدى عدم تحديد الأطراف الخطوة الأولى إلى تفاقم الأجواء. هذا التوتر يعكس الهوة الكبيرة بين المخاوف الأمنية للأطراف ونوايا السلام المعلنة.

فرنسا أيضًا عرضت نفسها كوسيط، وقدمت اقتراحاتها في سبيل دعم عملية السلام. ومع ذلك، ظلت الحكومة اللبنانية حذرة من مشاركة فرنسا في العملية، خشية أن يؤدي ذلك إلى ازدواجية الأدوار. تفادي توسيع دائرة المفاوضات يتطلب دقة في الاختيار بين الوسطاء.

حزب الله: الموقف بين طهران وبيروت

تعتبر مسألة حزب الله عاملاً محوريًا في تحديد مسار المفاوضات. لا يمكن فهم التوترات بشكل كامل دون أخذ موقف الحزب بعين الاعتبار.

- الموقف الداخلي: رفض الحزب للأطر المقترحة كان واضحًا، حيث وصف قياداته هذا الاقتراح بأنه استسلام. كما أن التصريحات التي أطلقها نعيم قاسم، نائب الأمين العام، توضح أن الحزب لن يقبل أي نزع سلاح قبل انسحاب كامل من الأراضي اللبنانية ومزارع شبعا. هذا الرفض يبرز رغبة الحزب في الحفاظ على قوته ووجوده في المنطقة.

- العلاقات الإقليمية: حزب الله مرتبط ارتباطًا وثيقًا بإيران، مما يزيد من تعقيد الأزمة. في ظل تزايد التوترات بين أميركا وإيران، ظهرت تحديات جديدة تتعلق بموقف الحزب ودوره في المفاوضات. العلاقات المتوترة أدت إلى توتر الأجواء، وارتفعت حدة التصريحات من الجانبين.

تزايدت التوترات داخل لبنان وخارجه نتيجة لذلك، حيث أصبحت الخطوط الحمراء تزداد وضوحًا. كلما ارتفع منسوب التوتر في الخليج، انخفضت مرونة حزب الله في التفاوض، مما يزيد من تعقيد المشهد. وهذا هو السبب الرئيسي وراء التصعيد في الهجمات الإسرائيلية، والتي كانت تهدف إلى إرسال رسالة بأن لن ننسحب تحت الضغط.

ما تم تحقيقه حتى آب 2026

على الرغم من المشكلات العديدة، هناك نقاط إيجابية يجب التوقف عندها:

- انتشار الجيش اللبناني: في خطوة غير مسبوقة، قام الجيش اللبناني بالإشراف على الانتشار في مناطق جديدة. هذا يمثل تقدمًا في عملية استعادة السيطرة الميدانية، وهو كسر لمعادلة سلاح المقاومة يحمي. هذه الخطوة تعزز من موقف الجيش اللبناني كجهة مسؤولة.

- آلية أميركية للمتابعة: الحضور الدائم لوفد عسكري من أميركا في لبنان يشير إلى التزام أميركا بتوقيت الانسحابات وعدم ترك فراغ. هذه الآلية تمثل ضوءًا أخضر لمزيد من الانتشار اللبناني، كما تعكس التفاؤل الحذر من قبل المجتمع الدولي تجاه تحقيق الاستقرار.

- زخم دبلوماسي: زيارة رئيس الجمهورية اللبناني جوزيف عون إلى أميركا في يوليو، والتي أظهرت اهتمام البيت الأبيض بالموقف اللبناني، تعكس تغييرًا في الديناميكية الدبلوماسية. زيادة التواصل بين الحكومتين يعكس الرغبة في استكشاف حلول جديدة.

ومع ذلك، لا تزال هناك نقاط ضعف بارزة. على سبيل المثال:

- غياب جدول زمني: وثيقة واشنطن لم تحدد موعدًا لانتهاء الإسرائيليين من انسحابهم، مما يزيد من حالة عدم اليقين.

- لا اتفاق على السلاح: حزب الله لا زال يرفض أي حديث عن نزع سلاحه، والدولة اللبنانية لا تملك أدوات فرض. تعتبر هذه النقطة نقطة شائكة، حيث يُعتبر سلاح الحزب جزءًا من معادلة القوى في المنطقة.

- استمرار العنف: الغارات الإسرائيلية لم تتوقف، مما يظهر وجوب الحاجة إلى إعادة التفاوض حول القضايا الحالية. ارتفاع عدد العمليات العسكرية يزيد من حدة التوتر ويعقد المفاوضات.

- الانقسام الداخلي: استطاعت الحكومة اللبنانية تحقيق بعض التقدم، لكنها تعاني من الانقسامات السياسية التي تزيد من صعوبة فرض توافق موحد. هذه الانقسامات تعكس الانقسامات الكبيرة في المجتمع اللبناني وتأثيرها على العملية السياسية.

سيناريوهات الطاولة المقبلة

عند النظر إلى الوضع الراهن، يمكن تصور عدة سيناريوهات للمضي قدمًا. في هذا السياق، يعود ذلك إلى مدى تلبية احتياجات الأطراف والقدرة على إحراز تقدم:

- السيناريو الأول: التوسع التدريجي (احتمال 40%): من الممكن أن يؤدي تقدم الأطراف نحو توافق حول المناطق التجريبية إلى تقليل التوتر والنزاع. إذا تمكّن الجيش اللبناني من إثبات قدرته على السيطرة، فقد تلقى نجاحًا كبيرًا.

- السيناريو الثاني: تصعيد النزاع (احتمال 30%): إذا استمرت الأطراف في التمسك بمواقفها المتعارضة، قد نشهد تصعيدًا عسكريًا جديدًا. في هذا السيناريو، يمكن أن تشتعل المواجهات مرة أخرى، مما يؤدي إلى تفاقم الوضع الإنساني والاقتصادي في لبنان.

- السيناريو الثالث: العودة إلى وضع ما قبل المفاوضات (احتمال 30%): في حال فشل أي تقدم، قد يعود الوضع بشكل كامل إلى الحالة السابقة، مع ارتفاع نسبة النزاع والاضطرابات.

تحليل بيان اجتماع روما – آب 2026

في 4–6 آب، صدر بيان أميركي يحمل نقاطًا رئيسية تتعلق بالمفاوضات. تمحورت هذه النقاط حول توسيع المناطق التجريبية، معالجة النقاط الحدودية، والانتقال نحو اتفاق أمني شامل. يعتبر هذا البيان نقطة تحول حقيقية، حيث يعكس تغير الموقف الأميركي تجاه لبنان وإسرائيل.

ما بين السطور: نص البيان يعكس السعي لضمان الأمن والاستقرار في المنطقة. إلا أن البيان يثير أسئلة حول تغطية الملفات المهمة مثل ملف السلاح، الأسرى، وإعادة الإعمار.

الخلاصة: ماذا يعني بيان روما؟

يمثل البيان خطوة نحو تثبيت الهدوء المدارة، لكنه في ذات الوقت يحمل تحديات تتعلق بغياب جدول زمني ملزم. سيكون من المشوق ملاحظة كيف ستتطور الأمور في الأشهر القادمة، ومدى قدرة الأطراف المعنية على الالتزام بالتفاهمات. يعتبر هذا التصريح شريان حياة للأطراف المعنية، خصوصًا مع وجود ضغط دولي كبير لتحقيق السلام.

توصيات للوفد اللبناني المفاوض

في إطار العمل نحو تحقيق الأهداف »

المرجوة، يجب تخطيط خطوات واضحة ومحددة:

1. فرض جدول زمني ملزم: يجب أن تتضمن الاتفاقات جدولًا زمنيًا صارمًا لضمان تنفيذ الانسحابات في المواعيد المحددة، مما يساهم في تحقيق الأمان المطلوب.

2. فصل ملف الحدود: ينبغي معالجة النقاط الحدودية الـ 13 بشكل منفصل عن مسار الانسحاب، مما يضمن عدم ربط السلام بالأرض ويعزز العمليات الدبلوماسية.

3. التأكيد على آلية التحقق: العمل على ضمان أن التحقق يتم فقط من خلال اليونيفيل والوفد من أميركا، دون منح صلاحيات للدول الأخرى، مما يعزز الثقة بين الأطراف.

أولويات ميدانية ودبلوماسية

- تسريع انتشار الجيش: عند أي انسحاب إسرائيلي، يجب أن يكون لدى الجيش اللبناني خطط واضحة للإشراف على المناطق خلال 72 ساعة. هذا يعزز قدرة الدولة على حماية مصالحها.

- تعزيز الخدمات الأساسية: العمل على إعادة بناء المناطق المتأثرة بالحرب، مما يساهم في تعزيز العلاقة بين سكان الجنوب والدولة اللبنانية. هذه الخطوة لن تعزز ثقة الشعب بل ستساعد في بناء مستقبل أفضل.

- تصدير الرواية: يجب على الحكومة والجيش العمل على تقديم بيانات يومية حول التقدم المحرز، مما يساعد على استعادة الثقة.

تأثير المجتمع الدولي

لا يمكن إغفال دور المجتمع الدولي في هذه المفاوضات. لقد شهدت المنطقة تدخلاً من عدة دول ومؤسسات دولية تسعى لتحقيق الاستقرار. كما أن وجود الأمم المتحدة في المنطقة يعزز من جهود السلام، مما يجعل من الضروري التنسيق بين جميع الأطراف لتحقيق أهداف مشتركة تتجاوز الأهداف الوطنية.

المستقبل الغامض

بينما نتطلع إلى المستقبل، لا بد من تقييم التحديات والفرص التي قد تواجه لبنان في سياق هذه المفاوضات. الأوضاع الاقتصادية المتدهورة في لبنان، والتحديات الاجتماعية والسياسية، قد تزيد من تعقيد الموقف.

من ناحية أخرى، يمثل الحوار المفتوح فرصة حقيقية لبناء علاقات جديدة وتحقيق الأمن والاستقرار. استخدام القنوات الدبلوماسية بشكل فعال قد يجعل لبنان أكثر قدرة على مواجهة التحديات المستقبلية. ■

* صحافي - وزير لبناني سابق

■ مسار مفاوضات لبنان وإسرائيل من الحرب إلى روما

■ بعد 4 أشهر من القصف والدمار في جنوب لبنان، انتقلت المواجهة بين لبنان وإسرائيل من خط النار إلى طاولات المفاوضات. لكن هذه المفاوضات لم تكن مباشرة ولا في بيروت أو تل أبيب.

بدأت في واشنطن حيث وُضع «إطار» لوقف الحرب، واستُكملت في روما حيث تُناقش تفاصيل التنفيذ قرية بقرية. في ظل تعثر الحلول الإقليمية وتجدد التوتر في الخليج، أصبح هذا المسار التفاوضي هو النافذة الوحيدة لمنع عودة الحرب الشاملة.

فكيف تطورت الأحداث منذ 2 آذار حتى اليوم؟

الجدول الزمني الكامل:

2آذار 2026

عودة الحرب بين إسرائيل وحزب الله بعد انهيار تفاهمات 2024. إسرائيل تتوغل في 5 نقاط حدودية وتبدأ ببناء "منطقة عازلة". هذا التصعيد دفع الإدارة الأمريكية للتدخل العاجل.

نيسان 2026

إيطاليا تعرض استضافة الحوار. وزير الخارجية أنطونيو تاياني يبلغ الجانبين استعداد روما لتكون "عاصمة للسلام" وتحتضن المفاوضات بعيداً عن أضواء واشنطن.

آذار - حزيران 2026

5جولات تفاوض مباشرة في واشنطن برعاية أميركية كاملة. شارك فيها 6 ضباط كبار من الجيش اللبناني. النقاش كان تقنياً وأمنياً بعيداً عن الإعلام.

26 حزيران 2026

توقيع اتفاق الإطار الثلاثي في واشنطن بين لبنان وإسرائيل والولايات المتحدة.

الاتفاق نص على:

1. إنشاء "مناطق تجريبية" للانسحاب الإسرائيلي التدريجي.
2. انتشار الجيش اللبناني وحصر السلاح جنوب الليطاني.
3. تأكيد حق الطرفين بالعيش بأمان.

المعضلة: بلا جدول زمني واضح للانسحاب الكامل.

16 - 15تموز 2026

الجولة الأولى في روما داخل السفارة الأمريكية. لبنان قبل الدعوة بعد 24 ساعة من إعلان إسرائيل.

النتيجة: اتفاق على "هيكلية وإرشادات المناطق التجريبية" تمهيداً للتنفيذ.

20تموز 2026

أول تطبيق ميداني. الجيش اللبناني ينتشر في 3 قرى: فرون، صرفا، وزوطر الغربية في النبطية. تعتبر الخطوة الأولى لاختبار جدية الطرفين.

21 تموز 2026

الرئيس جوزيف عون يزور واشنطن ويلتقي الرئيس دونالد ترامب. ملف الانسحاب الإسرائيلي كان العنوان الرئيسي للقاء.

أواخر تموز 2026

تصعيد ميداني مواز. إسرائيل تفجر 700 طن متفجرات لتدمير أنفاق في الجنوب. التوقيت كان عشية جولة روما الثانية، ما زاد مناخ عدم الثقة.

6 - 4 آب 2026

الجولة الثانية في روما. النقاش تركّز على توسيع المناطق التجريبية، ترسيم النقاط الحدودية العالقة، والانتقال إلى «اتفاق سلام وأمن شامل».

الخارجية الأميركية وصفتها بـ «المنتجة» وأعلنت عن جولات تقنية قادمة.

حتى 6 آب 2026

وفد عسكري أميركي في بيروت يعمل مع الجيش اللبناني على وضع آلية للانسحاب تمنع "الفراغ الأمني" عند خروج إسرائيل من أي منطقة جديدة.

بعد 5 أشهر من الحرب، يبدو أن المسار التفاوضي هو الخيار الوحيد المطروح.

واشنطن صنعت القواعد، وروما تحاول تطبيقها على الأرض. لكن التقدم لا يزال "بالمليمتر" ومرتبط بثلاثة عوامل: موقف حزب الله من نزع السلاح، استعداد إسرائيل للانسحاب الفعلي، واستقرار الوضع الأميركي–الإيراني في الإقليم.

حتى الآن، نجحت المفاوضات في منع عودة الحرب الشاملة، لكنها لم تنجح بعد في إعادة الجنوب إلى أهله بشكل كامل.

الـ 90 يوم القادمة ستكون حاسمة: إما توسع للمناطق التجريبية وصولاً لاتفاق، أو تجمّد يعود بالمنطقة إلى المربع الأول.

مسعد بولس مبعوث الرئيس ترامب

ليبيا بعد 15 عاماً | اتفاق اللحظة الأخيرة

تغيرت ليبيا كثيراً منذ سقوط نظام العقيد معمر القذافي عام 2011. فشل الليبيون في إقامة نظام جديد أفضل منه، وأدى تنافسهم على تركة القذافي إلى انقسام البلاد فعلياً إلى شطرين أساسيين؛ حكومة في الغرب تحظى بدعم تركيا، وأخرى في الشرق تحظى بدعم روسيا، لكن الصورة في الحقيقة أكثر تعقيداً من مجرد وجود حكومتين متنافستين.

يسلّط هذا التقرير الضوء على الأطراف الأساسية المتنافسة على السلطة في ليبيا اليوم، وتحديداً حكومة الوحدة الوطنية بقيادة عبد الحميد الدبيبة في طرابلس، مقابل الحكومة المدعومة من مجلس النواب وقوات المشير خليفة حفتر في الشرق. كما يقدم صورة عن أسباب الجمود في العملية السياسية التي تقودها الأمم المتحدة، ويتناول دور القوى الدولية الفاعلة، ويشرح خريطة الجماعات المسلحة في طرابلس، ونشوء ظاهرة نفوذ العائلات القوية في الشرق كما في الغرب.

في مثل هذه الأيام من عام 2011 كان المعارضون الليبيون يطرقون أبواب العاصمة طرابلس، معقل العقيد معمر القذافي في باب العزيزية، وهو مجمع ضخم بالغ التحصين لم يصمد طويلاً. دخلته جماعات مسلحة بعضها خرج حديثاً من السجون. مع سقوط طرابلس سقطت فعلياً «جماهيرية» القذافي رغم أنه بقي يقاوم حتى أكتوبر 2011، حين تمكن «الثوار» من قتله في ضواحي سرت مسقط رأسه. الطريق من الحدود التونسية إلى طرابلس كان محفوفاً بالمخاطر. الصراع على معبر راس جدير لم يكن قد حُسم بعد. على طول الطريق كانت الحواجز والسواتر والدمار. مدن مع القذافي ومدن ضده. حتى في طرابلس نفسها كان واضحاً الاستياء لدى مناصري النظام السابق من الواقع الجديد. بعد 13 عاماً، يبقى السؤال المركزي: هل نجحت ليبيا في بناء دولة بديلة؟ المؤشرات على الأرض تقول إن الإجابة لا تزال سلبية.

الواقع اليوم هو انقسام مؤسساتي وأمني وجغرافي. في الغرب حكومة الوحدة الوطنية في طرابلس بقيادة عبد الحميد الدبيبة. تحظى باعتراف دولي ودعم تركي. لكنها تعمل في ظل وجود عشرات التشكيلات المسلحة التي تتنافس على مناطق النفوذ والموارد. في الشرق حكومة مدعومة من مجلس النواب ومن المشير خليفة حفتر. تحظى بدعم روسي مباشر بعد مرحلة مجموعة «فاغنر». وفي المنطقة برز نفوذ لعائلات قوية تتحكم بالبلديات والموانئ والعقود. في الوسط مجلس رئاسي برئاسة محمد المنفي. وفي الجنوب فراغ أمني تستثمره شبكات التهريب والجماعات المسلحة. اتفاق وقف إطلاق النار 5+5 الموقع في 2020 لم ينفذ بالكامل. لا خروج للمرتزقة ولا توحيد للمؤسسة العسكرية. وبدون احتكار الدولة للسلاح لا يمكن الحديث عن انتخابات أو استثمار أو إعادة إعمار. هنا تكمن المفارقة الليبية. ليبيا تمتلك أكبر احتياطي نفط في أفريقيا. عدد السكان لا يتجاوز 7 ملايين. ولديها صندوق استثمار سيادي تقدر أصوله بأكثر من 200 مليار دولار. كما تمتلك مشروع «النهر الصناعي العظيم» الذي كان يفترض أن يؤمن المياه لكل البلاد. ومع ذلك يعاني المواطن من انقطاع الكهرباء لساعات طويلة، ومن نقص في الوقود، ومن تراجع في الخدمات الصحية والتعليمية. السبب ليس نقص الموارد بل غياب الإدارة الموحدة.

في إحاطتها أمام مجلس الأمن في شباط 2026 قالت الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة هانا تيتيه: «يواجه الشعب الليبي صعوبات جمة مع انخفاض قيمة العملة، وارتفاع الأسعار، ونقص الوقود، وتزايد السخط الشعبي». وأرجعت ذلك إلى "غياب ميزانية وطنية موحدة، وعدم تنسيق الإنفاق العام نتيجة لوجود مؤسسات حكومية موازية، إلى جانب انخفاض عائدات النفط". وأضافت أن «أوجه القصور في الحوكمة وتشتت الرقابة والهدر المستمر عبر التهريب والاستغلال غير المشروع للموارد لا تزال تستنزف موارد الدولة».

الأخطر من الاقتصاد هو ما يحدث على المستوى الأمني والقضائي. حذرت تيتيه من تطورين خطيرين. الأول انقسام النظام القضائي. فبعد أن ظل موحداً لسنوات، بدأت تظهر «ولايات متنافسة، وأحكام قضائية متضاربة، وتناقضات قضائية». واعتبرت ذلك «خطاً أحمر» لأن الأنظمة القانونية المتضاربة ستؤثر على الاقتصاد والانتخابات والحكم وحقوق الإنسان وتقوض وحدة الدولة. الثاني ازدهار الشبكات الإجرامية العابرة للحدود. فبحسب تقرير لمكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة في كانون الثاني 2026، أصبحت ليبيا «مركز عبور رئيسياً لتهريب المخدرات». ويعود ذلك إلى مؤسسات أمنية متشرذمة وحدود مفتوحة وضعف الرقابة المالية.

في ظل هذا الانسداد لم يعد الملف الليبي داخلياً فقط. هناك أربع أطراف دولية وإقليمية فاعلة بقوة اليوم لأن كلفة الفوضى وصلت إليها مباشرة. الولايات المتحدة عادت للواجهة عبر مبعوثتها الخاصة. أولويتها إخراج القوات الأجنبية والمرتزقة، وتوحيد المصرف المركزي والمؤسسة الوطنية للنفط، وضمان عدم استخدام عائدات النفط في الصراع. وتدفع باتجاه عقد مؤتمر اقتصادي لإدارة أصول الصندوق السيادي. تركيا موجودة عسكرياً واقتصادياً في الغرب عبر اتفاقيات بحرية وغاز مع حكومة طرابلس. لكنها أبدت مؤخراً انفتاحاً أكبر على التسوية الشاملة بسبب كلفة استمرار الانقسام على مصالحها. مصر تعتبر استقرار شرق ليبيا جزءاً من أمنها القومي. وتستضيف لقاءات دورية بين مجلس النواب وممثلين عن طرابلس. هدفها تشكيل حكومة مصغرة موحدة تشرف على الانتخابات وتوحيد المؤسسة العسكرية. أما الاتحاد الأوروبي فإيطاليا معنية باستقرار إمدادات الغاز. وفرنسا معنية بملف الهجرة وإخراج المرتزقة من الساحل. وقد طرح الاتحاد خطة لإعادة الإعمار بقيمة 50 مليار يورو على 10 سنوات، مشروطة بتشكيل حكومة موحدة.

باختصار الكل أدرك أن استمرار الفوضى في ليبيا له كلفة. على أوروبا عبر الهجرة. وعلى مصر عبر الحدود. وعلى تركيا عبر مصالحها في المتوسط. ولهذا السبب تحديداً هناك اليوم اهتمام عربي وأوروبي ومتوسطي بالملف الليبي.

بعد أكثر من سنة ونصف من الجمود حدث تطور في 21 آب 2026. وقّعت لجنة الحوار الليبية المصغرة (4+4) بالأحرف الأولى على مسودة الاتفاق النهائي بشأن القوانين الانتخابية ومجلس إدارة المفوضية الوطنية العليا للانتخابات. جاء ذلك خلال الاجتماع السابع للجنة في تونس برعاية هانا تيتيه. وسماه مراقبون اتفاق اللحظة الأخيرة لأنه جاء بعد جمود دام عاما ونصف.

اهم ما جاء في الاتفاق:

اولا: القوانين الانتخابية. الاتفاق على اطار موحد لاجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية.

ثانيا: مجلس ادارة المفوضية. توحيد الاشراف على العملية الانتخابية.

ثالثا: خروج المرتزقة والقوات الاجنبية. وضع جدول زمني ملزم.

رابعا: توحيد المصرف المركزي. خطوات لتوحيد السياسة النقدية ووقف الازدواج في الانفاق.

وقالت بعثة الأمم المتحدة إن هذا يستكمل أول مرحلتين من خارطة الطريق: تشكيل مجلس المفوضية وتعديل الإطار القانوني للانتخابات. واتفقت اللجنة على الاجتماع مجدداً داخل ليبيا قبل نهاية آب لوضع ترتيبات التنفيذ. هذا الاتفاق لا يعني إجراء انتخابات غداً، لكنه يعني كسر حالة الجمود السياسي.

يبقى السؤال الأهم. ما هو المخرج؟ الفرصة الآن ليست في انتخابات مستعجلة قد تفجر الوضع. الفرصة في تشكيل «هيئة ثقة وطنية» لفترة انتقالية محددة بأربع سنوات. مهمتها توحيد المصرف المركزي والمؤسسة الوطنية للنفط والصندوق السيادي فوراً. فبدون توحيد المال لا توجد دولة. وإطلاق برنامج لإعادة الإعمار في الجنوب والشرق والغرب بتمويل من أصول الصندوق بدل أن تبقى مجمدة. واستكمال مشروع النهر الصناعي. ■

م. أ

ما زال هو الاسم اللامع في التاريخ العربي الحديث وموضع الجدل

هل كان عبد الناصر مجرد أسطوره... أم فكراًومشروعاً وتجربة انسانية

لندن: أمين الغفاري*

ارسل لي قارئ فاضل يسألني، (لماذا يظهر من كتاباتك، انحيازك لعبدالناصر، رغم الكوارث التي قام بها؟) وهو سؤال يسعدني ان احاول الاجابة عليه، والقضية ليست في مجملها قبولا وانحيازا، او رفضا وادانه لعهد من العهود ولكنها اعمق وابعد من العواطف ومعايير الحب أو الكره أو حتى الأعجاب، والاجدر من كل ذلك ،هو المزيد من الدراسة للتجربه أو حتى للظواهر التي نراها ماثلة امام اعيننا؟ و التي تلاحظها العين وكذلك الأذان بوضوح وهي ان عبدالناصر رغم رحيله منذ اكثر من نصف قرن، ما زال هو الاسم اللامع في التاريخ العربي الحديث وموضع الجدل واسمه يتردد على الألسنه، وصوره مازالت تملأ القلوب قبل العيون لدى الملايين من المحبين، بل مازالت صوره تعلق على جدران الكثير من المنازل، بل والمكاتب ذات الطابع الشخصي، وليس الرسمي، ثم نراها في المظاهرات والانتفاضات الشعبيه، حتى ان الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي قال ذات مره (عبد الناصر طبع صورته في الوجدان الشعبي).

وتمتد الملاحظات لبعض التقييمات بما فيها العواطف البشريه. هناك بالتاكيد من يمقتون عهد عبدالناصر أو حتى شخصه بضراوة ،وفي المقابل هناك ايضا من يحبونه ويعشقونه بل ويتعبدون في محرابه، ويتغنون به كأسطوره ،رغم اعتراض الراحل الكبير (محمد حسنين هيكل) ومقاله الشهير بعد رحيل عبدالناصر وعنوانه (عبدالناصر ليس اسطوره)، وقد سألته شخصيا ذات مره، بعد رحيل الرئيس انور السادات، وفي عهد الرئيس الراحل حسني مبارك قائلا (هل مازلت عند رأيك ان عبدالناصر ليس اسطوره ،بعد كل هذه المحن والأهوال التي رأيناها وعايشناها بعد رحيله ؟) ابتسم ورد قائلا (اعترض لان الأسطوره يمكن ان تنكسر، واذا صورنا الأمر ولو لثواني معدوده انه كان اسطوره، فأنت تنتقص من قدره، ولاتضيف اليه. عبدالناصر تكمن قيمته الكبري، انه تجربه انسانيه بديعه ،خاضت معارك مريره، وتحدت قوى عظمى كبيره، والهبت مشاعر امه بكاملها، وتردد صداها خارج الدائره العربيه، فيقول (فيدل كاسترو زعيم كوبا) لقد استلهمنا ثورة يوليو في مصر،وقائدها جمال عبدالناصر، لذلك فان قيمة عبدالناصر الأساسيه انها تجربه انسانيه، قدمت نموذجا للأرادة الوطنيه المستقله والحره وقدمت انجازات شامخه مثل بناء السد العالي ،وتأميم قناة السويس، وهما ركيزة هامة لهذه المرحله وللمراحل القادمة، على المستوى الوطني)،

عبدالناصر الانسان رحل بما له وبما عليه وحسابه في نهاية المطاف عند ربه، وحب البعض له وكره آخرين له، لا يقدم ولا يؤخر، ولكن يبقى من عبدالناصر التجربه والمشروع وهما الأساس في حياة الشعوب .يقولون انه كان ديكتاتورا وهذا صحيح فقد قال بعظمة لسانه: (الحريه ..كل الحريه للشعب ولا حرية لأعداء الشعب) ومن هم (اعداء الشعب) الذين يقصدهم). انهم الذين تتعارض مصالحهم الخاصة مع مصالح الشعب العامه) وهو كان بالتأكيد ديكتاتورا لأنه كان يؤمن بمشروعه الذي قاد من اجل تحقيقه ثورة ومشروعه الوطني، كان الأستقلال وبناء الدوله، على قواعد من الحرية الاجتماعيه ،والاستقلال الوطنى بدوره يحميه استقلال الأمه، وهنا كان ايمانه بالعروبه ،فالامه قادرة على حماية اقطارها، ولكي تستقل الأمه، لابد ان تتسع قاعدة الحريه في العالم ،وان لا يدور العالم في اطار كتلتين غربيه وشرقيه ،ومن هنا كانت سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابي ،و كانت له في حركته تلك ثلاثة دوائر يتحرك من خلالها لخدمة مشروعه الشامل وهو مناهضة الاستعمار وتحرير ارادة الانسان من كل صور الأستغلال ،والاستعباد بكل ألوانه واشكاله.

الدائرة العربية

وقف ضد كل المشروعات الأستعماريه، وضد الأحلاف العسكريه، امثال (حلف بغداد) ثم (مشروع ايزنهاور) ثم (الحلف الاسلامي) الذي ارادت الولايات المتحده تكوينه ،وتجعل من الملك سعود (بابا الاسلام) وقال أن الأمة العربيه امنها واحد ،ومشروعها النهضوي واحد فنحن امة واحده اهدافها واحده بفعل الارض الواحده والتاريخ الواحد والمصير الواحد.ولقد ترجم ذلك عمليا بمساندة (ثورة الجزائر) حيث اعلنت الثورة 1954 من اذاعة (صوت العرب) في القاهره، وامدها بالسلاح والعتاد.

وقد سألت ذات مره الزعيم الجزائري الراحل (أحمد بن بيلا) هل كان عبدالناصر هو الوحيد الذي ساند ثورتكم قال (لا كل الدول العربيه ساعدتنا ، ولكن كلها بضغط مباشر من عبدالناصرُثم اردف قائلا (انه أخي الذي لم تلده امي، وسأبقى وفيا له حتى القاه يوم ان ارحل) .ووقف مع (اليمن الشمالي) في ثورة (عبدالله السلال) واستقر النظام الجمهوري، بعد حكم (الأمامه) العتيق، وساند الثورة في (اليمن الجنوبي) حتى رحل الاستعمار البريطاني، ومن ثم خرجت بريطانيا العظمي من كل المنطقه، وساند الثوره العراقيه، واحتشد الجيش الأول (الجيش السوري) زمن (الجمهوريه العربيه المتحده) عام 1958 على الحدود العراقيه ان تحركت القوات البريطانيه في قاعدة (الحبانيه). مما ادى الى ارسال الولايات المتحده الأمريكيه بعض قواتها الى لبنان،تحسبا لأي تطورات. كما ارسل عبدالناصر قوات مصريه الى سوريا قبل الوحده 1957 ،لتقف مع القوات السوريه على الحدود التركيه ،حين لاح التهديد التركي لسوريا. ذلك كله كان يعكس باخلاص ايمانه المطلق بوحدة المصير.

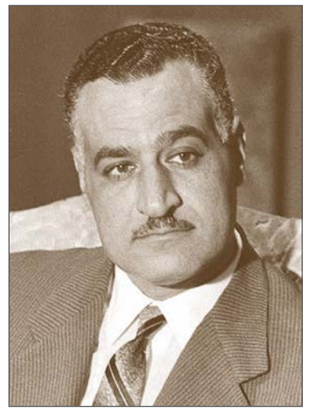

جمال عبدالناصر
يشتد الهجوم عليه حتى لا يتكرر

الزعيم احمد بن بيلا... فتح له عبدالناصر مخازن السلاح لتحرير الجزائر

الدائرة الافريقية

في افريقيا انشأ في القاهره مكتبا للشؤون الافريقيه برئاسة الجمهوريه وقام بادارته السيد (محمد فائق) وذلك لمساندة ودعم الثورات، وحركات التحرر الأفريقيه، إضافة إلى الرابطة الأفريقية، وسميت (الجمعية الأفريقية) بعد ذلك في القاهرة،وقد استضافت مكاتب ومقرات قيادات حركات التحرر الأفريقية، وتم التنسيق معها من حيث الدعم السياسي واللوجستي والعسكري والتدريبي لما تتطلبه حركات التحرر للقيام بواجباتها.

كما أنشأ شركة باسم (شركة النصر للأستيراد والتصدير)، وهي تعمل بالتعاون مع المخابرات العامه لتيسير سبل المساندة للثورات الافريقيه وغطاء لها، وكان اسم رئيسها (محمد غانم) له شأن كبير في افريقيا.وكان يحظى بالكثير من الوان التقدير والاحترام من كافة القوى السياسيه والشعبيه. ساند الكثير من حركات التحرر الافريقيه، في دول مثل غانا،وغينيا ومالي، وكينيا بل وحين شعر زعيم الكونغو الراحل، ان العميل تشومبي يضيق الخناق عليه، وحياته مهددة بالقتل، ارسل الى عبدالناصر خطابا، (قال له فيه سوف اشعر بالأمان لأسرتي حين ارسلهم اليك ،وقلت لهم ستذهبون لعمكم جمال وتعيشون تحت حمايته) وعمل عبدالناصر على تهريبهم الى مصر، عن طريق السفاره المصريه في العاصمة ليوبولدفيل 1960 وقد سميت كذلك على اسم ملك الدوله المستعمره (بلجيكا) وكان اسمه (ليوبولد الثاني) قبل ان يتغير اسمها 1966 وتصبح (كينشاسا) عاصمة الكونغو الديموقراطيه، وجاءوا الى مصر ،وتربوا في كنفها ،بعد اغتيال (لومومبا). ونجد من الوان الوفاء لذكري عبدالناصر، وعرفانا بفضله . نري في كوناكري عاصمة غينيا جامعه باسم (جمال عبدالناصر)،وفي باماكو عاصمة مالي (حي باسم مصر،وفندق باسم (جمال عبدالناصر) وفي مومباسا وهي المدينه الثانيه في كينيا طريقا رئيسيا باسم جمال عبدالناصر. بل ان (فنزويلا) اقامت له تمثالا في العاصمة (كاراكاس) ودعي نجله (عبد الحكيم عبدالناصر) لحضور ازاحة الستار عنه في الدائرة الاسلاميه.

على صعيد الدائرة الاسلاميه: وفى عهد جمال عبد الناصر تم زيادة عدد المساجد في مصر من أحد عشر ألف مسجد قبل الثورة إلى واحد وعشرين ألف مسجد .كما تم جعل مادة التربية الدينية (مادة إجبارية) يتوقف عليها النجاح أو الرسوب كباقى المواد، لأول مرة في تاريخ مصر، بينما كانت اختيارية في النظام الملكي. أنشأ عبد الناصر مدينة البعوث الإسلامية التى كان ومازال يدرس فيها عشرات الآلاف من الطلاب المسلمين على مساحة ثلاثين فداناً تضم طلاباً قادمين من سبعين دولة إسلامية يتعلمون في الأزهر مجانا ويقيمون في مصر إقامة كاملة مجانا أيضا، وقد زودت الدولة المصرية بأوامر من الرئيس عبد الناصر المدينة بكل الإمكانيات الحديثة وقفز عدد الطلاب المسلمين في الأزهر من خارج مصر إلى عشرات الأضعاف بسبب ذلك.

فى عهد عبد الناصر تم إنشاء إذاعة القرآن الكريم التى تذيع القرآن على مدار اليوم، تم تسجيل القرآن كاملا على أسطوانات وشرائط للمرة الأولى في التاريخ ، وكان عبد الناصر هو أول حاكم مسلم فى تاريخ الإسلام يجمع القرآن الكريم مسموعاً مجوداً ومرتلاً بأصوات كبار قراء القرآن الكريم فى زمنه، وتم توزيع أسطوانات وشرائط القرآن الكريم على أوسع نطاق في كل أنحاء العالم

على الصعيد الوطنى في مصر

اعلن النظام الجمهوري، واسقط حكم اسره ،لم يكن يعرف معظم افرادها اللغة العربيه، بل كان الملك فؤاد يتعثر في النطق بها،وحقق الجلاء ،وخرجت قوات الاحتلال بعد اكثر من سبعين عاما، وأعطي السودان حق تقرير المصير، واصدر قانون الاصلاح الزراعي الذي حرر الفلاح، بعد ثورات الفلاحين المتعددة وأبرزها ،واحدثها في اواخر الاربعينات في (بهوت) و(كفور نجم) حيث كان الاقطاع هناك اكثر ضراوه نظرا للمصاهرات العائليه مع عناصر نافذة في سلطة الحكم. وانشاء اكثر من الف ومائتي مصنع بين صناعات ثقيله ومركزيه وصناعات خفيفه تقوم على خدمة المجتمع، وبذلك أنشأ طبقه عماليه حرفيه ومدربه، لكي تقوم الصناعه متكاتفة مع الزراعه لبناء مجتمع جديد. حظر الفصل التعسفي الا من خلال لجنه ثلاثية يتم تشكيلها من النقابه ومكتب العمل والمؤسسه التي تزمع بالفصل.

كما جعل العامل عضوا في مجلس ادارة المنشأه بانتخابه من العمال، ووزع 25% من الارباح على عمال الشركات،واهتم بالتعليم (شهادة العالم الجليل الدكتور احمد زويل ان تعليم الستينات كان جيدا) . من خلال كل تلك الاجراءات، بالأضافه الى عمليات التأميم، تم التوصل الى اتساع الطبقة المتوسطه وتاريخيا وعلميا فان تلك الطبقة هي التي تساهم بحد كبير،في نهضة المجتمع وتقدمه، كما على مستوى الامان الاجتماعي، فان عوامل الاستقرار للمجتمع كفاية الطبقات الفقيره من حيث توفر فرص العمل والكفاية المادية، لضمان مستوى المعيشه والحماية من الانحراف بكل صوره. كانت ثورة عبد الناصر ثورة سياسيه للتحرر السياسي واجتماعيه تعتمد الكفاية في الانتاج والعدالة في التوزيع.

... وأخيراً

قد يعن للبعض سؤال جوهري ،هل يعني كل هذا السرد، انه لم تكن هناك اخطاء أو كوارث في هذه التجربه واقول بمنتهى التجرد ،ان كل توجهات عبدالناصر كانت صحيحه، وشخصيته القياديه الكارزميه كانت شديدة التوهج ولكن التطبيقات، وظروفها السياسيه، كانت بها مطبات، وهذا يظهر في نكسة 1967ولكن نظرا لتاريخه وللتجربه التي عايشها الشعب في قيادته، كان الاصرار على استمراره على مقعد القياده بارادة شعبيه كاسحه، ظهرت يومي 9، 10 يونيو 67، كما ارسل له الرئيس الفرنسي (الجنرال ديجول) رساله بعد اعلانه التنحي،قال له فيها (ان النصر والهزيمه في حياة الشعوب قضايا متداوله، ولعلك تذكر ان العاصمه الفرنسيه (باريس) قد احتلت من الالمان وتم تحريرها. انني ادرك ان كبريائك هو الذي دفعك للتنحى، ولكني اقول لك ان الشجاعه تكمن في التصدي وليس في الانسحاب. وعاد عبدالناصر للحكم ليخوض معركة الاستنزاف ويعد الجيش للمعركه الفاصله.

وكان الوداع ساعة رحيله حزينا الى حد النواح، وذاكراه عزيزة حتى البهجة الى حد الانتشاء، والسؤال الأخير لماذا لم تنته محاولات تشويهه، والنيل من سياساته باعتبارها كوارث. والاجابة شديدة البساطه ، حتى لا يتكرر،ويظهر مرة اخرى باسم جديد. والشعوب بالطبيعه ولاده.

*كاتب وصحافي مصري

محمد فائق... كان مسؤولا عن مساندة
حركة التحرر الافريقيه

الدكتور عزيز صدقي
باني النهضة الصناعيه المصريه

عراقيل إسرائيلية لمنع الدخول بالمرحلة الثانية

مصير غزة وألاعيب نتنياهو!

فلسطين: أكرم عطاالله

لن تكف غزة ذات المساحة الأصغر عن أن تكون ميدان السياسة الأكبر في الشرق الأوسط فلم تطفيء النيران التشتعلة في ايران والخليج وهج غزة التي لم تكف عن التعبير عن نفسها باحثة عن خلاص وسط الزلازل التي تضرب الإقليم سواء سياسية أو إقتصادية أو أمنية أظهرت هذا الإنكشاف للغطاء الأميركي الذي تعهد بحماية عواصم عربية مقابل المال قبل أن تكتشف تلك العواصم حدود القوة الأميركية وما أحدثته تلك النتائج الأولية لحرب لم تنته بعد لكنها أفرزت ما يكفي من الخلاصات التي دفعت عواصم إقليمية لإعادة النظر في ممكنات الأمن القومي وأدواته وتحالفاته التي لا يمكن الإتكاء على قديمها لصالح محاور أو تحالفات جديدة ربما عبر عنها الإتفاق الثلاثي بين الرياض واسلام أباد وأنقرة لكن غزة بقيت عنواناً سياسياً يبحث عن اجابات وسط كل هذا .

منذ الإعلان عن اتفاق شرم الشيخ في الثامن من أكتوبر الماضي والذي تضمن خطة الرئيس الأميركي دونالد ترامب للحل في غزة المكونة من واحد وعشرين بنداً بدءاً من وقف إطلاق النار وصولاً لتسليم حركة حماس لأسلحتها والإنسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة وبدء عملية الإعمار وإعادة دورة الحياة للمنطقة التي قرر الإسرائيلي موتها وقد جاءت الخطة على مرحلتين الأولى يتم فيها عملية تبادل الأسرى بين الجانبين «تتسلم اسرائيل ما تبقى من أسرى أحياء وجثث القتلى» وهذه كما تقرر أن تكون 72 ساعة يجري بعدها الدخول في المرحلة الثانية والتي تعني تسليم السلاح وانسحاب اسرائيل كاملاً من القطاع .

وكما جرت العادة وكما كل التوقعات عندما تتم مرحلة أي اتفاق فذلك يعني أن الإسرائيلي الذي ساهم بوضع تفاصيل خطة الرئيس الأميركي من خلال وزير الشئون الإستراتيجية وأحد أبرز مساعدي نتنياهو رون ديرمر قبل أن يقدم استقالته بالتعاون مع ستيف ويتكوف وجاريد كوشنير مطلع أيلول الماضي قبل أن يصل آنذاك نتنياهو لنيويورك لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة ليتفق على باقي تفاصيل الخطة مع الرئيس ترامب قبل إعلانها عندما تقسم أي اتفاق على مراحل فإن ذلك يعني أن هناك سوء نوايا اسرائيلية وهناك تاريخ من مرحلة الإتفاقيات وتطبيق المرحلة الأولى التي تضع فيها اسرائيل كل مصالحها وحاجاتها ثم التنصل من المراحل اللاحقة هذا حصل في أوسلو قبل أكثر من ثلاثة عقود ثم تكرر الأمر مع هدنة يناير 2025 قبل يومين من تسلم ترامب مفاتيح البيت الأبيض كانت قد أخذت بعض الأسرى في المرحلة الأولى ثم انقلبت في المرحلة الثانية لتستأنف الحرب والإغتيالات ويأخذ الأمر ما يقارب ثمانية أشهر قبل أن تتوقف الإبادة من جديد ليس بالمعنى الكلي فقد حافظت على مستوى من الإغتيالات ولم تتوقف عن القتل، صحيح أنه لم تتوقف الجرائم الإسرائيلية منذ أكتوبر الماضي لكن خفت وتيرتها .

تقريباً لم تتوقف المفاوضات على امتداد الأشهر السبعة السابقة منذ الإعلان وكان واضحاً أن الخصمان الذان يقفان أمام المعادلة يكتشفان صعوبة الدخول بالمرحلة الثانية وخصوصاً اسرائيل والتي بدأت بوضع العراقيل فبالنسبة لها ما جاء في المرحلة الثانية في بعض منه كان أشبه برشوة قدمت لحركة حماس لإغراء قبول الخطة وتنفيذ المرحلة الأولى التي يجري خلالها تسليم الأسرى لكن بعد أن تمت لم يعد من الضروري الإستمرار بتنفيذ المرحلة الثانية وخاصة أنها تعني الإستقرار وإعادة الإعمار وتفتح على ما هو أبعد سياسياً في بنديها الأخيرين بالحديث عن فتح مسار نحو دولة فلسطينية وإطلاق حوار سياسي بين الفلسطينيين واسرائيل وهذا ما عبر عنه بنيامين نتنياهو أكثر من مرة بانه يشكل خطراً وجودياً على اسرائيل أي إقامة الدولة الفلسطينية بل يفاخر بانه هو من منع إقامة هذه الدولة .

وبالمقابل بدت حركة حماس مترددة من دخول المسار فتسليمها للسلاح يشكل أيضاً تهديداً وجودياً ليس بالمعنى الأمني بل بالمعنى الذي يتعلق بالهوية والفكرة وجدارة استمرارها بين الفلسطينيين فهي جاءت على أنقاض التسوية التي لم تصل لنتيجة بين الفلسطينيين واسرائيل لتفسح المجال لحركة جاءت بالسلاح بديلاً كوصفة للتحرير وأقنعت الفلسطينيين بجدارة مسارها فماذا ستقول لهم حين تسلم السلاح ؟ ففي الفكرة ما يسدل الستار على تجربة بناها روادها بالدم إذن فهي تقف أمام معضلة وجودية وما بين معضلة اسرائيل ومعضلة حماس تجمدت اللحظة بفعل القوى الإسرائيلية القادرة على تحريك أو تجميد لما تملكه من عوامل دفع أو كبح .

لكن الوسطاء الذين كانوا يدركون فداحة اللحظة وإذا ما أفلتت لن تتكرر خاصة أنهم يعرفون طبيعة الرئيس الأميركي سريع الملل وكذلك انشغاله بحرب ايران التي تعثر خلالها وتأثر داخلياً ارتباطاً بإغلاق مضيق هرمز وارتفاع الأسعار في الولايات المتحدة وتأثيرها على تغير المزاج العام في الولايات المتحدة قبيل الإنتخابات وتهديدها لإستقرار الإغلبية الجمهورية كل تلك وغيرها كانت تكفي لخوف الوسطاء من استغلال اسرائيل لحالة الفراغ الناشئة لتنفيذ المشاريع الإستراتيجية الأخطر وعلى رأسها مشروع التهجير الذي لم يسقط من الأجندة حتى وقت قريب .

في يونيو الماضي تلقت الوساطة زخماً وسط تلك المناخات المحملة بالقلق وبمعرفة بالنوايا الإسرائيلية بتوافد أطراف الوساطة من الدوحة وأسطنبول للقاهرة وقد عقد الوسطاء ممثلين برئيس الوزراء القطري محمد بن عبد الرحمن آل ثاني ووزير الخارجية التركي هاكان فيدان ومدير المخابرات المصرية حسن رشاد عدة اجتماعات توزعت بينهم كوسطاء أو بينهم وبين الفصائل أو الإجتماع الأهم الذي عقده الوسطاء مع حركة حماس وحدها وقد كان اجتماعاً مصيرياً حيث تمكنت أطراف الوساطة من تقديم عرض يتعلق بحل أزمة موظفي الحركة ما كان يمكن أن يساعد في تنحيها عن إدارة القطاع بجهازها الحكومي طالما أن هناك عروض لحل الأزمة وبقيت مسالة السلاح التي تمكنت أطراف الوساطة من تقديم بعض الإقتراحات وكان الأمر أشبه بصفقة مقايضة تأخذ فيها الحركة أمان للموظفين مقابل تسليم السلاح وتنفيذ ما جاء في خطة ترامب مصحوبة ببعض التلويح بالإنتقال للخطة ب إذا لم توافق حماس على تسليمه والخطة ب أي تطبيق البند السابع عشر مما جاء في خطة الرئيس الأميركي والذي ينص على: «في حال تأخرت حركة حماس في الرد على المقترح أو رفضته يتم توسيع نطاق عمليات الإغاثة في المناطق الخالية من الإرهاب والتي يتم تسليمها من الجيش الإسرائيلي إلى قوة الإستقرار الدولية» ما دعى الحركة لإلغاء اجتماعتها مع الفصائل مطلع يوليو الماضي لتتداعى سريعاً لنقاش صفقة المقايضة «الموظفين مقابل السلاح» ذهبت الحركة إلى اسطنبول للحصول على إجماع وكانت اجتماعات اسطنبول فرصة لإنتخاب رئيس مكتبها السياسي بعد ما يقارب من عامين على شغور المنصب إديرت أثناءها من خلال مجلس جماعي فقد كان آخر رئيس للمكتب السياسي هو يحيى السنوار بعد اغتيال الرئيس اسماعيل هنية في طهران نهاية تموز 2024 وهو صاحب فكرة السابع من أكتوبر الذي اغتالته اسرائيل أيضاً في السابع عشر من أكتوبر من العام نفسه أي بعد شهرين ونصف من تسلمه منصبه فتنتخب في تركيا الدكتور خليل الحية رئيساً جديداً لمكتبها السياسي لكن الأهم أنها تحسم في النهايات ما كانت تحاول الهروب منه وهو التنحي عن حكم غزة بعد أن ظلت ترفض فكرة الحديث عن اليوم التالي بإعتبار أن الحرب ستنتهي كما كل الحروب وستظل كما كل الجولات تدير غزة دون أن تدرك أن الأمر هذه المرة مختلف وكذلك سؤال السلاح الذي يمثل تهديداً وجودياً للفكرة لكنها وافقت أخيراً سواء تحت ضغط اللحظة أو ضغط الوسطاء .

في موافقة حركة حماس على ذلك ما يعني الإستجابة لنهاية الحرب أو بشكل أكثر وضوحاً تحقيق اسرائيل لشروط الحرب التي شنتها على القطاع وأبادت سكانه وكان مفهوماً لمن يتابعون الصراع ويعرفون اسرائيل المسكونة بمجموعة من العقد السياسية والهواجس التاريخية أنها لن توقف حرباً قبل اسقاط حكم الحركة فالأمر يتعلق بفكرة استقرار الدولة فقد بات اسم الحركة الفلسطينية مصدراً للخوف من طوفان أقصى قادم حتى لو لم يات وبالتالي مَن مِن الإسرائيليين سيقبل بالإقامة على بعد كيلومترات من غزة؟ لذا وجد مشروع الحرب واسقاط حماس وتجريدها من سلاحها اجماعاً اسرائيلياً لم يتحقق على أي شيء خلال السنوات الماضية ولهذا كان المجتمع الإسرائيلي أكثر قبولاً للخسائر من أجل هدف كهذا .

لكن اسرائيل كعادتها لم تستقبل ما يوفر لها ما شنت حرباً لأجله فقد ادعت أن هذا غير كاف في البداية وبدأت تضع الشروط والعراقيل ومطالبات جديدة معتبرة أن ما قدمته حماس أصبح في جيبها وأن على الحركة أن تقدم المزيد فقد وضعت ثلاثة تحفظات على موافقة حماس الأولى أنه يجب اعدام السلاح لا تخزينه والثانية عدم اشراك قوات تركية أو قطرية بحجة أن تلك دول صديقة لحماس والثالثة ضمان حرية عمل جيش اسرائيل في قطاع غزة وهي شروط لا تغير كثيراً من طبيعة انفراجة كبرى قدمتها حركة حماس لكن كان لإسرائيل حينها رأي آخر يستعصي على الفهم فقد قدمت لها حماس ما تريده قدمت السلاح واسرائيل تقول لا، لا نريد ذلك فكيف يمكن فهمه؟ هل هو في إطار ابتزاز الخصوم على طاولة المفاوضات وعصرهم مثل ليمونة حتى آخر قطرة ؟ أم لديها مشاريع آخرى تقطع موافقة الحركة الفلسطينية تجريد نفسها من الحكم والسلاح الطريق على تلك المشاريع؟

من يتابع الحالة السياسية في اسرائيل وطبيعة العلاقة بين السلطة السياسية والشارع الإسرائيلي يدرك أنه لا يمكن لمرشح انتخابي أن يرفع شعارات ويذهب للإنتخابات دون تحقيقها وخاصة حين يضع الشعب في اسرائيل كل الإمكانيات البشرية والمادية بتصرف هذا المرشح مثل حالة بنيامين نتنياهو الذي تعهد منذ اليوم الأول للحرب بإسقاط حركة حماس وتجريدها من السلاح وبالتالي بدت معارضة نتنياهو في البداية على الإتفاق الذي تبلور مطلع يوليو أقرب للإبتزاز وحماية من شركاء الإئتلاف الذين يطالبون بعرقلة خارطة الطريق التي أطلقت عليها وزيرة الإستيطان من حزب الصهيومية الدينية أوريت ستروك بـ «خارطة الدم» في إطار تحريض وصناعة مناخات تخدم نتنياهو في مواجهة الضغوط الأميركية كأنه لا يستطيع السير إلى أين تريد واشنطن فلديه من المعارضة ما يكفي لعرقلة الإتفاق ولكنه يمكن أن يقدم القليل جداً وهذا ما يستطيعه فقط وهكذا يبيع الولايات المتحدة الفاتورة مرتين وبنفس الوقت يقطع الطريق على ضغوطات الوسطاء التي تتكثف على واشنطن في لحظات معينة.. إنه بنيامين نتنياهو المخادع الذي يجد مصلحته في تنفيذ الإتفاق كجزء من خطة هو نفسه قام بصياغتها لكنه يقف في مؤتمر صحفي معلناً رفضه لبنودها فقد اعتاد على الخداع .

الأزمات المتلاحقة أعادت رسم سلوك المستثمرين في الأسواق

الخوف والجشع... قوتان خفيتان تحركان قرارات المستثمرين

كتب المحرر الإقتصادي

لم تعد الأزمات أحداثاً استثنائية تنتظرها الأسواق، بل أصبحت جزءاً من إيقاع الاقتصاد العالمي. فمن جائحة كورونا إلى تسلسل الحروب، ومن اضطرابات سلاسل الإمداد إلى الرسوم الجمركية والتوترات الجيوسياسية، يعيش المستثمر اليوم في بيئة تتغير بوتيرة تفوق قدرته على التكيف. والمفارقة أن الخسائر الكبرى التي يسجلها المستثمرون لا تنجم دائماً عن سوء قراءة المؤشرات الاقتصادية، بل كثيراً ما تكون نتيجة قرارات تُتخذ تحت تأثير الخوف أو الطمع.

لسنوات طويلة، شكلت السندات الحكومية صمام أمان للمحافظ الاستثمارية؛ فكلما تراجعت أسواق الأسهم، اتجه المستثمرون إلى السندات بحثاً عن الأمان، لترتفع أسعارها وتنخفض عوائدها. غير أن عالم ما بعد الجائحة، مع عودة التضخم وتصاعد التوترات الجيوسياسية، أعاد رسم خريطة المخاطر. ففي كثير من الأحيان، باتت الأسهم والسندات تتراجعان معاً، لتفقد المحافظ التقليدية إحدى أهم أدوات الحماية التي اعتمدت عليها لعقود.

هذا التحول لا يفرض إعادة النظر في توزيع الأصول فحسب، بل يدفع إلى طرح سؤال أكثر عمقاً: هل تكمن المشكلة في الأسواق وحدها، أم في الطريقة التي نتعامل بها معها؟ من هنا، يبدأ علم الاقتصاد السلوكي، الذي ينقل الاهتمام من حركة الأسعار إلى حركة العقول، ومن تقلبات الأسواق إلى الانحيازات النفسية التي تصنع قرارات المستثمرين.

فالأسواق، مهما بلغت درجة تطورها، لا تتحرك بالأرقام وحدها، بل بالطريقة التي يفسر بها الراغبون في الاستثمار تلك الأرقام. وبين الخبر الاقتصادي وقرار البيع أو الشراء، تقف النفس البشرية بكل ما تحمله من خوف وطمع وأمل، لتصبح في كثير من الأحيان المحرك الحقيقي للأسعار.

عندما يتقاعد «الإنسان العقلاني»

لسنوات طويلة، سيطرت على الفكر الاقتصادي الكلاسيكي فكرة مفادها أن المستثمر يتصرف بعقلانية كاملة، ويقارن بين المعلومات المتاحة، ثم يتخذ القرار الذي يحقق له أكبر منفعة ممكنة. وانطلقت من هذه الفرضية نظريات مؤثرة، أبرزها فرضية كفاءة الأسواق، التي ترى أن الأسعار تعكس جميع المعلومات المتاحة، وبالتالي يصعب التفوق على السوق بصورة مستمرة.

غير أن الأزمات المالية المتكررة، من انهيار شركات التكنولوجيا مطلع الألفية إلى الأزمة المالية العالمية في عام 2008، ثم الاضطرابات التي رافقت جائحة كورونا، والتطورات الحاصلة في هذه الأيام، كشفت أن الأسواق كثيراً ما تتصرف بطريقة يصعب تفسيرها بالمنطق الاقتصادي وحده.

فالفقاعات السعرية لا تنشأ لأن الأصول أصبحت أكثر قيمة، بل لأن أعداداً متزايدة من الناس تقتنع بأنها ستواصل الارتفاع. في المقابل، فإن الانهيارات لا تحدث دائماً بسبب تغير جوهري في الأساسيات الاقتصادية، بل لأن الخوف ينتشر بين المستثمرين بسرعة تفوق انتشار المعلومات نفسها.

ولهذا، برز الاقتصاد السلوكي باعتباره أحد أهم فروع الاقتصاد الحديثة، إذ يجمع بين علم النفس والاقتصاد لفهم الطريقة التي يتخذ بها الإنسان قراراته المالية. وقد أسهمت أعمال الاقتصاديين المختصين في علم النفس المعرفي والاقتصاد السلوكي، دانيال كانيمان وعاموس تفرسكي، في إحداث تحول جذري في هذا المجال، حين أثبتت أن الإنسان لا يتصرف دائماً بعقلانية، بل يعتمد في كثير من الأحيان على اختصارات ذهنية وانحيازات نفسية تقوده إلى أخطاء متكررة، خصوصاً في أوقات عدم اليقين.

ولعل أبرز ما كشفته هذه الدراسات أن المستثمر لا يخشى الخسارة فحسب، بل يبالغ في تقديرها، ويمنحها وزناً نفسياً يفوق بكثير ما يمنحه للربح، وهو ما يفسر كثيراً من السلوكيات التي تتكرر في كل أزمة تقريباً.

لماذا نقع في الأخطاء نفسها؟

إذا كان التاريخ الاقتصادي يعج بالأزمات، فلماذا لا يتعلم المستثمرون من تجاربهم السابقة؟ يجيب علماء النفس بأن المشكلة لا تكمن في نقص المعلومات، بل في طريقة تعامل الدماغ معها. فعندما يشعر الإنسان بالخطر، تتراجع قدرته على التفكير التحليلي، بينما تزداد هيمنة العواطف والغرائز. وعندها يصبح اتخاذ القرار أقرب إلى رد فعل نفسي منه إلى عملية حسابية.

وهذا ما يفسر تكرار المشاهد نفسها في كل أزمة: بيع جماعي عند الهبوط، وشراء محموم عند الصعود، ثم ندم متأخر بعد انكشاف الصورة.

وتصف الدراسات هذه الظاهرة بأنها نتيجة مجموعة من الانحيازات الإدراكية التي تطورت عبر آلاف السنين لحماية الإنسان من الأخطار، لكنها لا تعمل بالكفاءة نفسها داخل الأسواق المالية الحديثة.

هنا أربعة فخاخ نفسية يقع فيها المستثمرون، وهي:

أولاً: الثقة المفرطة: يميل معظم الناس إلى المبالغة في تقدير قدراتهم، وهي ظاهرة معروفة في علم النفس باسم الثقة المفرطة.

فعندما ترتفع الأسواق لفترة طويلة، يبدأ المستثمر في الاعتقاد بأن نجاحه يعود إلى مهارته الشخصية، وليس إلى الظروف العامة للسوق. ومع مرور الوقت، يزداد اقتناعه بأنه يستطيع تحديد القمة والخروج قبل الانهيار.

لكن التاريخ يثبت العكس. ففي كل فقاعة مالية تقريباً، كان معظم المستثمرين يعتقدون أنهم سيتمكنون من البيع قبل الآخرين، بينما انتهى الأمر بأعداد كبيرة منهم إلى الاحتفاظ بأصول فقدت جزءاً كبيراً من قيمتها.

ثانياً: الانحياز التأكيدي: بمجرد أن يشتري المستثمر سهماً أو ذهباً أو عقاراً، يبدأ عقله في البحث عن كل معلومة تؤكد صحة قراره، ويتجاهل في المقابل الأخبار التي تشير إلى مخاطر محتملة.

فإذا كان مقتنعاً بأن الذهب سيواصل الارتفاع، فسوف يولي اهتماماً أكبر للتقارير التي تتحدث عن التوترات الجيوسياسية أو مشتريات البنوك المركزية، بينما يقلل من أهمية الأخبار المتعلقة بارتفاع أسعار الفائدة أو قوة الدولار، رغم تأثيرها المباشر في أسعار المعدن الأصفر.

هذه الانتقائية في استقبال المعلومات تمنح المستثمر شعوراً زائفاً بالثقة، وتجعله أقل استعداداً لتغيير رأيه حتى عندما تتغير الظروف.

ثالثاً: الخوف من الخسارة: ربما يكون هذا الانحياز هو الأكثر تأثيراً في القرارات المالية. فأبحاث الاقتصاد السلوكي تشير إلى أن الألم الناتج عن خسارة مبلغ معين يفوق، من الناحية النفسية، السعادة الناتجة عن ربح المبلغ نفسه.

ولهذا يتمسك كثير من المستثمرين بالأصول الخاسرة أملاً في أن تعود إلى سعر شرائها، ليس لأن المؤشرات تدعم ذلك، بل لأن الاعتراف بالخسارة يبدو مؤلماً.

والمفارقة أن هذا السلوك قد يحول خسارة محدودة إلى خسارة أكبر، لأن المستثمر يرفض اتخاذ القرار الصعب في الوقت المناسب.

رابعاً: الخوف من فوات الفرصة: في العصر الرقمي، لم تعد الأسواق وحدها هي التي تؤثر في قرارات المستثمر، بل أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي جزءاً من دورة الاستثمار نفسها.

فكلما انتشرت قصص الأرباح السريعة، يتولد شعور جماعي بأن الجميع يحقق مكاسب باستثناء من يقف خارج السوق. ويصبح الخوف من ضياع الفرصة أقوى من تقييم المخاطر، فتزداد عمليات الشراء عند مستويات مرتفعة، قبل أن تبدأ دورة التصحيح من جديد.

لقد أصبح هذا السلوك أحد أكثر السمات وضوحاً في الأسواق الحديثة، حيث تنتشر الأخبار والشائعات بسرعة هائلة، وتنتقل العدوى النفسية بين المستثمرين خلال دقائق، لا أسابيع كما كان يحدث في الماضي.

الانضباط أفضل استثمار في زمن الضبابية

إذا كانت الأزمات تكشف هشاشة الانفعالات الإنسانية، فإنها تكشف أيضاً قيمة الانضباط. فالمستثمرون الأكثر نجاحاً ليسوا بالضرورة أولئك الذين يتوقعون الأزمات بدقة، بل الذين يضعون قواعد واضحة لقراراتهم قبل وقوعها، ثم يلتزمون بها عندما تتصاعد الضغوط.

وتشير تجارب كثير من الصناديق الاستثمارية الكبرى إلى أن بناء الثروة على المدى الطويل لا يعتمد على ملاحقة كل حركة في الأسواق، بل على تنويع الأصول، والاستثمار التدريجي، وتجنب القرارات الانفعالية. فالشراء أثناء موجات الحماس الجماعي، أو البيع تحت وطأة الذعر، كانا سبباً في كثير من الخسائر التي شهدتها الأسواق عبر التاريخ.

وفي عالم يزداد تقلباً، ربما تكون أهم مهارة استثمارية ليست القدرة على توقع المستقبل، بل امتلاك الهدوء الكافي لاتخاذ القرار عندما يفقد الآخرون توازنهم. فالأسواق تتغير باستمرار، أما الانضباط فهو الأصل الذي لا يفقد قيمته.

ربما لم يعد ممكناً التنبؤ بالأزمة المقبلة، لكن أصبح من الممكن فهم الطريقة التي نتعامل بها معها.

فالتاريخ يثبت أن الأسواق تتعافى من معظم الصدمات، أما المستثمر الذي يعجز عن إدارة خوفه وطمعه، فقد لا يتعافى بالسهولة نفسها. وفي زمن تتغير فيه خرائط السياسة والاقتصاد بسرعة غير مسبوقة، قد يكون الاستثمار الأكثر حكمة هو ذلك الذي يبدأ بفهم النفس البشرية قبل فهم حركة الأسواق.

الأسواق كثيراً ما تتصرف بطريقة يصعب تفسيرها بالمنطق الاقتصادي وحده

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

اليابان: حقائق ماضي الحاضر ومدخلات القوة والضعف في حاضر المستقبل

تفيد التجربة اليابانية في الارتقاء أنها تثير الاعجاب الموضوعي حقا. فاليابان، التي تعني لغة بمصدر او مشرق الشمس، استطاعت وخلال فترة قصيرة نسبيا التحول من دولة كانت تعاني من المخرجات المتعددة للهزيمة العسكرية والاحتلال بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولة دخلت القرن الحادي والعشرين وهي ، كما يؤكد المستقبلي الأمريكي بول كنيدي، أكثر ثقة واطمئنانا. لذا، وفي ضوء الفرادة التاريخية للتجربة اليابانية، نتساءل: ما الذي أدى إلى هذه الفرادة التاريخية؟ ونرى أن الاجابة على هذا السؤال الاساس تتطلب تناول، ولو باختصار، امرين مهمين: أولهما: كيف كانت معطيات ماضي زمان الحاضر الياباني؟ وثانيهما: ما هي أبرز مدخلات القوة والضعف في الجسد القومي الياباني في زمان حاضر المستقبل. وفي ضوء حصيلة هذه المدخلات ,سنتناول في مقالنا للشهر القادم المشاهد البديلة لمستقبل اليابان في عام 2050.

اليابان خلال زمان ماضي الحاضر: مخرجات سنوات الاحتلال الامريكي

لقد انطوت سنوات هذا الاحتلال (1945–1952) على مخرجات معنوية واقتصادية وعسكرية مثلا على قدر عال من السلبية: فمعنويا مثلا عاشت اليابان إهانة الاستسلام دون قيد أو شرط. فالحاكم الأمريكي، الجنرال دوغلاس ماك آرثر، تصرف حيال الشعب الياباني تصرفا انتقاميا. اذ عمد مثلا إلى المغالاة في إذلالاهم عبر رمزهم القومي آنذاك، أي الامبراطور، مما جعل، " كل ياباني يرى نفسه تقريبا غارقا في بحيرة من العار." كما يؤكد الباحث العربي من تونس، الصافي سعيد.

وتبعا لآثار مجمل معطيات الواقع الذي عاشته اليابان خلال سنوات الاحتلال ساد رأي مفاده أن اليابان لن تنهض مرة أخرى. بيد أن الذي حصل لاحقا استوى والمعجزة حقا. وبهذا الصدد يقول الصافي سعيد أيضا: أن الشعب الياباني" ... لم ينتظر حتى يمر الزمان لكي ينسى جراحه، وإنما مضى إلى العمل وهو يعتقد أن الجراح لا يهزمها إلا العمل." ومما ساعد على ذلك أن الاحتلال الأمريكي لليابان اجج عصبية قومية قديمة عبرت عن ذاتها مثلا في البدء بمراجعة شاملة لكيفية النهوض مجددا اعتمادا على الذات ضمن سياسة الالتزام بعلاقة تبعية للولايات المتحدة الأمريكية. ويقول الأستاذ العربي من ليبيا، إبراهيم أبو خزام، أن هذه السياسة، التي اعتمدها، يوشيدا، أول رئيس للحكومة اليابانية بعد الحرب العالمية الثانية كانت " تخفي هدفا قوامه توظيف الولايات المتحدة سبيلا لترتيب الظروف الملائمة لتحقيق التفوق الاقتصادي اللاحق عليها."

وتفيد معطيات ما بعد الحرب العالمية الثانية، خصوصا بعد اعتماد الدستور الراهن عام 1947 وتحول النظام السياسي إلى ملكي دستوري امبراطوري وبرلماني، أن السياسة اليابانية الرامية إلى التفوق كانت ناجحة.. فالاقتصاد الياباني مثلا حقق عبر الزمان قفزات مهمة حقا. فبعد أن كانت اليابان في الستينيات من القرن الماضي ثالث قوة اقتصادية عالمية، اصبحت في عقد السبعينيات القوة الثانية بعد الولايات المتحدة. أما اليوم فهي تعد بمثابة القوة الاقتصادية العالمية الثالثة بعد الولايات المتحدة والصين.

لذا، منذ أن بدأت اليابان، الدولة المهزومة عسكريا وذات الموارد الطبيعية المحدودة، بالبروز كقوة اقتصادية عظمى، تساءل كثيرون عن تلك المدخلات التي سهلت هذا الإنجاز، او اللغز المحير كما يسميه المستقبلي الأمريكي المشهور بول كنيدي. وقد تعددت الاجتهادات وتباينت مضامينها. ومنها مثلا رؤيتان: فأما عن الأولى فهي لهذا المستقبلي، الذي أكد ان التفوق الياباني مردة تأثير مخرجات أربع مدخلات أساسية، هي: أولا، التوظيف الياباني للولايات المتحدة. وثانيا، الادخار الداخلي. وثالثا، اتساع السوق المحلية/الداخلية. ورابعا، الانفاق الواسع على البحث والتطوير. وأما عن الرؤية الثانية فهي لإبراهيم أبو خزام، الذي راي ان هذا البروز مردة تأثير مخرجات ثلاث مدخلات مركزية، هي: أولا, إرادة الانتقام من الولايات المتحدة. وثانيا، الاستقرار الداخلي. وثالثا، كفاءة نظام التعليم.

وعلى الرغم من تعدد الرؤى، بمعنى الاجتهادات، التي حاولت تفسير البروز والتفوق الاقتصادي الياباني، الا ان هذا التفوق ليس بمعزل عن التأثير العميق لمدخلات القوة التي يتميز بها الجسد القومي الياباني بالمقارنة مع تأثير مدخلات الضعف فيه. لذا سنتناول مدخلات القوة قبل التطرق الى مدخلات الضعف.

مدخلات القوة في الجسد القومي الياباني

تتعدد هذه المدخلات وتتنوع مضامينها وتكمن أبرزها عندنا في الاتي:

النظام القيمي الياباني

يتفق الراي على أن الفرد الياباني يتميز بولاء وانتماء فريد لوطنه. وينقل الصافي سعيد أحد الاقوال الشائعة التي تفيد:" أن حب المجتمع الياباني لذاته قد بلغ حد الانفصال عن الآخرين." ونرى ان مخرجات هذا المدخل تعود إلى التأثير الممتد لمجمل خصائص النظام القيمي، وبضمنه الأخلاقي، السائد في اليابان منذ قرون. ويؤكد الباحث الياباني, Moyumi Hoh أن هذا النظام يقوم مثلا على الطاعة، والتراتبية، والتمسك بالتقاليد الموروثة، والسيطرة على الذات، ونبذ الفردية، فضلا عن الانغماس في العمل. وجراء تأثير هذه الخصائص استطاعت اليابان المحافظة على نوعية تمسكها بنظامها القيمي. ولم يؤد تفاعلها الحضاري مع غيرها إلى التأثير سلبا بهذا التمسك. فمثلا، لم يؤد تبني اليابان للنظام الرأسمالي إلى أن تكون كسواها من المجتمعات الرأسمالية، التي تؤدي فيها الآنا دورا أساسيا. فكما يقول المستقبلي الأمريكي، ليستر ثرو: «أن العمل كفريق والولاء للمؤسسة مثلا استمرا يعبران عن خاصية قومية يابانية تدفع باليابانى إلى إيلاء الإنتاج، كما ونوعا، أولوية على الاستهلاك».

الإرث الحضاري

بعد الاستسلام الياباني في اواخر الحرب العالمية الثانية عملت الولايات المتحدة على دمج النظام السياسي الياباني بالنظام السائد في عالم الشمال ولغاية محددة كان قوامها الحيلولة دون انبعاث اليابان مجددا كقوة دولية مؤثرة. بيد أن معطيات السياسة الدولية في نهاية الاربعينيات واوائل الخمسينيات من القرن الماضي فرضت على الولايات المتحدة انتهاج سياسة أخرى. فالمخرجات الجي–استراتيجية للثورة الصينية عام 1949 وللحرب الكورية عام 1950احدثا تأثيرا مهما في إدراك الولايات المتحدة لدورها في اسيا وبضمنه موقع اليابان في هذا الدور. أذ أدركت أن إبقاء اليابان ضعيفة عسكريا ينطوي بحد ذاته على اضعاف لدورها الاسيوي. وجراء ذلك عمدت إلى إعادة تأهيل اليابان على شتى المستويات من أجل أن تكون أبرز حلفائها في أسيا. وقد جاءت حرب فيتنام للفترة 1955–1975 والتدخل العسكري الامريكي المباشر والواسع فيها عام 1965 لتؤكد الحاجة الامريكية لليابان وعلى نحو دعم الانفتاح الامريكي السابق بمدخل آخر مضاف.

وجراء ما تقدم، لم تتوان الحكومات اليابانية المتعاقبة عن توظيف هذه الحاجة الامريكية لصالح دعم النهوض الياباني، وبضمنه الاقتصادي. وعن مخرجات هذا التوظيف يؤكد الباحث العربي المصري حسين شريف «أن كل شيء كان (في وقته) يؤكد أن اليابان قد نهضت من الرماد أكثر قوة». وغني عن القول إن هذا النهوض لم يكن أصلا بمعزل عن أرادة الاستجابة للتحدي لدى اليابانيين. فهو حصيلة لها. ومن هنا، نرى أن مخرجات الإرث الحضاري متفاعلا مع قوة الدفع التي تنطوي عليها إرادة الاستجابة للتحدي تقدم انموذجا يؤكد فاعلية دوره في تامين النهوض والارتقاء الحضاري.

فاعلية نظام التربية والتعليم الياباني

يعد اهتمام اليابان بنظام التربية والتعليم قديم الزمان . فحسب الباحث العربي العراقي هشام البعاج، تعود البداية التاريخية لتأسيس نظام التربية والتعليم الياباني الراهن إلى عهد الامبراطور الميجي (1868–1912م). فهذا لم يسع إلى القضاء على الامية عبر نشر التعليم الالزامي، والتعليم عموما على نطاق واسع فحسب، وإنما أيضا إلى اختيار الصفوة من المتعلمين المتفوقين لتبوء المواقع القيادية في البلاد. وجراء مخرجات الإصلاحات، التي تم إدخالها ايضا بعد انتهاء عهد الميجي على نظام التربية والتعليم في اليابان، فأنها دعمت قدرتها آنذاك على الفعل الدولي المؤثر بعنصر مهم مضاف.

وعلى الرغم من أن سنوات الاحتلال الأمريكي لليابان جعلت نظامها للتربية والتعليم منساقا وراء الأهداف الأمريكية، بيد أن مخرجات هذا الاحتلال لم تحل دون استمرار تلك القناعة التي قوامها ان الارتقاء لا يكون بمعزل عن الاهتمام الخاص بالتربية والتعليم. لذا ذهبت اليابان، بعد انتهاء هذا الاحتلال، إلى الآخذ بنظام للتربية والتعليم قوامه مركزية التوجيه، الذي تتولاه الوزارات ذات العلاقة، ولا مركزية التنفيذ التي تتحمل مسؤوليته أكثر من (66.000) مدرسة تحتضن أكثر من (2.2) مليون تلميذ وأكثر من (1.3) مليون معلم. وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة ما قبل الجامعية في اليابان تستمر على مدى (220) يوما في السنة بالمقارنة مع نحو (180) يوما في الولايات المتحدة الامريكية وبعدد ساعات لا يقل عن (30) ساعة أسبوعيا. وعليه، يؤكد المستقبلي الأمريكي، بول كينيدي، أن التلميذ الياباني، وبعمر (14) سنة، يحصل على معرفة لا يحصل عليها نظيره الأمريكي إلا عندما يبلغ (17) أو (18) عاما.

وغني عن القول إن من بين المخرجات الإيجابية لنظام التربية والتعليم الياباني دوره في الحد من التناقضات العرقية والثقافية التي لا يخلو منها المجتمع الياباني، هذا على الرغم من أن اليابان تعد امة متجانسة في تكوينها القومي. فالعرق الياباني يشكل، حسب بيانات منظمة الأمم المتحدة، نحو 98.5% من مجموع السكان البالغ عدده في عام 2026 نحو (122.407) مليون نسمة.

التفوق التكنولوجي

قبل نهاية القرن الثامن عشر كانت اليابان دولة متخلفة. بيد أن هذا الواقع بدأ بالتغيير التدريجي مع الإصلاحات الشاملة للإمبراطور الميجي (1868–1912م). ويوكد بول كينيدي وسواه أن مخرجات هذه الإصلاحات، ولاسيما بعد هزائمها العسكرية مع الصين عام 1895 وروسيا القيصرية عام ,1905 ساعدت اليابان على أن تحقق «في بضع عشرات من السنين مما اقتضى تحقيقه (سنوات اطول في الغرب). أذ اصبحت... أمة عصرية ذات مؤسسات متطورة، وصناعة حربية». وقد كان سبيلها الأساس في ذلك تحقيق التفوق التكنولوجي /التقني على صعيد صناعات العصر الصناعي الاول وما بعده أيضا. وبعد الانتشار التجاري العالمي الواسع أحد مخرجات هذا التفوق.

وعلى الرغم من أن هذه المخرجات قد دفعت بدول عدة إلى تبني سياسات حمائية للحد من انتشار البضاعة اليابانية في أسواقها، بيد أن هذه السياسات لم تحل مع ذلك دون استمرار الانتشار العالمي لهذه البضاعة، وهو الامر الذي جعل الميزان التجاري بين اليابان والعديد من الدول لصالح الاولى، كما هو الحال مثلا مع الولايات المتحدة الأمريكية. ففي شهر حزيران من عام 2026 مثلا بلغت الصادرات اليابانية اليها، وحسب الاحصائيات المتاحة، نحو (11.99) مليار دولار امريكي مقابل (65.6) مليار دولار لمجمل الصادرات اليابانية للعالم، وبنسبة (18.2%) من هذه الصادرات. كذلك بلغت الصادرات الامريكية لليابان في العام ذاته نحو (9.88) مليار دولار. وتفيد المقارنة بين حجم صادرات كل من البلدين إلى الاخر أن الميزان التجاري بينهما استمر في الصالح الياباني.

كذلك يفيد حجم الاستثمار المالي لكل من الدولتين في الأخرى مثلا باستمرار غلبة الياباني زمانا على الأمريكي، حتى ان الرئيس الأمريكي الأسبق، ريتشارد نيكسون، كان قد قال في كتابه ما وراء السلام: «أن اليابان تسعى إلى تحويل الولايات المتحدة إلى مستعمرة اقتصادية لصالحها».

ولتأثير هذان المتغيران أعلاه، لم تخل العلاقة الأمريكية ـ اليابانية ومنذ زمان سابق على عقد التسعينيات من القرن الماضي من الصراع الاقتصادي الكامن في الأقل. لذا لا مغالاة في القول إن العلاقة الاقتصادية والتجارية اليابانية ـ الامريكية، التي تأسست بعد الحرب العالمية الثانية على انسياق ياباني مطلق وراء الولايات المتحدة، أضحت تنتمي إلى زمان مضى.

مدخلات الضعف في الجسد القومي الياباني

غني عن القول ان الجسد القومي لليابان، كسواه دوليا، لا يخلو من مدخلات ضعف تنطوي على تأثير في نوعية فاعليته الداخلية ومن ثم في الفاعلية الخارجية للدولة اليابانية. وتتعدد هي الأخرى هذه المدخلات وتتنوع مضامينها. ونرى أن أبرزها يكمن في التالي، وباختصار شديد:

محدودية الموارد الأولية الأساسية

جغرافيا، تقع اليابان في شرق اسيا كأرخبيل ضيق يتشكل من نحو (14215) جزيرة تفتقر جلها إلى الموارد الطبيعة المهمة في عملية البناء، كمصادر الطاقة والمعادن غير الوقودية مثلا، وفضلا عن ذلك تعد اليابان دولة غير زراعية في العموم. فمساحة الأرض الصالحة للزراعة فيها تعادل نحو 15% من مجمل مساحتها الكلية البالغة (378000) كلم مربع. وقد افضى هذا الواقع الطبيعي إلى عدة مخرجات تشكل مضامينها تحديات مهمة. ومن بين هذه المخرجات الاتي مثلا:

أولا، الاعتماد العالي على الخارج لتأمين الحاجات الداخلية، كالنفط. فعلى الرغم من توافر كميات محدودة للغاية من النفط والغاز الطبيعي في الأراضي اليابانية لا تلبي الا نسبة ضئيلة من الاحتياجات الداخلية. لذا تعتمد اليابان على الاستيراد الخارجي الذي يبلغ نحو (90%) وفق الاحصائيات المتاحة. وتعد منطقة دول الخليج العربي أبرز مناطق الفيض النفطي في العالم أهمية بالنسبة لليابان، سيما وأن هذه المنطقة تؤمن لها أكثر من (70%) من مجمل استيراداتها النفطية، الامر الذي جعلها بمثابة الدولة السابعة في العالم من حيث استيراد النفط.

ثانيا، لقد افضى ما تقدم إلى أن تصبح اليابان من بين الدول الصناعية الأكثر تأثرا بالأزمات والصراعات الدولية في مناطق الاستيرادات النفطية اليابانية. ولنتذكر مثلا تأثيرات مخرجات حرب تشرين عام 1973 والحرب الامريكية على العراق عام 1991 وكذلك الحرب الأمريكية– الإيرانية الراهنة والاغلاق الإيراني لمضيق هرمز على تدفق النفط المستورد إلى اليابان. أن هذه المخرجات جعلت اليابان من بين تلك الدول الأكثر انكشافا سياسيا خارجيا. ولنتذكر مثلا كيف تعاملت اليابان مع الحضر النفطي العربي عام 1974 ولصالح العرب.

ثالثا، مخرجات الانفاق الواسع على الاستيراد. لقد افضى التطلع إلى اشباع الحاجات الداخلية المتزايدة إلى إنفاق مالي متزايد، الآمر الذي أدى إلى تعرض احدى ركائز نهوضها، أي الادخار، إلى استنزاف مستمر. فإجمالي حجم الانفاق بلغ نحو (755) مليار دولار في عام 2026.

تحدي السكان

سكانا، تجمع اليابان بين خاصيتين مهمتين. فمن ناحية تعد دولة كثيفة السكان نسبيا. فعدد المواطنين وحدهم بلغ حاليا نحو (119.783) مليون نسمة. ويوشر هذا العدد، انخفاضا للسكان للعام السابع عشر على التوالي بسبب انخفاض معدلات الولادة. أما من الناحية الثانية، تعد اليابان إحدى الدول التي تتميز باستمرار ارتفاع نسبة كبار السن بالمقارنة مع الفئات العمرية الأخرى. أن النمو المستمر في عدد المعمرين يجعل منه الأعلى بالمقارنة مع مثيله في الولايات المتحدة واوربا كما يؤكد الباحث العربي من مصر عبد المنعم سعيد. كما أنه ينطوي على احتمالية تحول المجتمع الياباني إلى مجتمع قليل الإنتاج وكثير الاستهلاك. ان هذه الاحتمالية قد لا يلغيها قول الباحث الأمريكي McRae Hamish الذي يؤكد: «أن اليابان تتوافر على قدرة توظيفهم في اعمال تتناسب واعمارهم كما هو الحال مع دول صناعية أخرى».

تحدي افتقار النموذج الياباني للمعنى

يفيد مفهوم المعنى بدلالات متعددة. منها مثلا: مدى قدرة إحدى الدول على نشر قيمها الثقافية في العالم أو في أجزاء منه. وبهذه القدرة يراد بالحصيلة دعم التأثير الدولي على الفعل بعنصر مضاف.

وبالقدر الذي يتعلق باليابان، فعلى الرغم من أن الرأي يتفق على أن نموذجها في الارتقاء الحضاري يستحق الاعجاب، بيد أن هذا الواقع لا يلغي أن هذا النموذج يفتقر إلى القدرة الثقافية الداعمة له، أي إلى المعنى. ويكمن هذا الفقر في تأثير مجموعة مدخلات اجتماعية جعلت اليابان تولي ذاتها أولوية خاصة، ولعل ابروها انتشار شعور ياباني بالتميز عن الغير تأسس على قناعة بالنقاء العرقي دعمه تأثير مخرجات انغلاق طويل على الداخل، وتجنب التفاعل الحضاري مع الغير.

أن هذا الشعور الياباني بالتميز، الذي دعا العديد من الباحثين اليابانيين إلى نبذه لأثره السلبي على موقع بلادهم في العالم، يتفاعل مع لغة تتميز بصعوبة تعلمها بمخرجات أدت إلى تعطيل التعرف على الإنتاج الثقافي الياباني، ومن ثم انتشاره العالمي. ولا يلغي ما تقدم سعي اليابان إلى نشر ثقافتها وتسويق ثقافتها. ومما يساعد على ذلك وصول جيل جديد من صناع القرار، إلى قمة الهرم السياسي الداخلي أكثر انفتاحا على العالم وأعمق إدراكا بجدوى التفاعل الدولي.

وتفيد المقارنة بين تأثير عناصر القوة والضعف في الجسد القومي الياباني أن الأخيرة وان تنطوي على تأثير مهم إلا أن هذا يتضاءل حيال عناصر القوة، الامر الذي سيسهم في بلورة مشاهد المستقبل الياباني لاحقا من حيث الزمان. وسنتناول هذه المشاهد في مقالنا القادم.■

---

*استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

كتابة وإعداد: ماجدة داغر . شاعرة وإعلامية لبنانية

لكلّ مقامٍ ...

الذاكرة والزمن في حضارة الكتابة

تتبوّأ الكتابة مكانة رفيعة في الفنون القادرة على تحويل الزمن إلى ذاكرة حيّة تلتصق بكيان الإنسان، وتقف حصنًا منيعًا في وجه انسياب اللحظات نحو سراديب النسيان. فالحضارة الإنسانيّة التي شُيّدت على أساطين الخط والكلمة، لم تكن يومًا سوى صدى للصراعات الوجوديّة الدائمة، وسجّلاً خالداً يوثّق رحلة الإنسان في سبر أغوار ذاته والعالم.

يقول السوريالي الفرنسي أندريه بروتون عن الكتابة إنها "سلاح الذاكرة، بها لا تموت اللحظات لكن تظل حيّة في ضوء الكلمات". فهي لا تقف عند حدود استدعاء حوادث فرديّة زائلة، لكنها تتعدّاها لتشكّل وعاءً زمنيًا تتلاقى فيه ذوات الأفراد والشعوب في قالب الذاكرة الجماعيّة والحضاريّة. إنها نسيج معقود من سرديّات متشابكة تعيد صياغة الماضي وتحيله إلى حاضر نابض بالحياة، وهو ما عبر عنه الروائي الألماني توماس مان حين وصف الكتابة بأنّها "حادث مستمر من الحياة، حيث تستحيل التجارب الخاصة إلى ذات عامة تتقاسمها البشريّة عبر الأزمان". وفي ظل هذه الحضارة الكتابيّة، يتجاوز الزمن حركته الخطيّة البحت ليغدو فضاء متداخلًا تنسحب فيه الحدود بين الذكريات، والصدى، والحقيقة، حيث تلتقي اللحظات المبعثرة لتنشئ وعيًا وإنسانيّة جديدة، متمثّلة في تلك "الرحلة السرمديّة عبر زمن داخلي، يُمزج فيه الحاضر بالماضي بألوان الحلم والذاكرة"، كما وصفها الفيلسوف مارسيل بروست.

من هنا، ترتقي الكلمات لتصبح جسرًا متينًا يعبر الهوّة بين الذات والآخر، وبين الفرد والمجتمع، بل وتلغي المسافات الوهميّة بين العصور المتباينة لتشاطئها جميعًا عند ضفة واحدة.

تسجّل الكتابة تاريخًا روحيًا وأخلاقيًا يعيق ذوبان الإنسان في متاهة الزمن السريع، تزامنًا مع ما أراده الروائي الروسي دوستويفسكي حين رأى أن «الكتاب هو الحياة التي لم نعشها، والخبرة التي لم نمر بها، والذاكرة التي أرادت أن تزورنا». وبذلك، تتحوّل الكتابة إلى فعل فلسفيّ عميق يتجاوز حدود التوثيق السلبي للحوادث، لتشكّل وعي الإنسان بذاته ووجوده الزمني. فحين يمسك الكاتب بقلمه، يبدأ رحلة استنطاق داخلي وهجرة نحو الذات يتحقّق فيها الوعي في أبهى صوره، متأثّرًا بما أطّره الفيلسوف الفرنسي موريس ميرلو بونتي بأن «الكتابة هي تأمّل صامت في الذات، هي المساحة التي تُولد فيها الفكرة من احتكاك الإنسان بذاته والآخر».

في دفاتر الزمن والذاكرة، تتحوّل الكلمات إلى مرايا تعكس وجدان الإنسان وأعمق أبعاده بوضوح غير مسبوق، خالقة بذلك ذاكرة تحتضن التجربة الإنسانيّة بكل تناقضاتها. ومن خلال هذا السرد المستمر للأنا داخل الزمن، يكسر الإنسان عزلته ويصنع هويته الوجودية، معلناً بلسان جان بول سارتر: «أنا أكتب إذن أنا موجود».

تصبح الصيرورة والزمن مجرّد رماد أمام لحظة الكتابة، حيث تنضح فيها الذاكرة لتغدو صرحًا شيّدته الكلمات على أنقاض النسيان. وحينئذ، يتحوّل الزمن إلى استحضار دائم، لتظلّ الكتابة ذلك السحر الفريد الذي يجعل من الإنسان ذاكرة لحضارة لا تفنى، مستلهمةً رؤية الروائية مارغريت أتوود الخالدة: «التاريخ يُكتب وتُعاد كتابته، والكتابة هي ذاكرة الحضارة التي لا تموت». ■

ماجدة

مهرجان جرش للثقافة والفنون يختتم دورته الأربعينية التاريخية

■ في تظاهرة ثقافية وفنية كبرى تجسّد عراقة المشهد الإبداعي العربي وتوّصل حضوره، أسدلت مدينة جرش التاريخية في الأردن الستارة على فعاليات استثنائية لدورتها الأربعينية الكبرى التي جاءت تحت شعار «إرث يمتد.. أجيال تلتقي»، وسط حضور جماهيري غفير تجاوز عشرات الآلاف، وتغطية إعلامية عربية وعالمية واسعة.

وقد شكّل المهرجان، على مدار أيامه التي انطلقت أواخر تموز وامتدت حتى مطلع شهر آب، منصة حضورية وفكرية متكاملة احتفت بمسيرة أربعة عقود من العطاء الثقافي والفني. وصدحت الأروقة الأثرية للمدينة الرومانية بأهم الأسماء الشعرية، والأدبية، والموسيقية من مختلف أنحاء الوطن العربي، لتعيد تأكيد مكانة جرش كجسر حقيقي للتواصل الإنساني وحصن من حصون الوعي المجتمعي والذاكرة المشتركة.

من الأمسيات الشعرية في إربد

_وشهد البرنامج الثقافي المصاحب، الذي نظّم بالتنسيق مع الهيئات الثقافية ورابطة الكتّاب الأردنيين، ندوات فكرية عميقة وملتقيات للسرد ناقشت تحولات الرواية العربية في الألفية الثالثة، وقضايا الهوية والذاكرة وتحديات المشهد الثقافي المعاصر، إلى جانب أمسيات شعرية كبرى أحياها نخبة من الشعراء العرب والمحليين. وعلى المدرجات التاريخية، تقاطعت الفنون الجماهيرية الكبرى مع التراث الأصيل، حيث تألّقت العروض الموسيقية الاستثنائية واللوحات الفلكلورية التي قدمتها فرقة أبناء الجبال وغيرها من الفرق العربية والعالمية، لتخلق حالة من التلاحم الفني الفريد بين أصالة الماضي وروح الحداثة.

وأكدت اللجان المنظمة وإدارة المهرجان أن الإقبال الجماهيري الهائل والتنوع الديموغرافي للزوار يعكسان تعطش الجمهور العربي للفعاليات الفنية الرصينة التي تعلي من شأن الكلمة الهادفة والإبداع الأصيل. ولم تقتصر الفعاليات على العاصمة أو المدينة التاريخية، بل امتدت لتشمل محافظات أردنية عدة عبر شراكات استراتيجية، مما ضمن وصول الرسالة الثقافية إلى كل المناطق.

بهذا النجاح التنظيمي والجماهيري غير المسبوق، يثبت مهرجان جرش مجدداً أنه ذاكرة حيّة ومؤسسة وطنية وعربية كبرى ترسخ دور الثقافة كدرع حصين في وجه التحديات، وتؤكد قدرة الإبداع العربي على تجديد عطائه واستمرار نبضه من عمق التاريخ إلى رحاب المستقبل.

سمفونية فوق السحاب: عندما تعانق الموسيقى قمم المزار

■ في حضن طبيعة جبال لبنان الخلابة، حيث تلامس قمم الجبال أطراف السماء الزرقاء، وحيث ترسم شمس المغيب لوحات تتشح بذهب الأصيل وأرجوان الغسق، وضمن افتتاح فعاليات «مهرجان المزار السياحي 2026»، أقيمت أمسية موسيقية استثنائية حملت عنوان «سمفونية فوق السحاب».

على مسرح تحتشد فيه هيبة المكان وعظمة النغم، اعتلت الأوركسترا الفلهارمونية الوطنية اللبنانية الخشبة، بقيادة المايسترو لبنان بعلبكي، الذي قاد الأوركسترا بحس فني مرهف وقيادة واثقة تنسج من السكون إيقاعاً نابضاً بالحياة، جامعاً بين صرامة الأكاديمية ودفء الإحساس الوطني. وقد رافقتهما صوتاً وحضوراً السوبرانو المتألقة إيكاترينا سوميتشيفا، بصوتها الأوبرالي العذب الذي يمتد ليعانق الأفق، مستعرضة تقنية صوتية مذهلة، إلى جانب كورال جامعة سيدة اللويزة بقيادة الأب المايسترو خليل رحمة، هذا الكورال الذي يرتفع بالأصوات البشرية لتصبح أقرب ما تكون إلى مناجاة ملائكية ترتل في محراب الجمال الأبدي.

تألف البرنامج الموسيقي للأمسية من باقة مختارة من روائع الأوبرا العالمية والمقطوعات الأوركسترالية والكورالية التي تحاكي أعماق النفس البشرية وتغوص في تراجيدياتها وفرحها المطلق. استهلت الحفل مقطوعة (Bacchanale) من أوبرا «شمشون ودليلة» لـ سان صانس، وتلا ذلك عبق التراث الأوبرالي الإيطالي عبر مقطوعات خالدة مثل «كاستا ديفا» من أوبرا «نورما» لـ بيليني، حيث تجلت قدرة السوبرانو سوميتشيفا على تطويع نبراتها لتلامس حدود الإعجاز النغمي. وامتد السحر ليشمل موسيقى بوتشيني الباهرة في «أو ميو بابينو كارو»، و«إنترمزو مانون ليسكو»، حيث تتجلى الأوبرا كمرآة للوجع الرقيق، مروراً برشاقة «فالس كوبيليا» لـ Delebis التي أضفت إيقاعاً راقصاً يحاكي نسيم الجبال، وصولاً إلى الأجواء الروحانية المؤثرة في «ريجينا كويلي لـ «ماسكاني» بأداء مشترك بين السوبرانو والكورال، و«لي فوشه نوتورني» من أوبرا "إيل تروباتوري" لـ فيردي بصوت الكورال المهيب الذي ردده صدى صخور المزار... «سمفونية فوق السحاب» رحلة موسيقية وغوصاً عميقاً في دروب الشجن والجمال. حيث تماهت المقامات الغربية مع عظمة المكان اللبناني لتصنع حواراً حضارياً عابراً للحدود.

المايسترو لبنان بعلبكي

أيقونات

آنا أخماتوفا

ملكة الحزن الروسي وصوت الضمير الحيّ

■ حين تُذكر الإبادة الروحيّة والجسديّة التي واجهها الأدباء تحت وطأة الأنظمة الشموليّة في القرن العشرين، يبرز اسم الشاعرة الروسيّة الأبرز آنا أخماتوفا (1889 ـ 1966) كأيقونة فريدة للثبات والصمود. فلم تكن أخماتوفا مجرد شاعرة خطت قصائد وجدانيّة عذبة، بل تحوّلت بمرور الأيام إلى ضمير وطنيّ حيّ ورمز أزليّ للمرأة التي رفضت الانكسار أمام آلة القمع والموت.

ولدت آنا أندريفنا غورينكو قرب مدينة أوديسا ونشأت في أجواء مترفة بضواحي سانت بطرسبرغ. برزت في مطلع شبابها كأحد أهم نجوم الحركة «الأكميّة» الشعريّة التي نادت بالوضوح والدقة والابتعاد عن التجريد الرمزي الغامض. مع صدور مجموعتيها الأوليين "مساء" (1912) و«المسبحة» (1914)، حققت شهرة واسعة ومفاجئة، إذ لامست بكلماتها الموجزة والمكثفة تفاصيل العشق وخيبة الأمل والوجد الإنساني بعمق أنثويّ طاغ وشفافية نادرة.

لكن التاريخ الخارجي كان يخبئ لتحفتها الشعرية مساراً تراجيدياً قاسياً. فمع اندلاع الثورة البلشفية وتبدّل المشهد السياسي السوفياتي، دخلت أخماتوفا في أتون العزلة والتهميش. أُعدم زوجها الأول الشاعر نيكولاي غوميليوف، واعتقل ابنها ليف لسنوات طويلة في معسكرات الاعتقال، ومُنعت كتبها من التداول لفترات تمتد لأعوام، بل وواجهت حملات تخوين وقمع قاسية من أيديولوجيي الحزب.

في تلك الظروف الحالكة، وتحت سماء لينينغراد المرعبة، وقفت أخماتوفا شهوراً طويلة في طوابير السجون الطويلة بانتظار خبر عن ابنها. من رحم هذا العذاب الرهيب، ولدت تحفتها الخالدة «القداس الجنائزي» (Requiem)، وهو سفر شعريّ مأساوي يوثق ببراعة استثنائية صرخات الأمهات والزوجات المعذبات تحت الإرهاب الستاليني. حفظت تلك القصائد غيباً وتناقلتها الأجيال سراً لسنوات طويلة خوفاً من البطش، لتتحول أخماتوفا إلى «كاساندرا روسيا» وصوت الملايين الصامتين.

لم تغادر وطنها رغم كل الإغراءات والويلات، مفضلة البقاء مع شعبها تحت مظلة الألم المشترك. وفي سنواتها الأخيرة، عادت التقديرات العالمية لتنحني أمام قامتها الرفيعة، فنالت جائزة «إتنا تورمينا» في إيطاليا وحصلت على الدكتوراه الفخرية من جامعة أكسفورد عام 1965. رحلت أخماتوفا عام 1966 تاركة إرثًا خالدًا يثبت أن الكلمة الحرة أقوى من الطغاة، وأن الشعر الحقيقي قادر على النجاة حتى من قلب الرماد.

الشاعر عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ لـ«الحصاد»:

الهوية السعودية اليوم هي مشروعٌ يصنع المستقبل

السعودية: لطيفة حسيب القاضي *

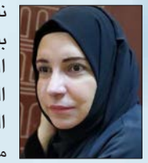

نلتقي اليوم بشخصية أثْرَت الساحة الشعرية والفنية السعودية على مدى عقود، هو الشاعر عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، المولود في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية . اسمه ارتبط بالكلمة الصادقة والقصيدة التي وجدت طريقها إلى قلوب الناس عبر أصوات كبار الفنانين، حيث وصلت كلماته بصدقها عبر فنانين كبار مثل محمد عبده، ورابح صقر، و اصالة، وكاظم الساهر، وغيرهم

رغم شهرته الواسعة وحضوره اللافت في المشهد الثقافي، لا يزال يفضّل لقبه الأول الذي عرفه به جمهوره: هاوي

في هذا الحوار، نفتح معه صفحات من مسيرته: بداياته مع الشعر، وأسراره ومحطاته الفنية، وآرائه في قضايا الشعر والمجتمع، لنقترب أكثر من عبد اللطيف آل الشيخ الإنسان قبل الشاعر..

● «الحصاد»: كيف تصف علاقتك الأولى باللغة قبل أن تتحول إلى شاعر، هل كانت اللغة أداة للتعبير، أم كانت هي التي اختارتك و قادتك إلى الشعر؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ: أعتقد أن اللغة سبقتني إليّ، قبل أن أصل إليها . لم تكن بالنسبة لي مجرد وسيلة لأقول ما أشعر به، بل كانت طريقةً لأفهم ما أشعر به أصلاً. هناك فرق بين من يستخدم اللغة ليصف العالم، وبين من يكتشف العالم من خلالها. منذ وقت مبكر كنت أتوقف عند الكلمات أكثر مما أتوقف عند الأشياء، لأنني كنت أؤمن أن لكل كلمة ظلاً لا يراه الجميع، وأن أجمل ما في اللغة ليس ما تقوله، بل ما توحي به.

وحين بدأت أكتب الشعر لم أشعر أنني انتقلت من مرحلة إلى أخرى، بل شعرت أن اللغة وجدت الشكل الذي يناسبها داخلي. لذلك لا أستطيع أن أقول إنني اخترت الشعر، بقدر ما أقول إن الشعر كان الطريق الذي اختارت اللغة أن تتحدث إليّ من خلاله.

ولهذا ما زلت أتعامل مع القصيدة حتى اليوم، لا بوصفها صناعة كلمات، بل محاولةً لاكتشاف معنى جديد لم يكن موجوداً قبل أن تُكتب..

● «الحصاد»: مدينة الطائف، بذاكرتها وطبيعتها وإنسانها، شكّلت محضنًا أوليًا لنشأتك. ماذا بقي من طائف الطفولة والبلوغ في مفرداتك وصورك الشعرية حتى اليوم؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ: الطائف بالنسبة لي ليست مدينة الاقامة، بل مدينة البدايات. كنا نقضي فيها الإجازات الصيفية، لكنها كانت كافية لتترك في داخلي أثراً لا يقاس بعدد السنوات.

فيها عرفت الحارة بمعناها الحقيقي، والشقاوة الأولى، وأصدقاء الصيف الذين كنا نودعهم على وعدٍ بلقاءٍ في الإجازة القادمة، وكأن الزمن لا يعرف الفراق..

أعتقد أن الإنسان لا يتشكل فقط في المكان الذي يعيش فيه، بل أيضاً في المكان الذي ينتظره كل عام. والطائف كانت بالنسبة لي موعداً مع الحرية أكثر منها عنواناً للسكن.. ربما لهذا السبب لا تظهر الطائف في شعري بوصفها جغرافيا، بل بوصفها شعوراً. كلما كتبت عن البراءة، أو الحنين، أو البدايات، أشعر أن شيئاً من تلك الصيفيات يعود ليكتب معي، حتى وإن لم أذكر اسم الطائف مرةً واحدة.

> تشرفت بالتعاون مع قاماتٍ كبيرة مثل طلال مداح ومحمد عبده وعبادي الجوهر، كما سعدت بالتعاون مع معظم المطربين العرب

● «الحصاد»: شهدت بداياتك الشعرية انطلاقة تحت اسم مستعار «هاوي» وأعرف من تجربتك أن «هاوي» لم يكن محاولة للاختباء، بل كان موقفاً من الشهرة، ومن فكرة الكتابة نفسها.ماذا أضاف لك قبل أن تكشف هويتك الأدبية؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ: هذا سؤال جميل.

اخترت اسم «هاوي» لأنني كنت أريد أن تصل الكلمة قبل صاحبها. كنت مؤمناً أن النص الجيد لا يحتاج إلى اسم كبير، بل يحتاج إلى قارئٍ عادل..

في تلك المرحلة كنت أراقب ردود الفعل بفضول، وأريد أن أعرف هل ما أكتبه يعيش بقيمته، أم بقيمة الاسم الذي يقف خلفه. وكانت النتيجة مطمئنة بالنسبة لي.

الحقيقة أن «هاوي» لم يكن اسماً مستعاراً بقدر ما كان قناعة. فما زلت أؤمن أن الكاتب، مهما بلغ، يجب أن يحتفظ بداخله بشيء من الهاوي؛ لأن الاحتراف قد يمنحك الأدوات، لكنه أحياناً يسلبك الدهشة

وعندما أعلنت اسمي الحقيقي لم أشعر أنني بدأت من جديد، بل شعرت أنني قدمت للقارئ الشخص الذي كان يقف بهدوء خلف النص طوال تلك السنوات.

وربما لهذا السبب بقي «هاوي» جزءاً من هويتي حتى اليوم، لأنه يذكرني دائماً أن أول علاقة بين الكاتب والكتابة يجب أن تكون علاقة حب، لا علاقة مهنة

● «الحصاد»: عملت في مجال القانون، وهو عالم يقوم على الدقة والانضباط، في حين يقوم الشعر على الخيال والانفعال. كيف يوازن عبد اللطيف آل الشيخ بين صرامة الحرف القانوني وعذوبة النبض الشعري، وأيهما يترك أثرًا أكبر في الآخر؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ:في الحقيقة لم أشعر يوماً أن بين القانون والشعر خصومة، بل كنت أراهما يسيران إلى الهدف نفسه بطريقين مختلفين.القانون يبحث عن الحقيقة بالأدلة، أما الشعر فيبحث عنها بالمشاعر. القانون يزن الكلمات، والشعر يزن ما وراء الكلمات.

دراستي للقانون علّمتني أن الكلمة ليست بريئة دائماً، وأن تغيير مفردة واحدة قد يغيّر المعنى كله. لذلك أصبحت أكثر صبراً مع النص، وأقل استعجالاً في إطلاق العبارات. وفي المقابل منحني الشعر شيئاً يحتاجه كل قانوني، وهو ألا ينسى أن خلف كل قضية إنساناً، وخلف كل مادة نظامية حكايةً بشرية.

أعتقد أن دراستي للقانون هذّبت لغتي، لكن الشعر وسّع رؤيتي. الأول علّمني كيف أكتب بدقة، والثاني علّمني لماذا أكتب أصلا .

ولهذا لا أستطيع أن أفصل بينهما، لأن كلاً منهما أنقذ الآخر من التطرف؛ فالقانون منع الشعر من الفوضى، والشعر منع القانون من الجفاف.

● «الحصاد»: حدّثنا عن طقوس الكتابة لديك؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ:قد يبدو الأمر غريباً، لكنني لا أؤمن كثيراً بطقوس الكتابة. أؤمن بطقوس الحياة، لأن الكتابة في النهاية هي ابنة الحياة.

الفكرة لا تستأذن أحداً. قد تأتي وأنا أقود السيارة، أو أقرأ كتاباً أو أشاهد مشهداً عادياً يمر به الجميع ولا يلتفتون إليه. لذلك أحاول أن أكون مستعداً لها دائماً،لا أن أجبرها على الحضور في ساعةٍ محددة.

أما عندما أجلس للكتابة، فأنا لا أبدأ بالقلم، بل بالسؤال. إذا لم أجد سؤالاً يستحق أن أطارده، فلن أكتب، لأنني أرى أن كل نص جيد هو محاولة للإجابة عن سؤال، أو لطرح سؤالٍ أجمل.

وبعد أن أكتب، تبدأ المرحلة الأصعب، وهي الحذف. كثيرون يظنون أن الكتابة تعني إضافة الكلمات، بينما أعتقد أن نضج الكاتب يظهر في قدرته على الاستغناء عنها. أحياناً أحذف أكثر مما أُبقي، حتى أشعر أن كل كلمة أصبحت تؤدي عملاً لا يستطيع غيرها أن يؤديه.

لذلك أستطيع أن أقول إن طقسي الوحيد هو ألا أنشر نصاً حتى أشعر أنه لم يعد يحتاج إليّ، بل أصبح قادراً على الدفاع عن نفسه أمام القارئ.

● «الحصاد»: كتبت على منصة أكس هذا النص النثري: «هذه ليلتي.. فحين يضج العالم خلف النوافذ.. يبدأ البيت في رواية الحكايات التي لا يسمعها إلا أصحابه»، يبدو الليل مساحةً للإنصات إلى الأصوات الخفية التي يغفلها ضجيج النهار. هل ترى أن العزلة شرطٌ لولادة القصيدة، أم أن البيت هنا رمزٌ لذاكرة الإنسان التي لا تبوح بأسرارها إلا في لحظات السكون؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ: أعتقد أن العزلة ليست شرطاً لولادة القصيدة، لكنها تمنحها فرصة أن تسمع نفسها. فالقصيدة قد تولد في زحام الناس، لكن فهمها غالباً يحتاج إلى شيء من السكون.

أما البيت في ذلك النص، فلم يكن مجرد جدران وسقف، بل كان رمزاً للمكان الوحيد الذي يتوقف فيه الإنسان عن أداء أدواره. خارج البيت لكل واحدٍ منا شخصية يفرضها العمل، والمجتمع، والواجبات، أما داخله فيعود إلى صورته الأولى.

الليل يساعد على ذلك، لأنه يخفف ضجيج العالم، وحين يهدأ الخارج، يبدأ الداخل بالكلام. وربما لهذا السبب تبدو بعض الأفكار وكأنها اختارت الليل موعداً لها، لا لأن الليل يصنعها، بل لأنه لا يقاطعها .

وأؤمن أن لكل بيت ذاكرة. ليس لأنه يحتفظ بالأثاث، بل لأنه يحتفظ بالأصوات، والغيابات، واللحظات التي مرت به. لذلك قلت إنه يروي حكاياته، لأن الأماكن، مثل البشر، إذا طال بها العمر، أصبحت تملك ما يستحق أن يُروى،وأظن أن الكاتب لا يبتكر تلك الحكايات، بل يتعلم كيف يُنصت إليها .

● «الحصاد»: يبدو أن الوطن في تجربتك الشعرية ليس مجرد موضوع للقصيدة، بل قيمة فكرية تتداخل مع مواقفك الإعلامية والثقافية. كيف تنجح في تحويل القصيدة من تعبير وجداني إلى خطاب وطني يُسهم في تعزيز الانتماء والوعي دون أن يفقد الشعر جماله وحريّته؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ: أن الهوية السعودية بالنسبة لي ليست موضوعاً أكتبه، بل منظاراً أرى من خلاله العالم. لذلك لا أبحث عن إدخال الوطن إلى القصيدة، لأنه حاضر فيها من البداية.

لا أحب أن تتحول القصيدة إلى خطاب مباشر، لأن الشعر يفقد شيئاً من جماله حين يشرح أكثر مما يوحي. ما أحاول أن أفعله هو أن أجعل القارئ يشعر بالانتماء، لا أن أطلب منه ذلك.

أؤمن أن الهوية السعودية اليوم ليست امتداداً للماضي فقط، بل مشروعٌ يصنع المستقبل أيضاً.

وعندما يخرج هذا الإيمان بصدق، يصبح جزءاً من القصيدة دون أن ينتقص من حريتها أو جمالها، لأن أجمل الشعر هو ما يولد من قناعة، لا من تكلف

● «الحصاد»: تعاونت مع كبار الفنانين مثل طلال مداح ومحمد عبده وعبادي الجوهر. كيف ترى رحلة القصيدة من نص مكتوب إلى عمل غنائي، وهل تغيرت علاقة الشاعر بالملحن اليوم عما كانت عليه زمن الرواد؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ:أنا أُفرّق دائماً بين القصيدة والأغنية. فالقصيدة كيانٌ أدبي مكتمل، يستطيع أن يعيش وحده، أما الأغنية فهي فنٌ جماعي، تبدأ بالكلمة، لكنها لا تكتمل إلا حين يلتقي بها اللحن، ثم يمنحها الصوت حياةً أخرى. وهذا لا يمنع أن تتحول بعض قصائدي إلى أغانٍ عندما أشعر أن النص يمتلك هذه القابلية.

تشرفت بالتعاون مع قاماتٍ كبيرة مثل طلال مداح، ومحمد عبده، وعبادي الجوهر، كما سعدت بالتعاون مع معظم المطربين العرب. لم أنظر يوماً إلى الفن بحدود الجغرافيا، لأنني مؤمن أن الفن لغةٌ عالمية، وأن الأغنية الصادقة تستطيع أن تعبر الحدود قبل أن تعبرها اللهجات.

وربما لهذا أرى أن العلاقة بين الشاعر والملحن ليست علاقة عمل، بل علاقة اكتشاف. فالشاعر يكتب موسيقى لا تُسمع، والملحن يسمع كلماتٍ لا تُرى. وحين يلتقي الاثنان بصدقٍ، لا يولد لحنٌ للنص، بل يولد النص من جديد

● «الحصاد»: يرى البعض أن القصيدة المكتوبة للغناء تخضع لقيود تُضعف قيمتها الأدبية، وأن الأغنية الخليجية باتت تعتمد على الإيقاع أكثر من الكلمة. كيف ترد على هذا الرأي، وهل المشكلة في النص أم في طريقة تلقي الجمهور؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ: لا أعتقد أن القصيدة التي تُكتب للغناء أقل قيمةً من غيرها، لأن القيمة الأدبية لا يحددها المصير الذي تنتهي إليه القصيدة، بل الجودة التي تبدأ بها. هناك قصائد عظيمة أصبحت أغانياً، وهناك قصائد بقيت في الدواوين ولم يتذكرها أحد.

أما مسألة تغليب الإيقاع على الكلمة، فأظن أنها ليست مشكلة النص وحده، ولا المتلقي وحده، بل هي نتيجة لحركة المشهد الفني كله. كل عصر يبرز فيه عنصر أكثر من غيره، ثم يعود التوازن من جديد.

وأنا مؤمن أن الكلمة الصادقة لا تخسر مع الزمن، حتى لو غطى عليها الإيقاع لفترة. لأن اللحن يفتح الباب للأغنية، لكن الكلمة هي التي تجعلها تبقى.

في النهاية، لا يوجد صراع بين الكلمة واللحن، فالأغنية العظيمة لا ينتصر فيها أحد على الآخر، بل ينتصر العمل كله

● «الحصاد»: في زمن الاغنية السريعة ومنصات التواصل، هل ما زال المستمع يبحث عن الكلمة الرصينة التي تحمل فكرة وقصة؟

○ عبد اللطيف آل الشيخ: لا أعتقد أن ذائقة الإنسان تغيّرت، بل طريقة استهلاكه هي التي تغيّرت. فالإنسان ما زال يبحث عن الكلمة الجميلة، لكنه يريد أن تصل إليه بطريقة تناسب إيقاع عصره.

الأغنية السريعة قد تحقق انتشاراً واسعاً، لكنها لا تعني بالضرورة أنها ستعيش طويلاً. أما الكلمة التي تحمل فكرة، أو تلامس تجربة إنسانية صادقة، فلها قدرة غريبة على مقاومة الزمن. ■

*أديبة، شاعرة وقاصّة

النص الكامل على موقعنا الإلكتروني

الشاعر عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ

«لا»... التي جعلتني شاعرة

سوريا ـ فاطما خضر*

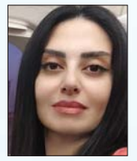

في هذه البقعة الجغرافية الممسوسة بالخوف والقلق، من الطبيعي أن تكون أغلب الولادات البشرية ذوات انحناء في الرقبة، وطأطأة في الرأس، وتقوّس في العمود الفقري؛ مع ملامح وجه يغلب عليها الخجل. يمكن أن تلاحظ بوضوح أنّ العيون ترتجف، كما لو أنّها لا تقوى على استدامة النظر إلى شيء أو شخص بعينه؛ مع توجيه شبه دائم لمدى النظر نحو الأسفل. وستلاحظ أيضًا أنّ الشفاه ترتعش ما أن همَّت في نطق حتّى تحيَّة الصباح.

رقبةٌ مشدودةٌ مقابل خسارة كرتونة

كنت في الصف الثالث الابتدائي، عندما لاحظتُ أنّ رقبتي بدأت بالانحناء من كثرة قولي لكلمتي «نعم» و «حاضر». ثمّ في يوم توزيع الجلاءات المدرسية للفصل الدراسي الأوّل، أعطت المعلّمة مني ابنها شهادة امتياز، وأخبرتنا أنّه نال المرتبة الأولى بمفرده، في حين أعطتني شهادة تفوُّق وأخبرتني أنّي حصلت على المرتبة الثانية. وضعت الجلاء مع شهادة التفوّق على طاولتها وقلت لها: «لا أريدهم». وبمجرّد لفظي لكلمة «لا»، لاحظت أنّ شكل رقبتي قد تغيَّر قليلًا. ملاحظةٌ كانت حينها بمثابة أعظم اكتشافاتي، لذلك حين وبَّختني المعلّمة على سلوكي، ابتسمت لاكتشافي وكررت قولي: «لا أريدهم». ثمّ أضفت: «أنا أشطر من ابنك». وسرعان ما لاحظت التأثير الخفي المباشر لكلمة «لا» للمرّة الثانية على رقبتي.

وحين وصلت البيت، كان أخوتي يستعرضون جلاءاتهم على أمّي، سألتني عن جلائي المدرسي، فأخبرتها عن ما حصل، فوبّختني. قلت لها صباح اليوم التالي: «لا أريد الذهاب إلى المدرسة»، ولاحظت هنا الاستقامة التي اكتسبتها رقبتي تمامًا. شدّتني أمّي من أذني، وأنا أكرّر رفضي الذهاب إلى صفّ تلك المعلمة الغشّاشة، التي تُحابي ابنها على بقية التلاميذ. كانت طبيعة عمل والدي تفرض غيابه عن المنزل عدّة أيّام، وصادف ذلك اليوم موعدُ عودته، وحين أخبرته بالحادثة وأنّي الأشطر وأستحق الامتياز، احتضنني ووعدني بأنّه سيحلُّ الأمر. صباح اليوم التالي، ذهب معي إلى المدرسة، حيث ناقش أثر الأمر على نفسيتي مع المديرة. كانت مديرة المدرسة امرأة حنونة جدًا، ورحيمة، وتتعاطف مع الطلاب. ربّما لأنّها كانت لا تُنجب الأطفال، وفاقد النعمة غالبًا مَن يشعر بقيمتها! أتذكّر تمامًا ما قالته حينها للمعلمة منى، عبارة لم أفهم معناها آنذاك، لكن فهمته لاحقًا: «أتقتلين رغبة طفلة في التعلُّم، وهي بالفعل مميزة، بسبب كرتونة طُبع عليها رسومات؟».

كانت المعلّمة منى عنيدة ومتحيِّزة، ولم تغيِّر موقفها. وعلى الرغم من أنّي لم أحصل حينها على كرتونة مكتوب عليها «امتياز»، لكنّي حصلت على رقبة مشدودة ميَّزتني عن كافة أبناء جيلي، الذين كلَّما تقدّموا في صف اكتسبوا انحناء أشدَّ في رقبتهم.

عداوةٌ سبَّبت استقامة ظهري

عندما كنت في الصف الثامن من مرحلة التعليم الأساسي، كانت قد أُلغيَت مسبقًا مادة التربية العسكرية من المنهاج الدراسي. ترافق إلغاؤها مع إلغاء مهمّة مدرب الفتوّة في المدارس، وتحويل مهمّته إلى مشرف سلوك. وكنت قد سمعت مرارًا، من أخوتي وأبناء عمومتي وأخوالي الذين عاشوا مرحلة مادة التربية العسكرية، عن صفات مدرِّب الفتوة، الذي يتَّسم بوجه حادٍّ وطبع صارم وقلب قاسٍ.

وفي أحد أيّام الفصل الدراسي الثاني، قرّرت مشرفة السلوك معاقبة طلاب صفي، بعد عراك بين مجموعتين، فطلبت منّا، متأثرة بوظيفتها السابقة كمدرِّبة فتوة، الزحفَ على ركَبنا. وعندما جئونا انتبهت إلى أنّ تنفيذي لهذه العقوبة، سيؤدي إلى تخريب حذائي الأسود الشاموا. الحذاء الذي اصطحبني أبي الأسبوع الفائت لشرائه، مكافأة منه لأنّي حصلت على المرتبة الأولى، ومجموع شبه تام في الفصل الدراسي الأوّل. لذا وقفت مباشرة، وقلت لمشرفة السلوك: «لا أريد تنفيذ العقوبة. فأنا أساسًا لم أُسئ التصرُّف، إذن لماذا أُعاقب عن سلوك غيري؟». لاحظت مباشرة أنّ تغيرًا ما، طرأ على استقامة ظهري.

انصدمت مشرفة السلوك، وجحظت عيناها. فهي قد قضت أكثر من عشرين عامًا من مهنتها في إعطاء مادة التربية العسكرية، وفي إرهاب الطلاب، وإصابتهم بأشدّ أنواع الرعب بمجرّد صرخة واحدة منها. ثمّ بعد هذه المسيرة، تأتي طالبة لا يتجاوز طولها الـ 160سم، بوجه طفولي، وغمّازتين، وبصوت طبقته منخفضة وهادئة لترفض أمرها، قائلة بكلّ بساطة وثقة «لا أريد»! وسرعان ما صرخت في وجهي، لأنضمّ إلى رفاقي، قائلة إنّ العقوبة جماعية، وعليّ التنفيذ مباشرة. كرّرت رفضي لتنفيذ تلك العقوبة، وأعدت قولي: «لا أريد». وحينها لاحظت زيادة في استقامة ظهري. عندها نهرتني بصوت أعلى: «اذهبي إلى غرفة الإدارة، مباشرة».

نفَّذ طلابُ الصفّ العقوبة مجتمعين، في حين كنت في مكتب المدير، أخبره بصدق وعفوية أنّ مشرفة السلوك أرسلتني إلى الإدارة لأنّي رفضت تنفيذ عقوبة قرّرتها بسبب مشكلة، لا علاقة لي فيها، وقعت بين بعض زملائي، الذين انقسموا إلى فريقين متعاركين. حينها خيّرني بين العودة إلى ساحة المدرسة لتنفيذ العقوبة مع زملائي أو العودة إلى المنزل والمجيء غدًا بصحبة أحد والدَي. فاخترت الذهاب إلى المنزل قائلة: «لا أريد تنفيذ عقوبة سلوك لم أفعله».

وجدت نفسي فجأة أبتسم، مجرّد ملاحظتي لمدى الاستقامة التي اكتسبها ظهري. وهكذا أصبحت أكثر اختلافًا عن بقية التلاميذ، ليس في صفّي وحسب، بل في المدرسة ككلّ: طالبةٌ برقبة مشدودة غير منحنية، وظهر مستقيم.

في البيت، أخبرت والداي بمجريات ما حدث. ذهب والدي برفقتي صباح اليوم التالي إلى المدرسة. حيث قابل المدير ومشرفة السلوك، وحوّل الحوار معهما إلى شيء من الفكاهة، قائلًا وهو يضحك: «طفلة ومبسوطة بحذائها الجديد، والله لو انتزع كنت أنا عاقبتها، ويا حرام كانوا صاروا عقوبتين».

تقبَّل المدير وجهة نظر والدي، بعدما ذكَّره والدي أن إلغاء وزارة التربية لنظام الفتوّة ترافق مع إلغاء هذا النمط من العقوبات للطلاب، ومع منع الضرب. كما ذكَّره والدي بأنّي طالبة متفوّقة ومهذّبة، ومن غير المنطقي أن أُعامل أنا وغيري من الطلاب بهذه الطريقة، التي ستسبب حتمًا إحباطًا وتراجعًا في مستوانا الدراسي. لكن بقيت نظرات مشرفة السلوك تومئ لي بالتهديد والوعيد، كأنّها تريد ابتلاعي. لكن، على الرغم من المضايقات التي ظلَّت توجهها لي على مدار فصل دراسي كامل، وأثر ذلك النفسي في داخلي، لم تنجح أبدًا في ابتلاعي، لأنّي كنتُ مبتهجة بتميّزي عن باقي طلاب المدرسة بظهري المستقيم ورقبتي المشدودة.

رؤية الأفق بعينين غير مرتجفتين

خلال دراستي في المرحلة الثانوية ومن ثمّ الجامعية، اكتشفت القوّة الكامنة في كلمة «لا»، وهكذا استمرّيت في استخدامها لمواجهة الكثير من المواقف والأشخاص، مستمتعةً بأنّها تضبط لي شدّ رقبتي واستقامة ظهري. إلى أن جاء اليوم الذي أحدث تغييرًا في عينَي.

أخبرتني أمّي أنّ أحد أقربائي سيتقدّم لخطبتي، وأنّها سعيدة جدًا لهذا الأمر. فبهذا الزواج سأسكن على بعد 500م عنها، ثمّ تابعَت في سرد التفاصيل عن حياتي الزوجية والعائلية المستقبلية، التي رسمتها مع أمّ العريس. وعندما انتهت علَّقت على كلامها بهدوء: «لا أرغب في الزواج منه». وهنا لاحظت أنّ ثمّة ارتجاف في عينَي، رافقني طوال ثلاث وعشرين عامًا، قد توقَّف. حاولت أمّي إقناعي بالفكرة، وإغرائي بحياة رفاهية سأعيشها، وبأطفال سأنجبهم في العشرين؛ لكنّي كرّرت رفضي قائلة: «لا رغبة لي في الزواج حاليًا. أريد أن أصبح كاتبة». ومع تلفّظي بهذه العبارة، تحوّل أفق نظري من الأسفل إلى الأعلى.

وهكذا أصبحت أنثى بعينين غير مرتجفتين، وأفق نظر متّجه نحو الأعلى. علامة فارقة ثالثة ميّزتني عن الكثيرات من بنات جيلي، اللواتي سقطنَ في مصيدة الزواج المبكّر والتقليدي، الواحدة تلوَ الأخرى.

عندما أحالتني «لا» إلى شاعرة

بعد ذلك، تضاعفت قراءاتي. ليس قراءة الكتب فقط، بل عبر الأفلام والإنترنت، ومن خلال علاقاتي مع آخرين من بيئات متنوّعة، واعتناقات مغايرة كليًا. وهُنا بدأت نبرتي تتغيَّر شيئًا فشيئًا، وزاد استخدامي لكلمة «لا». كما تغيَّرت طريقة استخدامي لها، فما عادت موجّهة إلى أشخاص فحسب، وإنّما إلى أفكار بالية، واعتقادات مجتمعية متحيّزة، وسلوكيات عدم تقبُّل لاختلاف الآخر مجحفة. ومع هذه التغيرات تحوّل صوتي من مجرّد صوت هادئ إلى هادئ وواثق وغير مرتجف. قلت «لا» للمجتمع، «لا» للطائفية، «لا» للعنصرية، «لا» للتنمر، «لا» لنبذ الآخر، «لا» للعنف... وعندها توقّفت شفتاي عن الارتعاش كليًا.

إلى أن وصلتُ إلى مرحلة من التعب، بسبب أحوال البلاد وما فيها من حرب ودمار، قادتني إلى الاكتئاب بعد خسارات شخصيّة. تطوَّر الأمر إلى زيارتي الطبيبة، وفي الجلسة الثانية وصفَت لي دواءً، مؤكّدة أنّه يتوجّب عليّ تناوله تحت إشرافها فقط. مسكت الورقة التي كتبت عليها اسم الدواء، إضافة إلى بعض الإرشادات، تأمّلتها، لمعت في عينيّ كلمة «لا» المكتوبة. وعندها نطق اللاوعي عندي: «لا»، «لا، أريد أن أعتمد على الدواء. سأختار طريقًا آخر». وكان ذاك الطريق هو: «الشعر».

بدأت في قراءة الشعر، كما كنت أفعل دومًا بطبيعة الحال. لكن هذه المرّة، بدأتُ أيضًا في كتابته. كتبت قصائد عن الفَقد، والخذلان، والحزن. ثمّ قصيدةً تلوَ الأخرى، وشيئًا فشيئًا، وبعد شجاعة في حذف الكثير من النصوص، الأمر الذي يُشبه القتل الرحيم، وُلد ديواني الأوّل: «يبدأ الحزنُ رحيمًا». ثلاثٌ وثلاثون قصيدة، مسبوقة بإهداء إلى مَن أنقذني من أدوية الاكتئاب، مرادف كلمة «لا» في حياتي، إلى الشعر بذاته: «إلى سمو الشعر... إلى معاليه، وهو يُمسك بيدي برفق ليُساعدني على النجاة». ■

*كاتبة ومترجمة

عملٍ فنّي للشاعرة اللبنانية هالة نهرا في سلوفينيا

■ تجلببتْ قصيدة «يا ضوء الأضواء» للشاعرة اللبنانية والعربية هالة نهرا، من ديوانها «أمنح شعوبي أسمائي الـ7»، بالموسيقى والغناء فتحوّلت إلى عملٍ فنّيّ متكامل مستحدث، قُدّم للمرّة الأولى في سلوفينيا مسجّى برؤية فنية طليعية ذات بُعد عالمي تُوائمُ بينَ الشعر والموسيقى المعاصرة في لوحة سمعية ممهورة بغرائبية فنّية مُحبَّبة آسرة تتحدّى نمطيّة الأذواق السائدة الرائجة.

تولّى مهمّة التنغيم المؤلّف الموسيقي اللبناني القدير وجدي أبو ذياب، فيما أدّت العمل مغنّية كولومبية شابّة بمشاركة عازفين وموسيقيين أجانب من دولٍ عدة، في فضاء يزاوج بين الشرقيّ البيّن والغربيّ الجلي. وقد عُرض مقطعٌ حيٌ من العمل الفنّيّ أمام جمهور أوروبي نخبوي وحظي بتفاعل كبير وأصداء لافتة واسعة، على أن يُعاد تسجيله لاحقاً بمشاركة موسيقيين من العالم العربي نظراً لاحتواء العمل الإبداعي على ثلاثة أرباع الصوت المقامية التي تتميّز بها الموسيقى المشرقية العربية.

وترتكز التجربة الفريدة على توظيف آلات موسيقية متنوّعة بموازاة الشدو، منها البوق الإنجليزي والغيتار والبيانو والتشيلو (الفيولونسيل) والإيقاعات، بما يعزّز البُعد العالميّ لنصّ الشاعرة هالة نهرا.

وتُعرف هالة نهرا، الصادر ديوانها عن «دار فواصل للنشر» في بيروت، بأسلوبها المهمور بالرهافة الشعرية والبُعد الجماليّ والإنسانيّ، منتقلةً في نصوصها من الذاتيّ إلى آفاق كونية أرحب.

يُذكر أن هالة نهرا، كاتبة وشاعرة وناقدة موسيقية وفنية، أصدرت خمسة كتب في الشعر والنقد.

الشاعرة التونسيّة هاجر الرقيق لـ«الحصاد»:

أرفض أن أنصبَ المجتمع بوليساً على فكري

لبنان ـ نسرين الرجب*

تتعامل هاجر الرقيق مع الشعر بأسلوب إبداعي مفعم بالرّقة والحماس، ترصد المواقف الاجتماعية والخطفات النفسيّة من نظرة طفلة حالمة، وتحلّلها صورًا مجازيّة بعقل امرأة تُعاين الشعور بالذنب، بالفلسفة:

لأن عمى الألوان مرضٌ تتشابهُ فيه النساء اللواتي يتعرضن للعنف في المجتمعات المطبّعة مع العنف على النساء، وهي المريضة بالشعر، الصادقة في «عفَنها» كما تقول في قصيدة لها، «طفلة يكفّرها العالم لأنها لا تضع طرحةً على عاطفتها».

تنوعت موضوعاتها، فكتبت عن الكآبة بوجه المهرّج:

«عاش معي وحش السرير طيلة حياتي فردًا من افراد العائلة / رغم أنّ أمي كانت تسمّيه هرمونات المراهقة/ وأبي وسوسات الشيطان.. يعلق حرزًا أخضر في حزامي ليطردها..»

الملفت في شعر الرقيق أنّه ابنُ بيئته، ابن العربيّة وهي التي تكتب باللغة الإنكليزية أيضًا، وما يجعل من قولها الشعريّ جاذبًا أنّه كُتب بماء الصدق، ولم تأذن له صاحبته الغرق في الصور البلاغيّة الجميلة على حساب الحقيقة وعلى حساب بيئة وواقع الفرد في العالم العربي.

كتبت عن النساء العزباوات بقصيدة «ليست.. إباحيّة» ولكنّها لامست واقع النساء الوحيدات بيدٍ من رقّة وجرأة:

«هل من صلاة استسقاء للعوانس ياترى / حتى ينبت الفول والحمص من أقدارهنّ؟»

وبطرافة محزنة مُبطّنة بالإبداع تماهت مع مشكلات مجتمعها:

«ليس هناك أي مجاز في عبارة «عيشة زفت».

«تفتخر أمي أمام نساء الحي بأنه لعائلتنا جوائز وميداليات/ في رياضة القفز من النوافذ..»

لا تترك الرقيق نصّها مفتوحًا على الفراغ واحتمالاته المُرهقة، ولا تقدمه جاهزًا على عربةٍ من البساطة، هي تعطيه من لحمها ودمها، وتتمازج روحها بروحه، حتى تلده بكامل فكرته وبأبهى غرابته.

ليس للشاعرة ديوان معلن، ولكن قصائدها تعبق بها مواقع التواصل الاجتماعي، ولها مشاركات في العديد من المجلات العربية والعالمية في الجامعات الكندية والأميركية، وقصائد منشورة في أنطولوجيات أدبية على موقع أمازون، شاركت في ندوات شعرية عن بُعد، وفي عدة مسابقات شعرية ورُشحت لجوائز عالميّة.

التقتا «الحصاد» للتعرف إليها ومعاينة تجربتها الجديرة بالاهتمام.

قصور الساف، المدينة المُلهمة

هي ابنة مدينة «قصور الساف» التونسية، التي لا زالت تحافظ على ذلك الطّابع الرّيفي، والكلام للشاعرة ، والذي لم تلوّثه أصابع التّمدّن بعد: «الأزقّة المليئة برائحة «الكسكسي» والفلفل المجفّف، هتافات الباعة الحماسيّة في باحة السّوق الأسبوعيّة، الملاءات المنشورة فوق الأسطح بألوانها الفاقعة...، كلّها تفاصيل تغذّي مخيّلتي وتنعش روحي.. أؤمن أنّ الشّعر يعيش ويتنفّس داخل المنزل، على الشّارع، في احتكاك الأكتاف بين المارّة والمتبضّعين.. أؤمن أنّ اليوميّ هو موطن الشّعر وموطئ قدميه، وطبيعة البيئة في «قصور السّاف» منحتني الكثير من تلك المشهديّة الحسيّة الزاخرة بالتّفاصيل والتي أعتبرها مصدر إلهام حقيقي لجلّ ما أكتبه».

«فالشّعر يقيم خارج النصّ أيضًا: ضحكة طفل صغير، تفتّح وردة، أسماؤنا حين ينادي علينا من نحبّ.. كلّ ما يحرّك العاطفة ويوقظ الفكر ويعمّق الوعي الجمالي بالعوالم المحيطة بنا هو بالنّسبة لي قصيدة؛ قصيدةٌ متحرّكة تعيش فوق الأرض».

الشعر الحقيقيّ لا يحتاج جائزة

صافحت الرقيق الأدب في سنّ مبكّرة ، كما تصرّح، وتتحدث عن علاقتها الهرمونية بالشعر: «لا أكتب الشّعر فقط؛ أتنفّسه، أنبض به، أعيشه وأعيش معه كما لو كنتُ في ـ رتباط عاطفيّ.. أردّد دائما فيما يشبه ألدّعابة السّوداء أنّني «مصابةٌ بالنصّ، مريضةٌ بالنصّ، وما أجمله من مصاب وما أجلّه من مرض!». في المراهقة كانت تنشر نصوصها على صفحتها الشخصيّة في الفيسبوك، وكان التفاعل محدودًا، وانقطعت بعدها عن النشر، ثم عادت للنشر في نهاية العام 2023، ولاقت اهتمامًا كبيرًا من عدد المتابعين وتعرفت إلى الكثير من الشعراء والنُقاد، ومحبيّ الشعر.

تخصّصت الرقيق في اللّغة الإنجليزيّة وأدبها وحضارتها، وهي تكتب باللّغتين العربيّة والإنجليزيّة. وترى بأن الكتابة بلغة أجنبية لا تعني الانفصال عن الواقع، وتوضّح: «الفكرة الرّائجة عند الكثيرين أنّ الكتابة بلغة أجنبيّة تحقّق لكاتبها نوعًا من الانفصال العاطفيّ ممّا يحرّره من أحكام مجتمعه ويوسّع مساحات التّعبير عنده، لكنّني في الحقيقة لا أشعر أنّ هذا الرّأي يصحّ عليّ شخصيًا. أكتب بنفس القدر من الحريّة في كلا اللّغتين، وأرفض أن أنصّب المجتمع بوليسًا على فكري».

وعن مسارها الشعري، تقول: لا أظنّ أنّ احتراف الكتابة هدف يجب أن يضعه الشّاعر نصب عينيه وإلاّ حتّم على نفسه الموت الإبداعي، ما أطمح له دائما أن أكتب نصًا أفضل من سابقه.

شاركت الرقيق، كما ذكرت، في مسابقات عالميّة عديدة وتحصّلت على تتويجات وجوائز من دور نشر مرموقة.

وتستطرد: «على الرغم من اعتزازي بهذه الإنجازات المتواضعة، فلا أؤمن أنّها هي من تصنع مكانة الشّاعر أو تحقّق ذاته.. والشّعر الحقيقي لا يحتاج جائزة أو تتويجًا ليبرهن على نفسه».

شاركت الرقيق في ورشة شعريّة نظّمتها أكبر منصّات الشعر الحديث في الولايات المتحدة الأمريكيّة Poetry Button وقد تواصلت فيها الدّروس على (متداد سنة 2025 كاملة وكانت فيها العربيّة والمسلمة الوحيدة من بين 15 طالبا). وقد كان للتجربة أثرًا في تكوينها ورؤيتها الشعريّة: «فما يجعل الشّعر لغة عالميّة؛ أنّه يتجاوز ما هو شكليّ وزائل ليبلغ أعماق ما هو جوهري وثابت».

الكتابة بحُريّة

تجعل الرقيق من النص بيتًا بانطلاقها من البيت نفسه ، كما تقول، وحميميّة لا يتحسّسها إلّا من جنح في خياله مع تخيلاتها المجازيّة: «من أصغر التفاصيل لأهمّها، من رائحة التّوابل بالمطبخ إلى تفكّك العلاقات الأسريّة». توضح: «أتجوّل بين أرجاء الحياة اليوميّة بعقل يشبه عدسة الكاميرا: ألتقط صورًا ذهنيّة ملوّنة لدقائق الأمور التي كثيرًا ما نغفل عنها بحكم التّعوّد و أوتوماتيكيّة ردود الفعل. أعتقد أنّ كتاباتي تنبع دائما من هنا؛ من هذه الرّغبة في التّحرّر من العادة وتجديد نظرتنا للموجودات التي بهُت لونها نتيجة خمول آليّات الإدراك عندنا.. من المهمّ جدًا أن يشتغل الشّعر على ملامسة تلك المنطقة الحميميّة من حياتنا، ولكن أيضًا أن يمنحها مدلولات جديدة تنوء بها من الرّتيب والمكرّر من الصّور والمجازات.

وترى أن الشعر، يقتضي «الانزياح باليوميّ والبسيط إلى مساحات غير مألوفة من المعنى وكسر أفق التّوقّع لدى المتلقّي..»

وتذكر بأنّ تخصصها في الأدب الإنكليزيّ ودراستها للشّعر الاعترافي ساعداها كثيرًا للوصول إلى مناطق تعبيريّة طالما سعى المجتمع العربي لإبقائها في الظّلمة. وتضيف: «قراءتي لأعمال سيلفيا بلاث وآن ساكستون على وجه الخصوص كانت بمثابة زرّ الإنارة الذي أضاء كلّ تلك الحجرات المعتّمة من المعنى داخلي.. المواضيع المسكوت عنها من قبيل الاكتئاب والانتحار والخيانة الزّوجيّة، أرى أنّ الشّعراء الاعترافيّين قد منحوني نوعًا من «تصريح الدّخول» أو «تذكرة العبور» لأتحدّث عنها أيضًا في النصّ العربي.. ما شدّني عندهم كما عند الكثيرين من شعراء قصيدة النثر العرب هي هذه القدرة الخارقة على الانتقال باللّغة إلى حيّز دلالي غير مسبوق.. نزار قباني ومحمود درويش وبسّام الحجّار ووديع سعادة وهاني نديم وماهر راعي وغيرهم لهم هذه المهارة المهيبة في إكساب البسيط وحتّى المبتذل صبغةً فلسفيّة ونفسيّة غائرة العمق.. بلاث وساكستون أيضا أثّثا نصّيهما بعناصر من الحياة اليوميّة: الأحذية والبطّيخ وسكاكين المطبخ أصبحت فجأة أوعيةً حاوية لحالات وجوديّة وسيكولوجيّة كاملة.. هذا تمامًا ما أسعى له بشكل دائم في نصّي: هذا الانزياح المجيد."

تتناول الرقيق موضوعات قلّما يجرؤ شاعر على محاكاتها، تصرّح: «أكتب فقط ما يمليه عليّ صوتي الدّاخليّ، وإن كان يراه البعض نشازًا، أعتقد أنّ الوعي بالذّات (بقصورها وبجموحها، بجمالها وبقبحها، بضعفها وبقوّتها) هي الحصانةُ الأكبر للكيان الإنسانيّ.. لا أثق في الذين يدّعون الكمال أو يرفعون شعارات النّقاء والتّقاء أمام نصٍ ينزع الحجاب عن الحقيقة البشعة..لا أثق في الذين يلصقون أجنحة الملائكة على أكتافهم ويرشّون وجوههم بذرّات النّور.. هؤلاء لم يتأمّلوا أنفسهم في المرآة، وإن فعلوا، فقد سارعوا بإشاحة النّظر أو بتغطية عيوبهم بطبقات من الوهم.. هؤلاء لم يفهموا بعد أن إنسانيّتنا لا تتحقّق إلاّ بتداخل الضّوء والظّلام داخلنا."

أنا ممتنّةٌ للمسيئين

لا يمكن أن تصادف قصائد الرقيق على مواقع التواصل الاجتماعيّ وتفلتَ منها، تتحدث الرقيق عن خاصيّة «الفوريّة» في تلقّي ردود القارئ على مواقع التواصل الاجتماعيّ، وتصرّح: «الفايسبوك خوّل لي أن أفتح هذا الحوار اللامتناهي بين النص وكاتبه وقرّائه.. تردني الكثير من الرّسائل الجميلة على الخاصّ من قرّاء لامسهم نصّ ما، أبكاهم، أسعدهم، خفّف عنهم ألما ما أو نطق بما يجول في خاطرهم، وهذه أعتبرها أغلى مكافأة وأعلى جائزة يمكن لشاعرٍ ما أن ينالها.. كلّ رجائي من كتاباتي أن تضفي ولو مسحةً صغيرة من النّور على عالمنا القاتم."

وعن الجانب الآخر المظلم لهذه المواقع، والتي تجعلها عرضة للأحكام المؤذية، تضيف: "لقد تعرّضتُ (ولازلتُ أتعرّض بشكل مستمرّ) لكمّ هائل وغير متوقّع من التهجّم والسبّ والشّتم بسبب نوعيّة المواضيع التي أتناولها والتي تثير حفيظة الكثيرين لما يعتبرونه تدنيسًا للمقدّسات المجتمعيّة."

تتعامل الرقيق مع هذه الأحكام بامتنان، وتوضّح: «أنا ممتنّةٌ للمسيئين لأنّهم أكّدوا لي الضّرورة الملحّة لنصّ لا يخاف تعريةَ المستور حين يكون المستور ظلمًا وقهرًا ووجعًا متخفّين خلف قماشة "الأخلاق».

صوت المرأة يسكُنني

على الرغم من أنّها تناولت في الكثير من قصائدها موضوعات نسويّة، وتعاملت مع موضوعات تتعلق بالظلم اللاحق بالنساء جراء تنميط أدوارهن، وخضوعهن لنظام التقاليد والأعراف. إلّا أنّها لا تحبّذ التّصنيفات لأنّ من شأنها، والكلام للشاعرة، أن تختزل كيان الكاتب في صورة أحاديّة البعد لا تكشف عن حقيقة كُليّته..

وتفيد: «أؤمن أنّ هويّة الكاتب، شأنها شأن الهويّة الإنسانيّة، مجبولة على التّعدّديّة، هنالك جوقةٌ من الأصوات التي تصدح داخلي في تناغم ونشاز في الآن نفسه، وما النصّ سوى ركح لهذه الجوقة الصّاخبة.. من بين الأصوات التي تسكنني ولعلّ أهمّها هو صوت المرأة في جميع أدوارها الاجتماعيّة: الأمّ، البنت، الزّوجة، العزباء... وفي جميع حالاتها الوجدانيّة: المنكسرة، الصامدة، المبدعة، العاشقة، المتمرّدة».

وتضيف: «لذلك سيجد القارئ داخلي نسخ متناقضة ومتكاملة من هاجر: هاجر النّاعمة، هاجر العنيفة، هاجر الغاضبة، هاجر الهادئة، هاجر القدّيسة، هاجر الآثمة... وهي كلّها نسخ تسكنني وتعيش داخلي مع بعض. أحيانا، تتوافق وتتعايش سلميًا مع بعضها وأحيانا أخرى تتشاجر وتتعاقب بعضها البعض.. أسعى في كلّ الأحوال لئلا أقف عند حدود تجربتي الشّخصيّة بأن أوسّعها وأفتحها على تجارب نساء أخريات.. كثيرًا ما يقع التّمازج بين الخيال والواقع، والتّماهي بين «الأنا» و«الهم» في نصّي للحدّ الذي يصعب فيه وضع خطّ فاصلٍ بين الاثنين.. ما يهمّني ليس تصوير الواقع الاجتماعي والنّفسي للمرأة فحسب، ولكن أيضًا البحث في زوايا ذلك الواقع عن المشترك الكوني الذي تتحقّق به إنسانيّتنا رجالا ونساء. ولهذا، أكتب عن الطّفولة والحبّ والحرب والفقدان والفقر والموت والله.. أكتب عن كلّ ما يشكّل نقطة التقاء وجسرًا رابطًا بين تجاربنا ورؤانا وعواطفنا على إختلافها وتضاربها في كثير من الأحيان.. أكتب عن الإنسان».

وتختم الشاعرة كلامها: «أتمنّى دائمًا أنْ أنّ نعي أنّ الشّعر كونٌ فسيح يسعنا جميعًا على اختلافاتنا الذّوقيّة والفكريّة وأنّه وطنٌ للكلّ، لا ينفي ولا يُقصي أحدًا من رحاب أراضيه». ■

* كاتبة وصحافية

> أؤمن أنّ هويّة الكاتب شأنها شأن الهويّة الإنسانيّة، مجبولة على التّعدّديّة

التأويل المفتوح والتفسير المنضبط...

أين ينتهي الأدب ويبدأ التفسير؟

لندن: د. حسين رشيد الطائي*

ليست كل قراءة تأويلاً، وليس كل تأويلٍ تفسيراً؛ فبين انفتاح النص على احتمالات المعنى وانضباط الفهم بضوابطه العلمية تتشكل إحدى أعمق قضايا الفكر الإنساني. وإذا كان الأدب يمنح القارئ فضاءً واسعًا لاكتشاف الجمال والدلالة، فإن النصّ القرآني يفتح آفاق التدبر ضمن نظام لغوي ومقاصدي يحفظ للمعنى مقامه. ومن هنا تنشأ الحاجة إلى تأمل الحدود الفاصلة بين حرية التأويل ومسؤولية التفسير.

أزمة المعنى بين حرية القارئ وسلطة النص

لم تعرف قضية المعنى في تاريخ الفكر الإنساني جدلًا أوسع مما عرفته في العصر الحديث؛ إذ انتقل السؤال من (ماذا يقول النص) الى (كيف يُنتج النص معناه؟) فبعد أن كان الاتجاه التقليدي يرى أن مهمة القارئ هي الكشف عن المعنى الكامن في النص، ظهرت اتجاهات تأويلية حديثة منحت القارئ دورًا فاعلًا، حتى أصبح المعنى ثمرة تفاعل بين النص والقارئ والسياق.

وقد كان الأدب أكثر المجالات احتضانًا لهذا التحوّل؛ لأن النص الأدبي بطبيعته قائم على الإيحاء والرمز وتعدد الدلالة. فالقصيدة لا تُقرأ بوصفها رسالة مباشرة، وإنما بوصفها فضاءً جماليًا يسمح بتعدد التجارب والرؤى. ولذلك قيل إن العمل الأدبي العظيم لا ينتهي عند قراءة واحدة، لأنه يحمل من الطاقة الدلالية ما يجعله قابلاً لإعادة الاكتشاف.

غير أن انتقال مفهوم (انفتاح النص) من المجال الأدبي إلى مجال تفسير القرآن الكريم أثار إشكالية عميقة؛ فالقرآن، وإن كان خطابًا عربيًا بليغًا بلغ أعلى درجات البيان، ليس نصًا أدبيًا بالمعنى الاصطلاحي، ولا يتعامل معه المفسر بوصفه بناءً جماليًا فقط، بل بوصفه خطاب هداية وتشريع وعقيدة. ومن هنا تبرز المشكلة المركزية التي تثير تساؤلا كبيرا فحواه هل يمكن تطبيق مفهوم التأويل المفتوح على النص القرآني كما يطبق على النص الأدبي؟ أم أن خصوصية القرآن تفرض نمطًا مختلفًا من القراءة يقوم على الانفتاح المنضبط؟

وإن الإجابة عن هذا السؤال تتطلب التمييز بين مفهومين كثيرًا ما يختلطان هما التأويل بوصفه توسيعًا لأفق الدلالة، والتفسير بوصفه بحثًا عن مراد المتكلم وفق أصول اللغة والسياق.

ففي قضية التأويل المفتوح في الخطاب الأدبي، يقوم الأدب على قدرة اللغة على تجاوز معناها المباشر؛ فالكلمة في الشعر لا تؤدي وظيفة الإخبار فقط، بل تتحول إلى طاقة إيحائية. يقول الشاعر:

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله
عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

هو وصف للطبيعة، لكنه في الوقت نفسه بناء نفسي يصور ثقل الحزن واضطراب الداخل. وقد عبّر عبد القاهر الجرجاني عن مركزية العلاقة بين الألفاظ والمعاني حين جعل البلاغة قائمة على النظم، أي على طريقة تأليف الكلام لا على الكلمات منفردة.

فالمعنى الأدبي لا يوجد في المفردة وحدها، بل في العلاقات التي تنشأ بين أجزاء النص. ومن هنا يصبح القارئ مشاركاً في استحضار الدلالة.

وقد توسعت المناهج الحديثة في هذا الاتجاه؛ فذهب هانس جورج غادامير إلى أن الفهم ليس عملية نقل ميكانيكي لمعنى جاهز، بل هو حوار بين أفق النص وأفق القارئ. كما ناقش أمبرتو إيكو فكرة انفتاح العمل الأدبي، لكنه لم يجعل كل تأويل مقبولاً؛ إذ أكد وجود حدود يمنع النص تجاوزها.

وهنا تظهر خصوصية الأدب؛ فالتعدد فيه ليس خللًا، بل قد يكون مصدر جماله. فالقصيدة العظيمة لا تفقد قيمتها لأن القرّاء يختلفون في فهمها، بل ربما تزداد ثراءً بسبب ذلك.

القرآن بين البيان والانضباط التأويلي

وإذا كان الأدب يسمح بدرجات واسعة من الاحتمال، فإن القرآن يجمع بين الجمال البياني والدلالة المقصودة. فهو خطاب يعتمد على اللغة، لكنه لا يترك المعنى رهين الذوق الفردي.

وقد جعل القرآن نفسه التدبر طريقًا إلى الفهم، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)؛ فالتدبّر هنا دعوة إلى إعمال العقل، لكنه ليس دعوة إلى التحرر من كل قيد؛ لأن القرآن نفسه أشار إلى وجود المحكم والمتشابه، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (آل عمران: 7)

وهذا يدل على أن التعامل مع النص القرآني يقوم على درجات من البيان، وأن فهمه يحتاج إلى أدوات.

ولهذا نشأ علم التفسير لا بوصفه تقييدًا للقراءة، بل بوصفه حماية للمعنى من الفوضى. فالمفسر لا يبدأ من رغباته، بل من اللغة والسياق وما نقل عن أهل العلم.

ويظهر هذا المنهج عند محمد بن جرير الطبري الذي جعل تفسيره قائمًا على بيان الأقوال وترجيحها وفق اللغة والأثر. فالآية عنده ليست مجالًا للانطباع، وإنما موضوع بحث يعتمد على الأدلة.

كما يؤكد أبو إسحاق الشاطبي أهمية اعتبار مقاصد الخطاب ولسان العرب، لأن المعنى لا يستخرج من اللفظ منفصلًا عن نظامه اللغوي والسياقي.

الفرق بين إنتاج المعنى واكتشافه

تتحدد المسافة الفاصلة بين الأدب والتفسير في طبيعة العلاقة بين القارئ والنص. ففي الأدب قد يكون القارئ شريكاً في إنتاج المعنى؛ لأن النص الشعري لا يُقصد منه غالباً نقل حقيقة واحدة محددة، بل خلق تجربة جمالية تتسع للتأويل. أما في التفسير القرآني فإن مهمة المفسر ليست صناعة معنى جديد، وإنما الكشف عن المعنى الذي يدل عليه النص وفق أدوات الفهم.

وهذا الفرق لا يعني أن النص القرآني مغلق أو خالٍ من العمق الدلالي، بل يعني أن انفتاحه ليس انفتاحاً بلا حدود. فالقرآن خطاب ذو مستويات متعددة من الدلالة، لكنه يتحرك داخل نظام لغوي وبياني ومقاصدي.

وقد أشار أبو حامد الغزالي في حديثه عن علوم القرآن إلى اتساع معانيه وعمق دلالاته، مع التأكيد على ضرورة امتلاك أدوات الفهم. فليس كل من وجد احتمالاً لغوياً في لفظة ما جاز له أن يجعله مراداً للآية؛ لأن الاحتمال اللغوي شيء، والدلالة المقصودة شيء آخر.

وهنا تظهر قاعدة مهمة مفادها أن ليس كل معنى ممكن في اللغة يكون معنى مقصوداً في النص. فاللغة العربية واسعة الاحتمالات، لكنّ المتكلم حين يختار لفظًا داخل سياق معين فإنه يوجه هذه الاحتمالات. ومن هنا كان السياق أحد أهم الضوابط التي تمنع انفلات التأويل.

وقد عبّر علماء العربية عن هذه الفكرة من خلال عنايتهم بما سمّوه (مقتضى الحال)، وهو أن الكلام لا يُفهم بمجرد ألفاظه، بل بالنظر إلى المقام الذي ورد فيه.

بلاغة القرآن بين الجمال والدلالة

ومن الأخطاء المنهجية النظر إلى البلاغة القرآنية باعتبارها مجرد جمال فني منفصل عن المعنى.

فالبلاغة في القرآن ليست زينة خارجية، بل هي جزء من بناء الدلالة. وقد أسس عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم على أن إعجاز الكلام لا يكون في المفردات منفردة، وإنما في العلاقات التي تربطها داخل السياق.

يقول في معنى نظريته المشهورة إن التفاضل بين الكلام لا يكون في الألفاظ المفردة، وإنما فيما يقع من (تأليف) بينها.

وهذا المبدأ مهم في قضية التأويل؛ لأن من ينظر إلى لفظة قرآنية منفصلة قد يحملها على احتمال لا تؤيده بنية النص، بينما تكشف قراءة السياق عن معناها الأقرب. فمثلًا قوله تعالى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) (يوسف: 82) لا يُفهم على أن السؤال موجّهٌ إلى الأبنية والحجارة، وإنما هو من أساليب العرب في إطلاق اسم المكان وإرادة أهله. وهذا مثال يبين أن فهم البيان العربي يمنع من الجمود على ظاهر اللفظ، لكنه في الوقت نفسه يمنع من تحويل كل لفظ إلى رمز بلا ضابط. فالبلاغة تفتح باب الفهم، لكنها لا تلغي قواعد الفهم.

حين يتحول التأويل الأدبي إلى مغالطة تفسيرية

وتكمن المشكلة حين تُستعار أدوات القراءة الأدبية من مجالها الخاص، ثم تُطبّق على القرآن دون مراعاة خصوصيته. ومن أبرز هذه المزالق:

● تغليب سلطة القارئ على سلطة النص:

ففي بعض الاتجاهات الحديثة يصبح القارئ مركز العملية التأويلية، حتى يكاد النص يتحول إلى مادة تستجيب لرغباته الفكرية. لكن في التفسير القرآني لا يمكن أن يكون القارئ هو المصدر الوحيد للمعنى؛ لأن النص سابق على القارئ، وله نظامه الخاص.

وقد نبّه محمد الطاهر بن عاشور إلى أهمية النظر في مقاصد القرآن وأسلوبه العربي عند التفسير، فالمعنى لا يُستخرج من الرغبة، وإنما من الجمع بين اللغة والمقصد والسياق.

● تحويل الرمز إلى منهج شامل:

الرمز عنصر أصيل في الأدب، لكنه ليس مفتاحاً يفتح كل النصوص بالطريقة نفسها. فالقصيدة الحديثة قد تجعل البحر رمزاً للحرية أو الضياع أو الذاكرة، لكن نقل هذه الطريقة إلى القرآن دون دليل قد يؤدي إلى تحميل النص ما لا يحتمل. فالقرآن يستخدم الأساليب البلاغية، لكنه لا يجعل المعنى تابعاً لمخيلة القارئ.

● إسقاط النظريات الحديثة على النص القرآني:

كل منهج نقدي يحمل افتراضات فلسفية عن اللغة والإنسان والمعنى؛ ولذلك فإن استخدام المناهج الحديثة يحتاج إلى وعي بالحدود. فنظرية (موت المؤلف) مثلًا عند رولان بارت تنطلق من طبيعة النص الأدبي الحديث وعلاقة الكاتب بالنص، لكن تطبيقها حرفياً على القرآن يثير إشكالات؛ لأن مفهوم المؤلف في النص القرآني يختلف جذرياً عن مفهوم المؤلف في العمل الأدبي.

● الشاعر بين حرية الخيال وحدود الحقيقة:

يكشف الشعر العربي نفسه عن الفرق بين عالم الأدب وعالم التقرير. فقد عرف العرب المبالغة والتخييل، وكانوا يعدّونهما من خصائص الشعر.

قال أبو هلال العسكري إن الشعر يقوم على التصوير والتخييل، وهو ما يميزه عن الكلام العادي. ولهذا أنشد أبو الطيب المتنبي:

وما الخيلُ إلا كالصديقِ قليلةٌ
وإن كثرتْ في عينِ من لا يجربُ

فالشاعر لا يريد تقرير حقيقة إحصائية عن الخيل والأصدقاء، وإنما يبني صورة تقوم على التجربة والحكمة. وهذا المجال الواسع للتخييل هو ما يجعل الشعر مختلفاً عن الخطاب التفسيري. فالشاعر يملك مساحة أكبر لإعادة تشكيل العالم، أما المفسر فمهمته أن يُفهِمَ العالَمَ الذي يقدّمه النص.

● نحو منهج يجمع بين الحس الأدبي والانضباط التفسيري:

إنّ الفصل بين الأدب والتفسير لا يعني القطيعة بينهما. فالقرآن نزل بلغة عربية ذات جمال فريد، ولا يمكن فهم كثير من أسراره دون وعي بالبلاغة والأسلوب. لكنّ المنهج المتوازن يقوم على ترتيب العلاقة من خلال فهم الدلالة اللغوية والسياقية، وإدراك البنية البلاغية والجمالية، وأخيراً الاستفادة من المناهج الحديثة من دون جعلها حاكمةً على النص.

فالأدب يمنح المفسر حساسية تجاه جمال التعبير، والتفسير يمنح القارئ مسؤوليةً تجاه المعنى. لكنّ المشكلة في الحقيقة ليست في التأويل نفسه، بل في التأويل الذي يقطع صلته بالنص. وليست المشكلة في تعدّد القراءات، بل في تحويل كل قراءة إلى حقيقة مساوية للنص نفسه.

إنّ السؤال (أين ينتهي الأدب ويبدأ التفسير؟) لا يعني البحث عن منطقة صراع بين مجالين، بل البحث عن حدود منهجية تحفظ لكل مجال طبيعته.

فالأدب يقوم على توسيع التجربة الإنسانية، وعلى فتح النص أمام احتمالات الجمال والرؤية. أما التفسير فيقوم على طلب المراد من النص وفق أصول العلم واللغة والسياق.

ومن هنا فإن القرآن يمكن أن يُقرأ بجماليات الأدب، لكنه لا يُختزل في قوانين الأدب. ويمكن الاستفادة من أدوات التأويل الحديثة، لكن دون إلغاء خصوصية الخطاب القرآني.

فالقراءة الناضجة ليست التي تغلق النص باسم المحافظة، ولا التي تفتحه بلا حدود باسم التحرر، وإنما التي تجمع بين احترام النص وعمق النظر إليه. وهنا يتحقق التوازن من خلال تأويل يضيء المعنى ولا يستبدله، وتفسير ينفتح على الجمال دون أن يفقد الانضباط. ■

*أستاذ جامعي، باحث وأديب

مدرّبة التوجيه الحياتي وتطوير الذات بتول جشي لـ«الحصاد»:

هوس الكمال والمقارنة يستنزفان الطاقة

الرياض: رنا خير الدين*

في السنوات الأخيرة، أصبح «التدريب على الحياة» أو ما يُعرف بـ Life Coaching حاضراً بقوة في عالم تطوير الذات، إلا أن مفهومه لا يزال ملتبساً لدى كثيرين. فبين من يراه مجرد مجموعة من العبارات التحفيزية، ومن يعتقد أنه يقدّم حلولاً سريعة لمختلف مشكلات الحياة، يغيب أحياناً المعنى الحقيقي لهذا المجال ودوره.

ببساطة، التدريب على الحياة هو عملية مهنية ومنهجية تهدف إلى مساعدة الفرد على فهم أهدافه، وتحديد أولوياته، واكتشاف العوائق التي تقف أمام تقدمه، ثم وضع خطوات عملية تساعده على الوصول إلى ما يسعى إليه. ولا يقوم المدرب باتخاذ القرارات بدلاً من الشخص أو إعطائه حلولاً جاهزة، بل يطرح أسئلة وأدوات تساعده على التفكير بوضوح، واكتشاف إمكاناته، لتحمل مسؤولية خياراته.

تكمن أهمية التدريب على الحياة في أنه لا يركز فقط على «ماذا نريد؟»، بل يساعد أيضاً على فهم كيف نصل إليه. فقد يمتلك الإنسان أهدافاً واضحة، لكنه يواجه التردد، أو صعوبة ترتيب الأولويات، أو عدم القدرة على تحويل أفكاره إلى خطوات عملية. هنا يوفّر التدريب مساحة منظمة للتفكير والمراجعة ووضع أهداف واقعية ومتابعة التقدم نحوها.

وفي هذا السياق، كنا لنا لقاء خاص مع مدربة الحياة وتطوير الذات بتول جشّي التي حدثتنا عن عن طرق التفكير الواعية التي تساعد الإنسان على استعادة التوازن مع ذاته، وقدّمت نموذجاً موسّعاً لفهم الاحتياجات الفكرية

بتول جشي

الواعية للفرد عندما يمر بمشاعر عدم الرضا، أو العزلة والوحدة، أو السعي المستمر نحو الكمال.

في هذا الحوار ستقوم بتحديد مفاهيم وخطوات التدريب على الحياة بطرق أكثر خصوصية ووضوح بعيداً عن المبالغة أو الاختزال ما يجعله أداة يمكن الاستفادة منها في مراحل مختلفة من الحياة.

● «الحصاد»: إذا أردنا تبسيط مفهوم «التوجيه الحياتي» للقارئ، كيف يمكن أن تشرحيه باختصار، وما الذي يميّزه عن مجرد تقديم النصائح أو الدعم النفسي؟

○ بتول جشي: أو التوجيه الحياتي، هو شراكة بين المدرب والفرد، يرافق فيها المدرب الفرد في رحلة لفهم ذاته بشكل أعمق، واكتشاف قدراته، وتوضيح أهدافه، والتعرّف إلى العوائق التي تقف أمامه. لا يقوم المدرّب بإعطاء حلول أو أجوبة جاهزة، بل يساعد الفرد من خلال الحوار والأسئلة على الوصول إلى إجابات وحلول تنبع منه وتتناسب مع واقعه واحتياجاته، ثم تحويلها إلى خطوات عملية قابلة للتطبيق.

لذلك، لا أراه ترفاً،لأننا كمجتمع، نحتاج إلى أدوات تساعدنا على التعامل مع كثير من التحديات التي أصبحت جزءاً من حياتنا اليومية؛ من الضغوط النفسية والاجتماعية، إلى المقارنات المستمرة، والشعور بعدم الرضا، وصعوبة تحقيق التوازن بين متطلبات الحياة وتطلعاتنا الشخصية. وهنا يمكن أن يلعب التوجيه الحياتي دوراً في تعزيز الوعي بالذات، ومساعدة الأفراد على التعامل مع هذه التحديات بطريقة أكثر وعياً واتزاناً.

● «الحصاد»: ما التغيير الذي يمكن أن يلمسه الفرد بعد تجربة التوجيه الحياتي، وكيف ينعكس ذلك على علاقته بذاته ومشكلاته ومحيطه؟

○ بتول جشي: أعتقد أن أول تغيير يلمسه الفرد هو أنه يبدأ برؤية نفسه وحياته من زاوية مختلفة. أحياناً لا تكون المشكلة في غياب الحل، بل في الطريقة التي ننظر بها إلى المشكلة. من خلال التوجيه الحياتي، يتعلّم الفرد أن يميّز بين ما يستطيع تغييره وما لا يمكنه، وأن يفهم احتياجاته وحدوده وقيمه بشكل أوضح، فيصبح أكثر قدرة على اتخاذ قراراته بدل أن يتخذها تحت ضغط الخوف أو إرضاء الآخرين.

ومع هذا الوعي، تتغير علاقته بذاته أولًا، ثم ينعكس ذلك على علاقاته واختياراته وطريقة تعامله مع التحديات. الهدف ليس أن تصبح الحياة خالية من المشكلات، فهذا غير واقعي، بل أن يمتلك الفرد وعياً وأدوات تجعله أكثر قدرة على التعامل معها، وتحويل ما يمرّ به من مجرد تجربة يعيشها إلى تجربة يتعلم منها ويستفيد.

● «الحصاد»: لماذا أصبح السعي إلى الكمال هاجساً يرافق الكثيرين، خصوصاً مع المقارنات المستمرة على أرض الواقع وعبر مواقع التواصل؟

○ بتول جشي: أصبح الكمال هاجساً لأن الفرد لم يعدّ يقارن حياته بحياة الآخرين فقط، بل يقارن واقعه الكامل بلحظات منتقاة من واقعهم. ومع تكرار هذه المقارنات، قد تتحوّل الرغبة في التطور إلى شعور دائم بأن هناك شيئاً ناقصاً أو أن الوصول إلى الرضا مشروط بتحقيق صورة مثالية.

المشكلة ليست في الطموح أو الرغبة في التحسّن، بل عندما يصبح الكمال شرطاً للشعور بالقيمة. التوازن الحقيقي هو أن يسعى الفرد إلى تطوير ذاته من دون أن يكون ذلك نابعاً من رفضها؛ فالتطور الصحي لا يعني الوصول إلى نسخة مثالية، وإنّما إلى نسخة أكثر وعياً ورضاً واتساقاً مع الذات.

● «الحصاد»: مع هذا السعي المستمر لمجاراة الصورة المثالية التي يراها الفرد من حوله، أين يقع الخط الفاصل بين الطموح الصحي والسعي المرهق إلى الكمال؟

○ بتول جشي: الخط الفاصل يبدأ عندما لا يعود الطموح نابعاً من الرغبة في التطور، بل من الشعور بأن ما يملكه الفرد أو يحققه لا يكفي. الطموح يمنح دافعاً للحركة والتعلم، أما الكمال فيضع شرطاً قاسياً للرضا: كأن تكون النتيجة مثالية، وأن تخلو الرحلة من الأخطاء والتعثّر. المشكلة ليست في وضع أهداف عالية، بل في أن تصبح قيمة الفرد مرتبطة بقدرته على تحقيقها. عندها يتحوّل الطموح من مساحة للنمو إلى مصدر للضغط والمقارنة والإحباط. الطموح الصحي يسمح بالتجربة والخطأ وتعديل المسار، ويترك للفرد مساحة ليقدّر ما حقّقه، بدل أن يبقى منشغلاً بما لم يصل إليه بعد.

● «الحصاد»: وهنا، أين يقع واجبك كمدربة حياة لتذليل هذه العقبات؟

○ بتول جشي: كمدربة حياة، أرى أن هذا هو بالضبط المكان الذي نبدأ فيه بإعادة توجيه البوصلة الداخلية لدى الفرد. فدوري هنا هو أن أساعد الشخص على التمييز بين الطموح الذي يعكس فعلاً قيمه ورغباته الحقيقية، وبين الأهداف التي تشكّلت نتيجة المقارنة بالآخرين أو تحت ضغط توقعات المجتمع. يتم ذلك، من خلال جلسات الحوار العميق وطرح الأسئلة التأملية، أرافق الفرد في رحلة اكتشاف ذاته، كماذا يريد حقًا؟ ولماذا يريد ذلك؟ وهل هذا الهدف يخدم نموه الشخصي أم أنه مجرد محاولة لمجاراة صورة مثالية مفروضة من الخارج؟

تجدر الإشارة هنا، إلى أنني لا أهدف إلى إيقاف الطموح أو تقليل الرغبة في التطور، بل أعمل على إعادة بناء علاقة صحية مع النجاح. بحيث يصبح الإنجاز وسيلة للنمو والتطور.

وعندما يبدأ هذا التحول في طريقة التفكير، ألاحظ أن تأثير المقارنة يقل تدريجياً، ويصبح الفرد أكثر وعياً بذاته، وأكثر قدرة على وضع أهداف واقعية تتناسب مع حياته وظروفه، بدل السعي وراء صورة مثالية لا تعكس حقيقته.

● «الحصاد»: رغم سهولة التواصل وتوسّع دوائر العلاقات والصداقات، لماذا يشعر بعض الأشخاص بالوحدة حتى وهم محاطون بالآخرين؟

○ بتول جشي: كثرة التواصل لا تعني بالضرورة وجود اتصال إنساني حقيقي. أصبح من السهل أن يتواصل الفرد مع عشرات الأشخاص، لكن الأصعب هو أن يجد علاقة يشعر فيها بأنه مفهوم ومقبول وقادر على أن يكون على طبيعته من دون خوف من الحكم أو الرفض.

فأحياناً لا تكون الوحدة نتيجة غياب الناس، بل غياب العلاقة التي تمنح شعوراً حقيقياً بالقرب والأمان. فالإنسان لا يحتاج بالضرورة إلى دائرة كبيرة من العلاقات، بقدر حاجته إلى روابط صادقة يستطيع فيها أن يتخلّى عن الأقنعة، ويشعر بأنه محبوب ومقبول كما هو، وعندما تغيب هذه الروابط، قد يشعر الفرد بالوحدة حتى وسط الزحام.

● «الحصاد»: كما تبرز إلى جانب هذه التحديات مشكلة اجتماعية أخرى، وهي الشعور بالفراغ وعدم الرضا رغم النجاح والإنجاز. لماذا برأيك يحدث ذلك؟

○ بتول جشي: لأن النجاح يجيب عن سؤال «ماذا حققت؟»، لكنه لا يجيب بالضرورة عن سؤال «ماذا يعني لي ما حققته؟». قد يصل الفرد إلى منصب أو هدف أو مستوى من الحياة كان يعتقد أنه سيمنحه الرضا، ثم يكتشف أن الشعور بالفراغ ما زال موجوداً؛ لأن الإنسان لا يعيش على الإنجاز وحده، بل يحتاج أيضاً إلى معنى، وانتماء، وعلاقة حقيقية بذاته وحياته.

هنا يبدأ دوري كمدربة حياة، ليس في البحث عن إنجاز جديد يملأ هذا الفراغ، بل في مساعدة

استنزاف الطاقة، وعدم الرضا والعزلة أبرز مشاكل العصر

الفرد على فهمه. من خلال الأسئلة والحوار، نبحث عمّا ينقص فعلا، هل المشكلة في الهدف نفسه؟ أم في الطريقة التي يعيش بها الفرد حياته؟ أم في أنه يحقق ما يتوقعه الآخرون منه بدل ما يتوافق مع قيمه واحتياجاته؟

فعندما يصبح الفرد أكثر وضوحاً بشأن ما يريده وما يمنحه معنى، يستطيع أن يعيد ترتيب أولوياته، ويضع أهدافاً لا تبدو ناجحة من الخارج فقط، بل تشعره أيضاً بأنها مناسبة له من الداخل. وهنا يتحول النجاح من شيء يطارده الفرد باستمرار إلى جزء من حياة لها معنى.

● «الحصاد»: بعيداً عن التغييرات الكبيرة، ما الممارسات اليومية البسيطة التي يمكن أن تصنع فرقاً حقيقياً في جودة حياة الفرد؟

○ بتول جشي: ثمة ممارسات بسيطة، لكن أثرها يتراكم مع الوقت. يبدأ اليوم بتحديد أولويات واضحة بدل محاولة إنجاز كل شيء، وتخصيص وقت للحركة والنوم الجيد والغذاء المتوازن، حتى لو بخطوات بسيطة. من المفيد أيضاً أن يخصّص الفرد دقائق يومية بعيداً عن الهاتف ووسائل التواصل، ليراجع كيف يشعر وما الذي يحتاجه فعلاً.

ومن الممارسات المهمة أن يختار كل يوم شيئاً واحداً يستطيع إنجازه ويشعره بالتقدم، وأن يتعلم قول «لا» لما يستنزف وقته وطاقته، مقابل تخصيص وقت لما يمنحه الراحة والمعنى.

الأهم هو عدم محاولة تغيير كل شيء دفعة واحدة. اختيار عادة أو اثنتين والالتزام بهما يومياً أكثر فاعلية من وضع قائمة طويلة يصعب الاستمرار عليها. جودة الحياة في النهاية لا تتغير بقرار واحد، بل بالطريقة التي تتكرر بها الاختيارات الصغيرة كل يوم ويرى اثر ذلك على حياته إيجابياً ورويداً. ■

*بتول جشّي، خريجة البرنامج المعتمد من *(NIC)* ، وحاصلة على اعتماد من *(NFNLP)* في الولايات المتحدة، بالإضافة إلى عضويتها الرسمية في الاتحاد.

* كاتبة وصحافية

عام على غياب زياد الرحباني
موت من لا يموت

بيروت ـ عبيدو باشا*

لا يزال الكثيرون مجروحين من موت زياد الرحباني. احلامهم المقوسة لن تعيده إلى الحياة. حياة تركها بعد أن طرق جدران الله لآخر مرة، وهو يولي الرياح ظهره. خبر دفع مجموعات إلى أن يخلعوا قمصانهم وكأنهم في خراب. لن يعود، يدركون الأمر بعد أن تطلعوا إلى آخر ما بقي من غبار ذهبي، على سريره في مستشفى خوري، حيث اندلق الورد وصناديق الورد على تابوت لم يره أحد بعد أن اختفى في عربة نقل الموتى.

الآباء على الطرقات كالأمهات، حيث أرادوا أن يعيدوا خلق زياد من أحلامهم، بعد ان انتهت أحلامه في وجهه إلى الأبد. لم يتوقع متوقع الصورة المحدودة الرهيبة لتابوت في عربة جلس غدي الرحباني، إبن عم زياد في واحد من مقاعدها عند الزجاج الأمامي.

لا يخادع زياد حتى وهو يقفز من حياة عافها إلى وادي النوم. الالاف عبيد اللحظة الراهنة. ذلك أن من نام نام لا لأنه لم يستطع النوم بسبب الضغينة حتى أنهك، لأنه أدرك أنه الشبح هذه المرة، شبح يقفز فوق الحقائق الفاصلة بين الحلو والحلم إلى ما يظن الآخرون عن العالم الآخر.

الصورة ظالمة. صورة زياد المكتف بالموت، يكتفه التابوت، حيث ظهر المودعون يعانون من أحزان لا يريدها زياد أن تتحمس لكي لا تبقى، لكي يمضي الى عالم لم يره، رها هو يمضي حتى يراه. هذا موكب جدي، غير أن جسد الرحباني لن يستريح فيه، لن يستريح إلا في الوقت الآخر. الطريق الى المدافن نهر والمدافن بحيرة. الأفواه ناشفة، الخوف غير قائم، حين زادت الانهيارات اللامتناهية في الجمهورية اللبنانية انهياراً يلحق بها إلى حتفها. إنها حالة لا تتكرر. حالة واحدة لن تتكرر. الفارق بين الأمس واليوم، أن من يمضي فرض معاييره على العالم في أعلى طبقات القيمة. لا صناعة بما فعل. لا ذكاء اصطناعي ابقاه الرحباني محصوراً بين كبرى الشركات الصناعية. مشروع مجاني باشره كمتطوع مذ نهاه والده عن الدخول في سوق الخوادم في حزب الكتائب اللبناني. مذاك أضحى منشوره منشور عموم، دون حاجة إلى استخدام النماذج القديمة .

حين نهى عاصي الرحباني زياد الرحباني عن الدخول في القوافل الشاردة، الجوقات الطقوسية، في حزب الكتائب اللبناني،لم ينهه إدارة لم يفهمه الولد من الوالد. دفعه إلى أن يبني وجوده المتين في مدينة بقيت تمثل الفاعل الجمعي والضمير الأخلاقي والناظم الإيقاعي، لأولادها ولمنطقة وجدت فيها تجاربها الجديدة. تجارب لم تقوَ على إعلانها وهي تراها، لم تقوَ على اعلانها بوجودها بعيدة من خطوط التجميع، من ارتباكها من وقوعها في أنظمة توتاليتارية ، لا يحللها مترابط ولا يربطها محلل. بيروت مصنع كبير ، وجد الرحباني نفسه فيه بعد أن ذكره عاصي الرحباني بأن العزوف عن الدخول في حزب الكتائب انتقال من الافتراض إلى واجهة لا يهددها الإطفاء. لم يقل الوالد أن الدخول في حمى الحزب حذف بعيد من الملائكة. نهاه بالفزع من السيرة الريفية. سيرة حمالة ملح الدمع من نأيها عن شمس المدينة . لأن في المدينة وحدها نزق الرقص في الثقافة من أعوام بعيدة، ابتعدت من نفسها حين هاجمها الحزب بريفية مقاتليه. لا يزال الحزب حتى اللحظة واحدة من لوحات المدينة الهوجاء من اقتصاصه الدائم منها وهو في مجال تشكيكه فيها. حزب ريفي. الريف منطقة جغرافية بمساحات واسعة من الأراضي الزراعية والقرى. خلافها مع المدن لا على قلة كثافتها السكانية ، على تركيزها على الأنشطة الزراعية وتربية الحيوانات.

لا تعاريف مختلفة في الريف. بالمدينة تعاريف لا تحدث معظم الوقت في الريف. هكذا، دفع عاصي الرحباني زياد إلى وعيه الأول من خلال اللاوعي. لا وعي سوف يقوده إلى التسليم بالوعي في مراحل الوجود في المدينة . مدينة لم يغادرها، حتى حين هاجمها الجن الأرقط. مدينة سوى عن قطاف العشب المحروق بين أيدي الجوق الريفية. منحه مشهداً بقي العنصر الأول في حياته حتى فقد السيطرة على الحياة. دفع به من تراجيديا الريف إلى المدينة وشخصيتها. جزء من شخصية المدينة من شخصياتها ملمح وجوده العالي بالفعل مذ وجد فيها مجاله، حين جرى انتزاع مخيم تل الزعتر من أهاليه على أيدي القوات المحلية من يمين متطرف وقوات الردع السورية. لحظة نجاة زياد الرحباني، اختباره الحقيقي، في سقوط مخيم تل الزعتر على مرآه . لم يتوقف عن التفكير بسقوطه، حين لم يسعده أن يرى الضباط السوريين في منزل والديه يخططون لفرض الواقع الجديد على مخيم الفقراء الفلسطينيين، بإخراجهم منه قتلى أو مهجرين، كما لو أنهم يخرجون مستجمين من حماماتهم

روى زياد الرحباني الأمر، كما لو أن لا بمقدوره التوقف عن التفكير بالأمر. لأن المخيم على بعد قريب من منزل والديه. جرأة مغادرة «المنطقة الشرقية» إلى «الغربية» لحظة جرأة ستحدد أزمانه المقبلة. لأنها الآمر الحتمي بكل ما فعله في المسرح والموسيقى والإذاعة، حين لم يقرب التلفزيون لأنه لم يجد فيه مقدمات نشره في مشروعه. مشروع معادلات النجاح الهائلة، بحيث صار الوقت الأكثر أهمية في حياة المدينة، ما أحدثه زياد الرحباني وحسب. بالأخص في الموسيقى. ذلك أن موسيقاه زادت من حدة وحدتها مع الموسيقات الأخرى، بحيث سيطرت على الداخل المحلي وعلى موسيقى العواصم العربية على مدى أعوام لم تنته برحيله، لن تنتهي برحيله. ذلك الزمن «زمن هدوء نسبي» (سي دي) أوضح احداث زياد الرحباني الحقة، بما يفرق بكثير عن ما تصوره الآخرون. لأن في ما فعله زياد الرحباني في الموسيقى لا الدخول في أرض المستحيل، فتح المجال أمام موسيقى أخرى من افضل ما ألفه موسيقي. لأنها تألقت لا على الضروري ولا على الجلبة، على ثقافة واسعة دورت زوايا اللقاء بين الموسيقى الشرقية والموسيقات العالمية. لم يشعر الرحباني بأهمية ما فعل، لأنه من طبائعه المكرسة فيه . رجل لا يدخل تحسينات رجل لا يدخل سوى إلى الصمامات من اصغاءاتها إلى دوائرها. «الجاز الشرقي» واحد من منجزات زياد الرحباني. عالمٌ مجنون اخترع آلة عجائبية أخرى اندفعت إلى المزيد من المبدفوعات الإبداعية بدوي بلا دمدمة.

الجاز والبلوز والروك والباسادوبلي. دام الأمر أعواماً ولا يزال . وحين وجد العالم فيروز على قدر من الصلف والتعالي بوجودها على ما يصح من أقوالها لا من أقوال الآخرين، وجدها زياد الرحباني غماراً لا يزال بقدرته أن يفضي إلى سلسلة من الإبداعات انطلقت من من رأه البعض هذيان زياد الرحباني إلى تحرير علاقة فيروز من الأخوين، عاصي ومنصور، بوضعها في صفاء آخر، صفاء فريد، صفاء العلاقة بجيله وجيل آخر تلاه. جيل الإنترنت. وضع الرحباني زياد، وضع فيروز بغضون دروج جديد استخدمه بتوفير العلاقة بين الوالدة السبعينية وجمهور العشرين. هذه واحدة من اللحظات العظيمة من زياد الرحباني لفيروز، حين لم يضعها في ضوء عناء التأقلم مع الألفية الجديدة، إذ حتم عليها أن يضحي نجاحها معادلاً لنجاحه في الأوساط الشبابية. نجاح تحريك عصي الراوفع الجديدة من ما ساوره من انتقالاته المعرفية بين موسيقى الشرق وموسيقى أميركا اللاتينية وأميركا البيضاء وأوروبا . عمر جديد لفيروز بعد تجربة لا يقال أن أصحابها يعتدون بها، لأنها تجربة أخوين لم يقفا أمام القصائد إلا بتأليف افضل الموسيقات. آخر أعمال زياد الرحباني لفيروز «إيه في أمل» بعد أن غنت «عهدير البوسطة» و«زعلي طول أنا وياك» و«كيفك إنت»، بعد «سألوني الناس» و«عصفورة البرد» و «رح نبقى سوا» و«سفينتي بانتظاري». لم تقع مصادفة قضية حين اصبح من الطبيعي أن يصل زياد الرحباني إلى والده الموسيقى وعمه منصور في ذاتياته الموسيقية وتوافقها مع أعمال الأخوين ، من روحها لا من إدراجها في أنحائها المادية . ابتعد عن شعور المهندس لدى الوالد والعم إلى واقع عدم دوام تلك اللحظات بصوت فيروز، إلا بما يعتد به على صعيد انتاج موسيقى جديدة سوف تقود الصوت القديم إلى العالم الجديد .

جاء زياد الرحباني إلى المدينة من ريف قدم فيه أولى مسرحياته «سهرية» . وجد فيها خالد العيتاني (صاحب البيكاديللي والسارولا ، صالتان من أشهر الصالات البيروتية، قدم فيها فنانون عالميون حفلات لا يزال صداها في فضاء المدينة حتى اليوم) فصل الرحباني الأول في مغادرة الريف إلى المدينة ما سيجعل أموره مختلفة عن ما جاءت عليه .

وجد الجمهور الرحباني في «نزل السرور» كما لو أن افضل ما يقع وقع في مدينة تفرغت لقضايا العالم، لا لقضاياها. ثم دام الأمر ما دام زياد الرحباني يوقع على مسرحية. استخدم أرباح المسرحيات في توفير مجال العمل في «

زياد وريما الرحباني

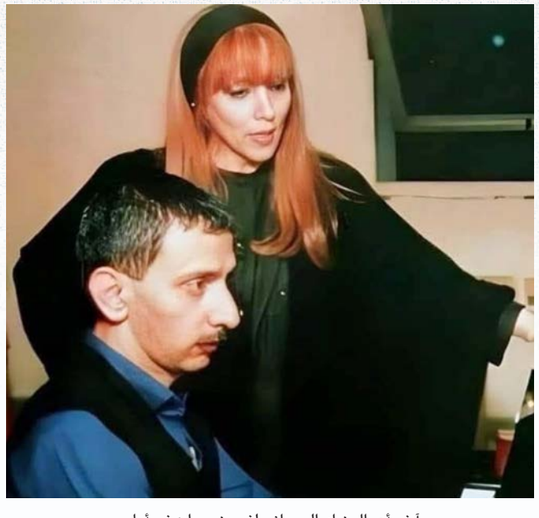

آخر أعمال زياد الرحباني لفيروز... «إيه في أمل»

الموسيقى. قال أنه لا يحب المسرح. قال وأنه يمول موسيقاه من أعماله المسرحية (لقاءات شخصية). طرق عدداً من السبل لتمويل أعماله الموسيقية، حتى قال بأن كل كونسير موسيقى كلف منتجه إصابته بكونسير في واحدة من العابه اللغوية. ذلك أن الرحباني وجد في اللغة مبرر وجود، تحدث بشيء وهي تسعى وراء شيء.

هكذا، واصل الحفاظ على مسافة بين المنطوق وطمع المنطوق بقتل الخيبات بالسخرية. واحدة من أعياد ميلاده باللغة . بالمشافهة اللغوية. ما لم يسبق لا سماعه ولا فهمه على ما هو عليه. أي ما سيحدث حدث في لغة جزلة جذابة، لم يُسعد صاحبها يوماً بالحصول على المال. إذ أن المادي الجدلي اكتفى من المقولة العالمية بالجدل دون المال . لم يهمه المال يوماً. لم يصل إلى لحظة لم يتصارع فيها مع رأس المال، غير أنه استقر على رفض الدوافع الجلية لرأس المال هذا في عدم تحقيق الأرصدة الأيجابية للفنون قدر تحقيق هذه الأرصدة في حسابات أصحابه.

جاءت مشافهاته في المسرح والأغنية، في مواضعها في أعماق الناس، حتى استعملوها في دفاعاتهم عن أنفسهم، مواقفهم، قضاياهم. شيء يستعصي تحديده سوى من صاحبه، مع ذلك وجد فيه الجمهور أصوله اللغوية الحية المفقودة ، إلى حين جاء زياد الرحباني بطبائعه اللغوية المحشودة بالمشاعر، بالخفة، لا بالثقل، ولو أنها في سخريتها أكثر جدية من جد لن يسعد أحد بالحصول عليه. عالج الشفاهي لدى الرحباني أمور العقود الحياتية وكل شأن تعامل معه الناس بصعوبة أو تردد. بلغته.

رجل موسيقى لا رجل طماع مسرح. قدم، على الرغم من جدية الأمر، مسرحيات كل

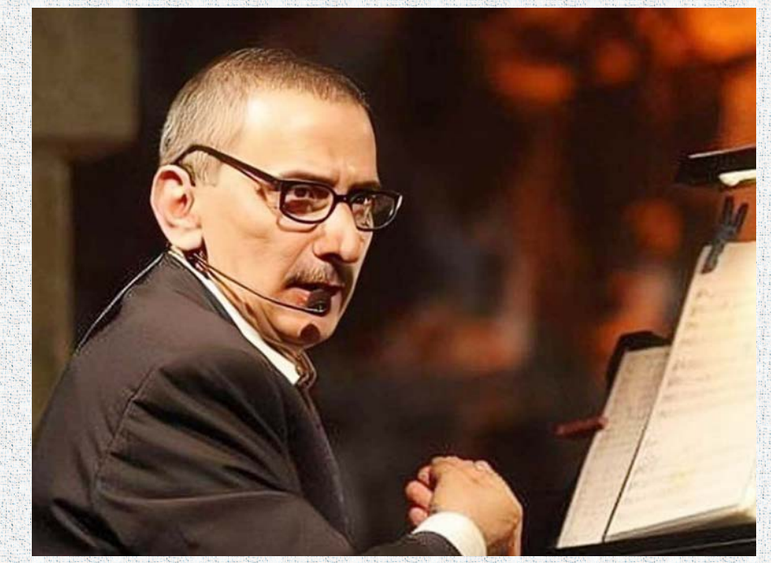

مسرحية حدث. بالنسبة لبكرة شو، فيلم أميركي طويل، شي فاشل، بخصوص الكرامة والشعب العنيد، لولا فسحة الأمل. قدمت المسرحيات في فؤاد المدينة، أشهر لكل مسرحية، لا مجال فيها للتشكيك في قدرة الرجل على الإبداع . مؤلف، ملحن، مخرج، لازم مسرحياته، بحيث لم يستطع أحد انتزاعها منه. مسرحيات لا تزال تواصل الإلحاح على الذاكرة . ستبقى تحضر في اغرب اللحظات بأغرب لحظاتها .

أضحى صوت فيروز وادائها لدى جيل الشباب كالتنفس مع زياد الرحباني . إنجاز لم يدفع إلى نوم الصوت في الآلفية الماضية. غير أن لزياد الرحباني عنانه في الانسياق وراء تجاربه، حتى أنه لم يدور علاقته بالموسيقى الشرقية بصالح المزواجة بينها وبين الموسيقات الأخرى. لأن عمله تعبير عن إرهاف الموسيقي في التعبير عن الإيغالات بين الموسيقات. كل شيء يلحق بكل شيء. هذه معادلة هذا العبقري في الموسيقى، أحد أفضل الممثلين الشعبيين على خشبات مسارح بيروت كما لو أنه المسرحي الإيطالي دار يوفو. وضع سعادة الموسيقى في سعادة الموسيقى الأخرى . وضع سعادة موسيقاه بسعادة مستمعي صوت فيروز حين الإستماع اليه . لم يلهه شيء عن فنونه . رجل يلتقط الشوارع كما يلتقطها اعمى، عراف، اسلم حكمته الشوارع . الرائي، أشار إلى الصلب القريب للمواطن اللبناني على أسربةإنجازات البنك المركزي، قبل أن يقع الصلب. حاول أن يؤلف حزباً سياسياً أكلته الظروف والنصائح. لم يترشح إلى الإنتخابات النيابية، لأنه وجد فيها جراثيم الأنسال الفاسدة. غير أنه اكثر من المتاع على وجه الأرض. وجوده من المتع، كلامه، حواراته، تسجيلاته. لولا الأخيرة في «بعدنا طيبين قول الله» مع جان شمعون في الإذاعة اللبنانية في الجولة الأولى من الحرب الأهلية في لبنان لقل صمود اللبناني في ارضه . لولاه لقلت قدرة اللبناني على الصمود في فارغ صحونه في العشريات الأخيرة .

إنه مكرمة لا تنفذ. لأن إبداعه لا يموت. لا يموت من لا يموت إبداعه. هو من شرق العزف على الغيتار ، من لعب على البيانو وكأنه طبلة تمر بين شقوق الرؤى.

عام على الغياب في وادي النوم، عام على التحول النفسي والدرامي لجمهور أحيا الذكرى وكأنه يحيي ذكرى من واجه لعنات الآلهة، من دون ان يكتفي بالمهارات التقنية. ■

*كاتب ومسرحي

فنسنت فان خوخ فنان غيّر تاريخ الفن

رؤوف قبيسي*

في ثمانينات القرن الماضي سافرت إلى أمستردام لزيارة صديق هولندي كان قد خدم في الكتيبة العسكرية التابعة لقوات الأمم المتحدة في جنوب لبنان وكنت قد تعرف إليه وإلى شقيقته في لندن. وكان في برنامج رحلتي الأولى إلى ذلك البلد، زيارة متحف الرسام العالمي الهولندي المشهور فان خوخ. ذهبت وصديقي إلى ذلك المتحف ثم عرفت منه أن اسم ذلك الفنان كما يلفظ باللغة الهولندية هو خوخ، وليس فان غوغ كما هو شائع في الكتابات العربية. ومنذ تلك الزيارة لمتحف ذلك الفنان العظيم أصبحت متعلقا بفنه أكثر من أي وقت مضى.

ومع أن فان خوخ لم يحظَ بالشهرة والنجاح خلال حياته، فإن أعماله أصبحت اليوم من أكثر اللوحات الفنية تأثيراً في العالم. لقد تميز فان خوخ بأسلوبه الفريد الذي يعتمد الألوان الزاهية وضربات الفرشاة القوية، واستطاع أن يصب مشاعره وأحاسيسه في لوحاته بطريقة فريدة، إذ كانت حياته مليئة بالصعوبات والتحديات، وهذه المعاناة أصبحت مصدر إلهام لإبداعه الفني، ما جعله رمزاً للإصرار والإبداع.

ولد فنسنت ويليم فان خوخ في العام 1853 في قرية "زوندرت" بجنوب هولندا. نشأ في أسرة متدينة، وكان والده قسيساً، وكانت والدته تهتم بالرسم والطبيعة، ما أثر في اهتمامه المبكر بالفنون والمناظر الطبيعية. في شبابه لم يكن يفكر في أن يصبح رساماً. عمل في تجارة اللوحات الفنية، ثم حاول أن يصبح معلماً وداعية دينية، لكنه لم ينجح في هذه المهن، ما دفعه إلى البحث عن طريق آخر يحقق فيه ذاته. بدأ ممارسة الرسم بشكل جاد في أواخر العشرينات من عمره، وهو عمر متأخر نسبياً مقارنة بكثير من الفنانين. كانت أعماله الأولى تميل إلى الألوان الداكنة وتعكس حياة الفقراء والعمال ومن أشهرها لوحة «أكلو البطاطا»، التي تظهر مجموعة من الفلاحين يتناولون وجبة بسيطة، وقد أراد من خلالها إبراز قسوة الحياة الريفية، والجهد الذي يبذله العمال لكسب قوتهم.

في عام 1886 انتقل فان خوخ إلى باريس، ليعيش مع شقيقه ثيو، الذي كان أكبر داعم له طوال حياته. في باريس تعرف إلى عدد من الفنانين البارزين، واطلع على المدارس الفنية الحديثة مثل الانطباعية وما بعد الانطباعية. تأثر بأعمال الرسامين الذين استخدموا الألوان المشرقة والإضاءة الطبيعية، فبدأت لوحاته تصبح أكثر إشراقاً وحيوية، وظهر أسلوبه الخاص الذي يعتمد الألوان القوية وضربات الفرشاة السريعة. لاحقاً انتقل إلى مدينة "آرل" في جنوب فرنسا، حيث عاش واحدة من أكثر الفترات إنتاجاً في حياته الفنية. كان يحلم بتأسيس مجتمع يجمع الفنانين فدعا الرسام بول غوغان للإقامة معه. إلا أن العلاقة بينهما شهدت خلافات متكررة بسبب اختلاف شخصيتيهما وأساليبهما الفنية، وانتهت بمشاجرة شهيرة أعقبها حادثة قام فيها فان خوخ بقطع جزء من أذنه اليسرى. أصبحت هذه الحادثة من أشهر القصص المرتبطة بحياته، ولا تزال تفاصيلها موضع نقاش بين المؤرخين. بعد ذلك دخل مصحة نفسية في بلدة «سان ريمي»، حيث استمر في الرسم رغم معاناته من اضطرابات نفسية متكررة. وخلال هذه الفترة أنجز عدداً من أشهر لوحاته، ومن بينها لوحة «ليلة النجوم»، التي تُعد من أعظم الأعمال الفنية في التاريخ، وتتميز بسماء مليئة بالدوامات الزرقاء والنجوم اللامعة، وتعكس رؤية الفنان الخاصة للطبيعة والكون، كما تُظهر قدرته على التعبير عن المشاعر الداخلية من خلال اللون والحركة.

لم يقتصر اهتمام فان خوخ على رسم المناظر الطبيعية، بل رسم أيضاً الزهور، وخاصة دوار الشمس، الذي أصبح رمزاً مرتبطًا باسمه. كما رسم العديد من الصور الشخصية، إذ لم يكن قادراً دائماً على دفع تكاليف استئجار عارضين، فكان يستخدم نفسه نموذجاً للرسم. وتُعد لوحاته الذاتية من أهم الوثائق الفنية التي تُظهر تطور أسلوبه وتكشف عن حالته النفسية في مراحل مختلفة من حياته.

رسم فان خوخ أكثر من 900 لوحة زيتية، ونحو ألف رسم تخطيطي خلال نحو عشر سنوات فقط، لكنه لم يبع خلال حياته سوى عدد قليل جداً من أعماله، ويُقال إن اللوحة الوحيدة التي بيعت له بشكل مؤكد كانت "الكرم الأحمر". عاش في ظروف مالية صعبة، وكان يعتمد بشكل كبير على الدعم المادي والمعنوي الذي يقدمه له شقيقه ثيو، والذي احتفظ بمراسلات طويلة معه أصبحت في ما بعد مصدراً مهماً لفهم أفكاره وشخصيته ونظرته إلى الفن.

عام 1890 انتقل فان خوخ إلى بلدة «أوفير سور واز» بالقرب من باريس، حيث واصل الرسم بوتيرة سريعة، وأنجز عشرات اللوحات خلال أشهر قليلة. إلا أن حالته النفسية لم تتحسن، وفي تموز من العام نفسه أُصيب بطلق ناري في ظروف لا تزال محل نقاش بين الباحثين. تُوفي بعد يومين فقط عن عمر يناهز 37 عاماً، وكان شقيقه ثيو بجانبه في أيامه الأخيرة. وبعد وفاة ثيو بفترة قصيرة، لحقت زوجته، يوهانا فان غوخ–بونغر، دوراً مهماً في نشر أعمال الفنان ورسائله، ما ساهم في شهرته العالمية.

بعد وفاته بسنوات بدأت قيمة أعمال فان خوخ تزداد تدريجياً وأصبح يُنظر إليه باعتباره أحد رواد الفن الحديث. واليوم تُعرض لوحاته في أشهر المتاحف العالمية، مثل متحف «فان خوخ» في أمستردام، ومتحف «أورسيه» في باريس، وتُباع بعض أعماله بمبالغ تصل إلى عشرات الملايين من الدولارات في المزادات العالمية، كما أصبح مصدر إلهام للأدباء والموسيقيين وصناع الأفلام، وأُنتجت عنه كتب وأفلام ووثائقيات عديدة.

تكمن أهمية فان خوخ في أنه لم يكن يرسم ما تراه العين فقط، بل كان يحاول التعبير عن المشاعر الإنسانية والانفعالات الداخلية من خلال اللون والخط، ولذلك أثرت أعماله في ظهور العديد من المدارس الفنية الحديثة، مثل التعبيرية، وألهمت أجيالًا من الفنانين في مختلف أنحاء العالم. وقد أثبتت حياته أن النجاح قد يأتي بعد سنوات طويلة من الكفاح، وأن قيمة الإبداع لا تُقاس دائماً بالتقدير الذي يناله صاحبه في حياته.

وفي الختام، يمثل فنسنت فان خوخ مثالًا للفنان الذي حوّل معاناته إلى أعمال خالدة. فعلى الرغم من حياته القصيرة والمليئة بالصعوبات، ترك إرثاً لا يزال يبهر الملايين حتى اليوم، وتبقى لوحاته شاهداً على قوة الفن في التعبير عن الإنسان ومشاعره، كما تظل قصته مصدر إلهام لكل من يؤمن بأن الإبداع الحقيقي قادر على تجاوز حدود الزمن والوصول إلى قلوب الناس في كل مكان. ■

*كاتب وناقد لبناني

اسرائيل واغتيال اللورد موين

لندن: أمين الغفاري

اسرائيل من واقع الخبره العمليه لا تسعي للسلام،بل ان (السلام) يشكل خطرا على طموحاتها ،في التوسع والهيمنه ،وتاريخها يكشف على ان الحروب والاضطرابات هما بالنسبة لها،اداة التنفس الأساسيه. وقد جرت في مصر عمليتان رئيسيتان، استخدمت اسرائيل في كلتاهما السلاح والارهاب لتحقيق مكاسب ذاتية محددة لها، وقد قامت بتوجيه الرصاص، في الحالتين الى صدور مواطنين اوروبيين، من مواطني دول من اقرب اصدقائها، وحاولت توريط مصر في تحمل الادعاءات بالأتهام، بالقتل اوعلى الاقل في تشويه صورة الأمن، وضعف اجراءت المحافظة على ارواح الأجانب ،حتى الرسميين منهم ،وزرع عوامل الشك في سياساتها، بما من شأنه ان يعكر صفو العلاقات، وافشال اي محاولة للتفاهم ،فضلا عن التعاون في اطار عمليات التنميه او الاستثمار. كانت العملية الأولى هي (اغتيال اللورد موين) وقد حدثت في غضون الحرب العالمية الثانيه، عام 1944. وكانت لها اصداء واسعه، وقد تمكن جندي مصري (كونستابل) من افشال هذا المخطط الصهيوني، وكانت العمليه الثانيه، تلك التي اطلق عليها (فضيحة لافون) وسوف نروي احداثها في عدد قادم .

ما هي قصة اللورد موين ،وماهي اهميته، وماهو الهدف من اغتياله تحديدا. تقلد (والتر غينيس) الشهير باسم (اللورد موين) منصباً سياسياً رفيعاً 1941 ،حين اصبح وزيرا للدولة البريطانيه، المقيم في منطقة الشرق الأوسط،وقد اتخذ من العاصمة المصرية القاهرة مقراً له،وتتلخص مسؤوليته في الإشراف على الشؤون السياسية والعسكرية البريطانية في منطقة تمتد على كامل مساحة الشرق الاوسط ، مع تركيز خاص على إدارة وتوجيه العلاقات البريطانية مع مصر،وقضايا سائر المنطقة،وقد تقلد منصبه ذاك، بقرار من رئيس الوزراء (ونستون تشرشل). حين رحل اللورد لويد (جورج امبروز لويد) بشكل مفاجئ.

قرار الاغتيال وملابساته

في خريف عام 1940 ،وافق رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، واقرب معاونيه انتوني ايدن على تشكيل (جيش يهودى) قوامه عشرة آلاف جندى،يختارون من صفوف الجيش البولندى والجيش التشيكي، وتتولى بريطانيا تمويلهم، ويرسلون الى فلسطين دعما للتعهد البريطاني بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين،كما جاء في وعد بلفور 1917.على ان يقوده أورد وينجيت (Orde Wingate) هو ضابط عسكري عُرف بتأييده الشديد للصهيونية ودوره في تدريب قوات الهاجناه، ويُطلق عليه في إسرائيل لقب (الصديق). وقد قوبل قرار رئيس الوزراء البريطاني بانشاء هذا الجيش اليهودى بشعبيه عارمه في الاوساط الصهيونيه الاسرائيليه، لكن تتدخل المقادير لتلعب دورها ،بغض النظر عن الحلم الصهيوني، فقد اقتضت ظروف الحرب العالميه ان تصدر الاوامر للقائد (وينجيت) ان يتوجه الى (أثيوبيا) لمعالجة بعض الاوضاع هناك.

وتبعا لذلك شعرت القواعد الصهيونيه المتعجلة للقرار الأول، بخيبة أمل عريضه من القرار الثاني الخاص بنقل القائد (وينجيت)، وان كان القاده الصهاينه مثل (حاييم وايزمان) ورفاقه لم يساورهم ادني شك في النوايا الطيبه للحكومة البريطانيه،وانها ملتزمه بالوعد الذي قطعته على نفسها باصدار وعد (بلفور). ثم حدث تطورآخر في امر ذلك الجيش الذي اولاه تشرشل اهتمامه. فقد تبين ان تشرشل قد ارتكب خطأ بالغا في قرار انشاء هذا الجيش دون ان يأخذ في الأعتبار آراء القاده البريطانيين الذين يعملون في فلسطين ذاتها،لا سيما وان بريطانيا تقوم بصلاحيات الحكم في فلسطين بناء على قرار الأمم المتحده (بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني رسمياً في 25 أبريل 1920 خلال مؤتمر سان ريمو بإيطاليا) كما ان هناك المندوب السامي البريطاني في فلسطين عام 1941 هو السير هارولد ماكمايكل، الذي تولى هذا المنصب طوال فترة الحرب العالمية من عام 1938 وحتى 1944 وكذلك الجنرال (ارشيبلد ويفل) وهو قائد عسكري بريطاني بارز وكان قائدا للقوات البريطانيه في فلسطين وشرق الأردن ، واسندت اليه مسؤوليات قمع الثورات الفلسطينيه الكبرى، وقد رفضا هذين القائدين بشكل قاطع تشكيل هذا الجيش اليهودى وارساله الى فلسطين بدعوى ان واقع الحال لا يسمح بذلك وان الثورات الفلسطينيه على اوجها ، ونلاحظ تأكيدا لذلك الحال ان بريطانيا كانت تلجأ لأصدار (الكتاب الأبيض) بين وقت وآخر يمالئ المطالب الفلسطينيه ،حتى يخفف من حجم تلك الثورات، وحاول تشرشل اقناع هذين القائدين المرة تلو الاخري ولكنهما رفضا ذلك رفضا قاطعا،فالوضع على الارض لا يحتمل، سياسيا واقتصاديا ومن ثم وجد تشرشل انه من المستحيل موافقتهما،قام أثر ذلك بتكليف صديقه المقرب اللورد موين باخطار الجاليه اليهوديه في فلسطين ان هناك صعوبات جمه لتشكيل هذا الجيش اليهودي حاليا، وان كان الأمر سيظل محل بحث ومتابعه، وفي اطار الظروف المناسبه، سنعاود التفكير في تشكيل هذا الجيش مرة اخرى.

اغتيال اللورد موين

اشتدت حركة الصراع على الأرض الفلسطينيه بين المواطنين الفلسطينين، ومجموعة التنظيمات المسلحه الصهيونيه، وقد تم تشكيل الكثير منها،التي ارتكبت جرائم ضد الشعب الفلسطيني، وكان اكثرهم تشددا وعنفا تنظيم (شتيرن)، كما انها كانت تري مقاومة الانتداب البريطاني على فلسطين،حتى تكون يدها اكثر انطلاقا في الاعمال الأرهابيه، ولذلك اتخذت قرارها بتصفية (اللورد موين) لأعتبارات عدة. منها الانتقام من الحكومة البريطانيه، لتخليها عن الوعد بتشكيل الجيش اليهودى، وهي اساسا ضد الوجود البريطاني برمته، وتعمل على انسحابه، وان (موين) هو ذاته الذي قام باخطارهم، ناهيك عن مسؤوليته، في الإشراف على الشؤون السياسية والعسكرية البريطانية، في منطقة تمتد على كامل منطقة الشرق الاوسط، وله رأي متعاطف مع ما يكابده الفلسطينيون من معاناه، وضد عمليات العنف المتزايده، ضد المسالمين منهم ومايجري على الساحة الفسطينيه من اعمال دمويه سواء في المدن او القرى. وقد لقي (ابراهام شتيرن) مؤسس تلك الحركه مصرعه على يد القوات البريطانيه عام 1942.

تفاصيل عملية الاغتيال

كان لعصابة (شتيرن) في القاهره مجموعه من ثمانية أفراد ،تتكون من ثمانية رجال، واربع سيدات، ولم تكن حتى ذلك الحين قد قامت بأي أعمال تخريبيه، ولذلك تم اختيارعناصرمن الخارج للقيام بتلك العمليه وهما شابين الاول اسمه (الياهو حكيم) وقد انضم لتلك العصابه مبكرا حين كان لايزال في المدرسه، وقد قاومت اسرته ذلك الالتحاق، بتلك العصابة، وحاولت اقناعه بالأنضمام الى الجيش البريطاني حتى يبتعد عن

اللورد موين

الكونستابل المصري محمد عبدالله

الياهو بيت تسوري

الياهو حكيم

شتيرن، ولكنها في النهاية لم توفق.

اما الثاني فهو (الياهو بيت تسوري) وكان يعمل في وظيفه بمصلحة المساحة وهو من مواليد تل ابيب بعد ان تم الاختيار، وتم التدريب قامت العصابه بتسهيل دخولهما الى مصر، بارتدائهما ملابس عسكريه للجيش البريطاني، وكان كل منهما يدخل بمفرده ، بمزاعم مختلفة ،وفي القاهره التقيا،وتحدد موعد التنفيذ يوم 6 نوفمبرعام 1944. ويروي موقع روسيا اليوم تفاصيل عملية الاغتيال، حيث توقفت سيارة اللورد موين وكان معه سائقه ومساعده وسكرتيره في اليوم المحدد من عام 1944 أمام مقر إقامته بشارع حسن صبري بحي الزمالك في القاهرة، وحين هم الوزير البريطاني بمغادرة السيارة، انطلق الرصاص باتجاه السيارة، فأصيب اللورد موين بجروح خطيرة وفارق الحياة بعد ساعات، كما قُتل سائقه أيضا فيما لم يصب المساعد والسكرتيره.

حاول منفذا عملية الاغتيال الهرب بدراجتين هوائيتين إلا أنهما تعرضا للمطاردة من قبل مواطنين مصريين عاديين انضم إليهم شرطي مصري (كونستابل) يدعى (حمد عبد الله)، تصادف وجوده قرب مسرح الجريمة. تبادل الشرطى المصري اطلاق النار، مع المجرمين الهاربين، وقام بمطاردتهما وهو يقود (موتوسيكل) وأمسك بالأول، وسلمه للأهالي بعد ان وثق يديه،ولحق بالثاني، حتى ادركه فالقي القبض عليه وصحبه الى مكان المتهم الأول ،وجاءت سيارة الشرطه ،حيث صحبتهما الى مركز الشرطه. وكانت المطاردات على جسر الملك فؤاد، وكان أحدهما قد أصيب بجروح. تبيّن من خلال التحقيقات شخصية منفذي عملية الاغتيال وهما إلياهو بيت تسوري وإلياهو حكيم، وهما شابان يهوديان يعملان في الجيش البريطاني وينتميان إلى المنظمة الصهيونية السرية المتطرفة المعروفة باسم (شتيرن) وكان يقودها في ذلك الوقت إسحاق شامير ويسرائيل إلداد وناثان إلين مور، وهم من أصدروا الأمر بتنفيذ الاغتيال. كما تبيّن لاحقا أن السلاح الذي نفذت به عملية الاغتيال كان له سجل حافل، وقد قتل بواسطته مسلحوا عصابة (شتيرن) الصهيونية نائبا لمدير شرطة القدس وثلاثة رجال شرطة في مدن مختلفة من فلسطين.

ردود الفعل لعملية الأغتيال

كان لعملية الاغتيال صدى واسع المدي في بريطانيا وفي فلسطين، مما حدى برئيس الوزراء تشرشل في ذلك الوقت أن يصرح أمام مجلس العموم البريطاني بلهجة غاضبة قائلا: (إذا كانت جهودنا من أجل مستقبل الصهيونية، سوف تؤدي فقط إلى ظهور رجال عصابات على شاكلة ألمانيا النازية، فان ذلك يعنى ان الكثيرين، بمن فيهم أنا، سوف يعيدون النظر في موقفهم تجاهها)، ثم استطرد قائلا: ان اللورد موين كان (صديقا ليهود فلسطين).

لكن على الجانب الآخر، كان المتطرفون في عصابة (شتيرن) يرون العكس، ويعتبرون الوزير البريطاني كان عدوا لهم. وهنا يمكن القول فيما يخص اللورد موين انه لم يكن في صف اليهود أو ضدهم ولكنه كان مدافعا عن التسوية بين العرب واليهود في فلسطين، وأن مقتله كان بمثابة إحدى الخطوات التي عجلت بالانسحاب البريطاني من فلسطين عام 1948، وإقامة دولة إسرائيل، لكي تبدأ على التو حركة الصراع العربي - الاسرائيلي ،بدخول الجيوش العربيه الى ساحة المعركة على الارض الفلسطينيه ،وتنتهي الى ما آلت اليه من تطورات، ساخنه تاره، وساكنه في اخرى، ولكنها مازالت متواصله حتى هذه الساعه. وعوده الى النبرة الغاضبه في حديث تشرشل في ذلك الحين، فقد كانت مجرد احتجاج، حين قام بتشبيه (رجال تلك العصابه شتيرن) بألمانيا النازيه، فقد كان يعلم ان زعيم (عصابة شتيرن ابراهام شتيرن) قد قام بتقديم عرض على (ألمانيا النازيه) للتعاون معا على طرد البريطانيين من الشرق الأوسط، وأقام اتصالات متعددة مع النازيين على قاعدة (عدو عدوي، صديقي)، وقد اشار الى هذا المعنى بقوله: (العدو هو بريطانيا. ويجب علينا محاربة هذا العدو حتى الموت تحت أي ظرف من الظروف) ولأن السياسة ليس لها عواطف ولكنها مصالح، فقد تغاضت عصابة شتيرن عن كل ما قدمته بريطانيا من دعم وخدمات واولها وعد بلفور ثم الاجراءات التي قام بها (هربرت صموئيل) بعد ان وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

وكانت الخاتمة

قدم القاتلان الى المحاكمه في مصر في العاشر من يناير عام 1945، حيث كانت هناك مفاجآت درامية، فلم ينكر أيٌ منهما اقدامه على ذلك، بل ان الاتهام بالقتل الذي اسند الى كل منهما اضافا اليه (سبق الاصرار والترصد) وقالا انهما قتلا (اللورد موين) باسم (العداله العليا) ، وشهدت المحكمه رؤيه واضحة المعالم في اعترافات (الياهو بيت تسوري) حين قال انني قد ولدت في تل ابيب، وبريطانيا دولة محتله لبلدي، وكان على ان اقاوم ذلك الاحتلال. قضت المحكمة بإعدام القاتلين شنقا، وقد تم تنفيذ الحكم في 22 مارس عام 1945، فيما تم نقل رفاتهما الى اسرائيل، بعد معاهدة كامب ديفيد التي وقعها الرئيس الراحل (أنور السادات) بعد مرور 30 عاما. اما الكونستابل (المصري محمد عبدالله) فقد تمت ترقيته الى رتبة ضابط بقوات الشرطه المصريه . ■

مشروع قانون المحاماة الجديد ومشكل الثقة بين الحكومة والمحامين

استمرار توقف المحامين عن أداء خدماتهم يشل المحاكم بالمغرب

المغرب ـ سعيدة شريف*

يخوض المحامون بالمغرب منذ بداية هذه السنة أطول حركة احتجاجية مناهضة للقانون الجديد المنظم لمهنة المحاماة، بلغت إلى مستوى التوقف الشامل والمتواصل عن أداء الخدمات المهنية الموكلة إليهم بما في ذلك المساعدة القضائية، وهو التوقف الذي وصل إلى الشهر الثالث مع بداية شهر سبتمبر/ أيلول الجاري، وذلك بعدما كانوا في الفترات السابقة يخوضون إضرابات ويقومون بوقفات احتجاجية ولكن من دون التوقف النهائي عن أداء مهامهم، وذلك رفضا لمشروع قانون المحاماة الجديد رقم 66.23 الذي جاء به وزير العدل المغربي عبد اللطيف وهبي المحامي أصلا، من أجل تحديث مهنة المحاماة وتنظيمها وضبطها وضمان استقلاليتها، وتنويع الممارسة وحماية حقوق المواطنين، حسب قوله.

فيما يرى المحامون بمختلف هيئاتهم أن هذا المشروع بصيغته المصادق عليها في البرلمان بغرفتيه "نكسة دستورية" تمس بمهنة المحاماة واستقلاليتها، وضرب لحصانة المحامين وحرية التعبير، وإخلال بحقوق المواطنين في المحاكمة العادلة، وهو ما دفعهم إلى مناهضته بجميع الوسائل المتاحة لهم واللجوء إلى المحكمة الدستورية من أجل الحسم في هذه القضية، التي يبدو أنها أخذت أبعادا سياسية وخلافات جوهرية بين الحكومة الحالية التي لم يتبق في عمرها إلا شهر واحد، وبين المحامين المتمسكين بالمقاربة التشاركية في أي أمر يمس مهنة المحاماة، وهي خلافات لا تدخل في اختصاص هذه السلطة القضائية، لأنها في أحسن الأحوال ستحكم بعدم دستورية بعض الفصول في مشروع هذا القانون، وهو ما سيدفع المحامين إلى طلب التحكيم الملكي.

خسائر مادية وتعطيل مصالح

وفي ظل هذا الوضع المتأزم وشلل المحاكم المغربية، يظل المواطن المغربي الذي لديه قضايا في تلك المحاكم هو المتضرر الأول، لأن مصالحه معطلة، وهو ما دفع العديد من المواطنين إلى تقديم شكاوى في هذا الاتجاه وما جعل المؤسسات والجمعيات التي تدافع عن حقوق المستهلك المغربي، والهيئات الحقوقية تدق ناقوس الخطر وتحذر من هذا الوضع غير الصحي الذي له تداعيات معنوية ومادية، خاصة أن كلفته المادية مرتفعة، فالمحاكم نفسها أصبحت صناديقها فارغة بسبب الخسارة التي تكبدتها جراء التوقف الاضطراري لذوي البذلة السوداء والمواطنين، كما أن خسارة المحامين كبيرة، وهو ما تسعى جميع هيئات المحامين بالمغرب إلى التخفيف منه من خلال صرف منح استثنائية للمحامين المتضررين بسبب هذا التوقف من باب التضامن والاستمرار في مناهضة هذا القانون.

إضراب المحامين لم يكن الأول من نوعه الذي واجهته وزارة العدل في هذه الحكومة، والذي تسبب في تعطيل مصالح المواطنين، فقد عرفت المحاكم أيضا تعطلا بسبب إضراب العدول وكتاب الضبط والموثقين وغيرها من القطاعات التي لها ارتباط بالقضاء، والتي انتفضت ضد قرارات وزارة العدل بالمغرب ووزيرها «المثير للجدل بتصريحاته وتهديدات» لمختلف القطاعات المتعلقة بوزارته، ولكن إضراب أصحاب البذلة السوداء أو «الغضب الأسود»، كما رفع في شعارات المحتجين، يعد «أطول معركة احتجاجية في تاريخ المحاماة المغربية»، حيث أصبحت فيها قاعات المحاكم شبه خالية من مرافعات الدفاع، في مقابل امتلاء ساحاتها بالوقفات الاحتجاجية والشعارات، في مشهد يعكس حجم الاحتقان غير المسبوق بين المحامين والحكومة، وهو ما دفع بعض الوكلاء العامون بالمحاكم المغربية إلى تقديم مراسلات رسمية حول تراكم أعداد المعتقلين وتحولهم إلى وضعية "اعتقال تعسفي جماعي" في غياب الدفاع، وهو ما تأسفت له «جمعية هيئات المحامين بالمغرب»، وحملت الحكومة «المسؤولية الكاملة»في ذلك. ومن دون شك فإن هذه الأزمة سترخي بظلالها أيضا على المشهد السياسي المغربي، المقبل على الانتخابات التشريعية، حيث بدأ العديد من المرشحين يثيرون هذا الأمر ويتساءلون عن الكيفية التي سيتم بها التعامل مع الملفات الانتخابية التي قد تفرزها المرحلة المقبلة، خاصة ما يتعلق بتقديم الطعون أمام القضاء.

النقيب الحسين الزياني
رئيس جمعية هيئات المحامين بالمغرب

حسن أيت علي
رئيس المرصد المغربي لحماية المستهلك

عبد اللطيف وهبي
وزير العدل المغربي

توقف شامل بعد إضرابات متتالية

بدأ الإضراب الشامل الذي شل محاكم المغرب رسمياً يوم 15 يونيو/ حزيران 2026، حيث دخل المحامون في توقف مفتوح عن العمل احتجاجا على مضامين مشروع القانون رقم 66.23 المتعلق بتنظيم مهنة المحاماة، وذلك بعد استنفاد جمعية هيئات المحامين لكل أساليب الاحتجاج والتفاوض مع الوزارة الوصية ومع الحكومة حول هذا المشروع، الذي مر بمسار طويل عرف مشاكل كثيرة وتوترات أسفرت عن تأخير صدوره. فبعد التوصل إلى صيغة توافقية بين وزارة العدل و«جمعية هيئات المحامين بالمغرب» في عام 2019، قررت وزارة العدل بعد تعيين الوزير عبد اللطيف وهبي على رأسها في عام 2021، وضع أرضية جديدة وتعديلات أثارت غضب هيئات المحامين، التي اعترضت على تلك التعديلات، ولكن ذلك لم يمنع الوزير من وضعه لدى الأمانة العامة للحكومة يوم 31 أكتوبر/تشرين الأول 2024، وهو ما دفع هيئات المحامين إلى تنظيم وقفات احتجاجية ضده، فتم سحبه وتعيين لجنة لمناقشة جميع مطالب المحامين الاجتماعية والضريبية والتشريعية، كما تم فتح حوارات متتالية بين الوزارة الوصية وهيئات المحامين ورئيس الحكومة فيما بعد، ولكن كل تلك الخطوات لم تعط أكلها، حيث صادق مجلس النواب بالأغلبية على هذا ال قانون خلال شهر مايو/ أيار الماضي قبل أن ينتقل إلى مجلس المستشارين، الذي أدخل عليه تعديلات همت عددا من المقتضيات، من بينها إخضاع صندوق أداءات وودائع المحامين لرقابة المجلس الأعلى للحسابات، ومنع النقباء من الترشح لولاية ثانية، قبل أن يصادق عليه في شهر يوليو/ تموز الماضي من طرف مجلس المستشارين ويتم التراجع عن مخرجات حوار هيئات المحامين مع الوزارة الوصية والحكومة، حسبما جاء في بيانات هيئات المحامين، وهو ما دفع مجلس النواب إلى إحالة مشروع القانون هذا على المحكمة الدستورية في 7 يوليو/ تموز الماضي من أجل الحسم في دستوريته وذلك في أجل لا يتعدى ثلاثين يوما من تاريخ الإحالة.

ويعود السبب الرئيسي لإضراب المحامين في المغرب إلى احتجاجاتهم الواسعة على مسودات ومشاريع القوانين المتعلقة بمهنة المحاماة وقانون المسطرة المدنية، حيث يرى المحامون أن هذه القوانين تتضمن "تراجعات خطيرة" تمس باستقلالية المهنة، وتضعف الحصانة الممنوحة للدفاع، وتتجاهل التوافقات السابقة مع وزارة العدل. وتتمثل أبرز مطالب المحامين في نقاط خلافية تتعلق باستقلالية المهنة، لأن المحامين يرفضون بعض المواد التي تمنح الإدارة وجهات أخرى صلاحيات خارج مجالس الهيئات، معتبرين أنها تكرس التبعية للحكومة، واعتماد الضريبة من المنبع، حيث يتحفظ المحامون على طريقة أداء الضرائب بشكل مسبق عن كل ملف، وبعض الإجراءات المتعلقة بالرقابة المالية. هذا ناهيك عن قانون المسطرة المدنية الجديد الذي يسعى إلى فرض قيود وتغييرات في القواعد والإجراءات المدنية التي اعتبروها «مسيئة لحقوق المتقاضين» وتهديدا للأمن القانوني، مع تقليص مهام الدفاع والحد من صلاحيات المحامي، حيث يتيح هذا القانون لجهات أخرى ممارسة بعض المهام التي تدخل في اختصاص المحامي.

أما وزير العدل المغربي عبد اللطيف وهبي المنتسب لحزب الأصالة والمعاصرة، فقد دافع عن مشروع القانون رقم 66.23 المتعلق بتنظيم مهنة المحاماة في قبة البرلمان، واعتبره قانونا «متقدما» جاء بعد تقييم شامل للتجربة السابقة التي امتدت لأكثر من 17 سنة، مؤكدا أن «التحولات التي عرفها المجتمع المغربي ومنظومة العدالة فرضت ضرورة تحديث الإطار القانوني للمهنة بما يضمن مواكبة التطورات المؤسساتية والرقمية والتنظيمية التي يشهدها القطاع».

وشدد وزير العدل على أن هذا المشروع خطوة مؤسسية تهدف إلى تطوير مهنة المحاماة ومواكبتها للمعايير الدولية، وتحسين جودة الخدمات القانونية، وتعزيز الشفافية المالية، حيث ينص هذا القانون على إلزامية التكليف المكتوب بين المحامي وموكله لأول مرة، وهي آلية ينتظر منها أن تسهم في توضيح طبيعة العلاقة المهنية وضمان الحقوق والالتزامات بين الطرفين بشكل أكثر دقة وتنظيما، بما يعزز الثقة بين المحامي والمتقاضين، كما يضع شروطا جديدة لولوج مهنة المحاماة، ويضع مسارا تكوينيا متكاملا، يجمع بين التكوين النظري داخل المعهد والتدريب الميداني المطول، بما يعزز جاهزية المحامين الجدد لمواجهة تعقيدات الممارسة المهنية، كما لا يغفل المشروع أهمية التكوين المستمر، حيث تم التنصيص على إلزاميته، في توجه يروم ترسيخ ثقافة التعلم والتأطير المستدام داخل المهنة، ومواكبة التحولات المتسارعة التي يعرفها المجال القانوني وطنيا ودولياً، خاصة أن هذا المشروع، كما قال وزير العدل، سيفتح آفاقا جديدة أمام المحامين، خاصة الشباب، من خلال تنويع أشكال ممارسة المهنة، سواء بشكل فردي أو في إطار شراكات أو شركات مهنية، إلى جانب إقرار إمكانية التعاون مع محامين أجانب وفق ضوابط قانونية دقيقة.

ومن بين النقاط الأكثر جدلا في هذا القانون هو منع الدعوة إلى مقاطعة جلسات المحاكم، وهو ما يرى فيه المحامون تقييدا لأحد أدوات الاحتجاج التي اعتادوا استخدامها للتعبير عن مواقفهم المهنية أو السياسية، وإخضاع حساب ودائع وأداءات المحامين لرقابة المجلس الأعلى للحسابات، التي يبررها وزير العدل بـ «التحقق

من قانونية وسلامة العمليات المالية والمحاسبية المرتبطة بها، وخصوصا عمليات الإيداع والسحب والتحويل والأداء وتتبع الأرصدة والفوائد والمصاريف»، وفتح المهنة أمام وكلاء لا علاقة لهم بالمهنة من خلال شركات قد لا تكون مصلحة المواطنين من ضمن أولوياتها، خاصة أن قانون المسطرة المدنية اليوم يمس بشكل كبير بالحق في التقاضي ويمس بحق الطبقات الهشة في أن تلجأ إلى القضاء بما يقتضيه الأمن القضائي والقانوني من موجبات، وهو ما يتناقض مع مقتضيات الدستور.

عدم ثقة بين الحكومة والمحامين

ونظرا لأن مشروع قانون المحاماة الجديد معروض حاليا على المحكمة الدستورية، فإن مجموعة من المصادر بوزارة العدل رفضت التحدث في الموضوع، وبلغت «الحصاد» عبر المستشارة الإعلامية للوزارة بأن لديهم تعليمات صارمة بعدم التحدث في الموضوع، فيما قال النقيب الحسين الزياني رئيس «جمعية هيئات المحامين بالمغرب» في تصريح له «إن قرار التوقف الشامل عن العمل جاء كنتيجة للاعتداء الصارخ والواضح على مهنة المحاماة من خلال مشروع القانون رقم 66.23 المتعلق بتنظيم مهنة المحاماة، الذي يمسها في الجوهر ويضرب باستقلاليتها عرض الحائط».

وأضاف النقيب بأن مهنة المحاماة «تعيش وضعية صعبة اليوم بسبب مشروع القانون هذا غير الناضج الذي تم إعداده بشكل سريع. ورغم تقديمنا في الجلسات الحوارية مع الوزير ومع الحكومة للكثير من الملاحظات، فإننا في النهاية تفاجأنا بانقلاب الحكومة علينا وعدم احترامها لكل المشاورات والملاحظات، ولهذا فإن مشكلتنا اليوم مع الحكومة هي مشكل ثقة، وهو ما جعلنا نطرح الكثير من الأسئلة خاصة بعدما صادق مجلس النواب بغرفتيه على هذا القانون رغم علاته التي تمس مهنة المحاماة واستقلاليتها، ومقومات المحاكمة العادلة وحقوق المواطنين في التقاضي النزيه».

وقفات احتجاجية للمحامين بالمغرب

وأشار الزياني إلى أنهم يستبشرون خيرا وينتظرون ما ستقوله المحكمة الدستورية، وهو متيقن من أنها ستبسط رقابتها عل ما تراه مخالفا للقانون، موضحا «مشكلتنا اليوم هي في عدم دستورية مجموعة من البنود في هذا القانون، وهو ما ستبث فيه المحكمة الدستورية، لكن الخلاف السياسي بين الحكومة والمحامين وهو خلاف يتمثل في ضرب المقاربة التشاركية والمس بالثقة التي من المفترض أن تكون هي العمود الذي يجمع بين مؤسسات الدولة، لا يمكن للمحكمة الدستورية البث فيه».

وخلص إلى القول بأن «مشروع القانون الجديد المتعلق بمهنة المحاماة غير ناضج ويحتاج إلى الكثير من الضبط والمراجعة، ولهذا يجب تجميده وسحبه، خاصة أننا في آخر الولاية الحكومية، وبالتالي لا نرغب في أن نكون ضحايا التضارب السياسي، ونطمح إلى أن يعالج هذا القانون بالشكل المهني المطلوب».

وبما أن المواطن هو صلب كل إصلاح، فإن هذا المشروع حسب العديد من المحامين، لا يحقق العدالة الحقيقية، وقدما أمثلة صارخة على ذلك تتمثل في التمييز بشكل فاضح بين المواطنين في اللجوء إلى القضاء والطعن بالاستئناف والنقض على أساس موقعهم الاقتصادي والاجتماعي، فطلب 30 ألف درهم مغربي كتعويض ليس لصاحبه الحق في الاستئناف، وطلب 80ألف درهم مغربي لا يخول لك الحق في النقض، كما أن كل الغرامات سيتحملها المواطن في حالة التصريح بعدم القبول.

المواطن ضحية الخلاف

ومن جهته قال حسن أيت علي رئيس «المرصد المغربي لحماية المستهلك» في تصريح لـ «الحصاد» أن «استمرار إضراب المحامين، مهما كانت دوافعه ومشروعية المطالب التي تستند إليها الهيئات المهنية، يفرز آثارا مباشرة على المواطنين، باعتبارهم الحلقة الأكثر تأثرا بأي توقف أو اضطراب يصيب مرفق العدالة. فالعدالة ليست خدمة عادية، وإنما هي مرفق عمومي أساسي يرتبط بحماية الحقوق والحريات، وضمان الأمن القانوني والقضائي، وصون الثقة في مؤسسات الدولة. ومن الناحية العملية، أدى استمرار الإضراب إلى تأجيل عدد كبير من الجلسات، وتعطيل البت في العديد من الملفات، سواء المدنية أو التجارية أو الأسرية أو الاجتماعية أو الزجرية، وهو ما ينعكس سلبا على مصالح المتقاضين، خاصة الفئات الهشة التي تنتظر أحكاما تتعلق بالنفقة أو التعويض أو استرجاع الحقوق أو تنفيذ الأحكام القضائية. كما أن المستهلكين بدورهم يتضررون بشكل مباشر، لأن العديد من القضايا المرتبطة بحماية المستهلك، كالنزاعات مع الموردين، وشركات التأمين، والأبناك، والعقود، والغش التجاري، تصبح عرضة للتأجيل، مما يؤدي إلى إطالة أمد النزاعات وتحميل المواطنين أعباء مالية ونفسية إضافية».

وأضاف أيت علي أن طول أمد التقاضي ينعكس سلبا على مناخ الأعمال والاستثمار، لأن الأمن القضائي يشكل أحد أهم عناصر الثقة بالنسبة للمواطن والمقاولة على حد سواء، وكل تأخير في الفصل في النزاعات قد يؤثر على الحقوق الاقتصادية والتعاقدية للأفراد والمؤسسات، ولهذا دعا «المرصد المغربي لحماية المستهلك» في بيان له، إلى عدم جعل المواطن ضحية لأي خلاف مؤسساتي أو مهني، وطالب جميع الأطراف باستحضار المصلحة العامة وضمان استمرارية مرفق العدالة، بما يحفظ في الوقت ذاته الحقوق المهنية للمحامين وحقوق المتقاضين. ■

*إعلامية وكاتبة من المغرب

■■ أصدرت المحكمة الدستورية قرارها يوم 10 أغسطس/ آب 2026، وقضت بتعذر البت في مطابقة مشروع القانون رقم 66.23 المتعلق بتنظيم مهنة المحاماة للدستور، وذلك بسبب خلل مسطري واختلال في وثائق الإحالة المتمثل في عدم إرفاق النص بالنسخة المصادق عليها بصفة نهائية من طرف البرلمان، وهو ما خلف استغرابا كبيرا وتساؤلات حول مصير هذه الأزمة الخانقة التي خلفها توقف المحامين بشكل نهائي عن أداء مهامهم، ودفع «جمعية هيئات المحامين بالمغرب» إلى إثارة المسؤولية المباشرة لرئاسة مجلس النواب لأن «طبيعة الخلل الذي حال دون القيام بعملية البت لا يمكن اختزاله في مجرد سهو إجرائي، بالنظر إلى دقة المسطرة الدستورية والجهة المؤسساتية المعنية بإحالة النص». ■■

النص الكامل على موقعنا الإلكتروني

ليندا نصار*

الشعر المحكي بين الاحتضان الثقافي والاعتراف الأكاديمي:

أصوات شابة تبعث الأمل

لم تعد العربية المحكية، بتنوّع لهجاتها، مجرد وسيلة للتخاطب اليومي، بل باتت موضع اهتمام يجذب الباحثين الذين يسعون إلى دراسة الجانب الأصيل من ثقافتنا العربية الذي تجلّت بعض مظاهره في لغتنا المحكيّة. ومن الملاحظ أنه ثمة نهضة لغة محكية تتمثل في جيل الشباب الواعد، هؤلاء الذين لا تقيّدهم مفاهيم ولا تحكمهم مسألة المفاضلة بين الفصحى والعامية، فتجدهم يهتمون بقراءة النتاجين المكتوبين بالفصحى والمحكية، ما يغني تجربتهم وإرثهم الفني. الأمر الذي بات يثير الإعجاب في عصرنا الرقمي وسط تنامي ثقافة السرعة والميل نحو المرئي والمسموع من "ريلز" أو "بودكاست" مع غياب قراءة الكتب.

ما حدث لم يكن وليد مبادرات فردية فحسب، بل أسهمت فيه أيضًا بعض المؤسسات الثقافية في ترسيخ مكانة اللغة المحكية ومنها الجمعيات التي عززت مكانة الشعر المحكي، ونذكر منها خصوصاً على سبيل المثال "جمعية تجاوز"، كذلك هناك مؤسسات خصصت جائزة للشعر المحكي كجائزة الشاعر المتميز الراحل عصام العبدالله والتي شجعت العديد من الشباب الجديرين بها، بالإضافة إلى ذلك، بدأ الالتفات أكثر من قبل المؤسّسات الأكاديمية، وقد تعاونت مؤسسة موريس عواد، ممثلة بمديرها ملكار الخوري، مع الجامعة اليسوعية، الصرح الأكاديمي العريق في بيروت لإطلاق "كرسي موريس عواد" برئاسة الدكتور جوزيف شهدا في الجامعة اليسوعية. وقد ضمّت اللجنة العلمية: الأب البروفيسور سليم دكاش اليسوعي، د. طوني قهوجي، د. ندى معوض، وهذه المبادرة تستحق الإضاءة والاهتمام لما تحمله من دلالات ثقافية وأكاديمية، خصوصاً وأنها أتاحت لطلاب الدكتوراه مجالات البحث والتّخصّص.

كذلك تشهد المكتبات الجامعية والخاصة على حضور الشعر المحكي، وقد عزّز هذا الحضور المتنامي الإرث الثقافي اللبناني، ويعدّ لبنان من الحواضن التاريخية للشعر المحكي الذي ارتبط بالمناسبات الاجتماعية في الأحزان والأفراح، إذ كان الزجل اللبناني شاهداً على الأعراس والمآتم. والأمثلة كثيرة على ذلك خصوصاً في القرى التي ما زالت تحافظ على أصالتها وإرثها الفني المتوارث من جيل إلى جيل. وقرية حراجل خير دليل على بزوغ الشعر منذ ظهور الشاعر موسى زغيب، وصولًا إلى الجيل الجديد الّذي نشأ على صوت الشعر ونبضاته وإيقاعاته، ما زرع في نفسه عشقًا لهذا الفن الوجداني العميق.

ومن اللافت أيضًا، حضور الشعر في روح الأجيال الشابة وهذا الأمر في حد ذاته انتصار للشعر الذي بات في مواجهة صعوبات كثيرة سبّبتها تجاذبات هذا العصر. وقد بدا ذلك جليًا بالنسبة إلينا حين بحثنا عن الشعراء الشباب في لبنان فوجدناهم قلة.

بالحديث عن التجارب الشعرية الشابة لفتتني كتابات الشاعرين رالف حداد وأنطوان خليل، فعلى الرغم مما شهده الشعر من منافسات في زمن السرعة حيث هيمنت وسائل التواصل الاجتماعي وأخذت اهتمام الأجيال بها، لمسنا في شعرهم ما هو جدير بالمتابعة لما فيه من خصوصية في الرؤية والأسلوب والصور الشعرية الكثيفة، التي تأخذ قارئها إلى عوالم شعرية، تمتاز بغرابتها وحداثتها، إذ تكاد لا تعثر في دواوينهما على صور مستهلكة، وهذا ما ميّز تجربتهما، وهذا ما يطمئننا لنقول: «الشعر المحكي بخير».

في ديوانه «غيمي عَ باب الوقت» يكتب رالف حداد قصيدة «بين الحلم والوقت»:

فيّي حلم، عم بنطرو بشرقْ/ متل شمس وساكبي عطر!/ وبيصير بعيوني الوقت يمرقْ/ وأطول مسافي بالوقت: نَطْر!/ وبحس فيّي بيت إسمو "الروح"/ يا وقت قلّي ليش مش صحبي أنا ويّاك/ ما بشوفك غير عم بتروح/ مدري إنتْ مجروح/ مدري أنا شبّاك."

لم يعد الوقت مجرّد موضوع لهذه القصيدة، بل تحوّل إلى تجربة حسيّة وكأنّه شخصيّة تفكّر، تتعرّض للتّأنيب، تتحرّك في مواجهة كائن آخر. وكأنّ الانتظار مصير الشّاعر الّذي يقف عند الجهة الأخرى من الزّمن، مترقّبًا ما لا يأتي. فالانتظار يتبع الشّمس، وينتقل من الجمود إلى الحركة. في هذه الأبيات يرتبط الزّمن بالحواس. وبالشّعر تتغيّر الموازين والمقاييس ليصبح قياس الزّمن مرتبطًا بالشّاعر في علاقة صداقة وخصومة في آن، ومتّصلًا بالذّات الشّاعرة الّتي تتّسع لها إمكانات الشّعر، إمكانات الحبّ والانتظار وما يختزنهما من رجاء وأمل. بهذا الأسلوب، تحرّك الشّعر من الخارج إلى الدّاخل، إلى بيت سمّاه رالف حداد الرّوح.

أمّا الشّاعر أنطوان خليل فيكتب في ديوانه «تعلّمت عَ السّطر المشي»، في قصيدة «ضجّة ذكريات»:

مْجَعّد كتير الوقت/ عا وجِيّ/ والقلب، عم بيدق/ دقّا حارْقا./ وْسامِعْ/ متل شْهقْتْ شي لَحظا فارْقا/ منْ وين جايي/ كلّ هالضَجّيّ؟/ مَعقول هيدي ذكرياتي مَارقا؟"

تبدو علاقة الشّاعر بالوقت قويّة، فقد ابتعد عن كونه مجرّد حالة من الترقّب والانتظار، ليؤسس علاقة بينه وبين الذّاكرة. تجسّد الوقت وأصبحت تجاعيده أثرًا مرئيًا لمروره على وجهه، إنّه أيضًا صار يقاس بمقاييس القلب لا السّاعة، ووجوده رهينة الانفعالات. هذا الارتباط بين النّبض والوقت يمنح الصّور طابعًا مؤلمًا حيث تعود الذّكريات لتحرق. من جهة أخرى يأتي الاستفهام في نهاية النّصّ، بذلك تنقلب العلاقة مع الزّمن، وتحيا الذّكريات من جديد ليتداخل الماضي بالحاضر. فالزّمن هنا تجربة حسّيّة متجسّدة في كائن يمكن رؤيته والإصغاء إليه.

في النّهاية، يبقى من الحقّ أن نقول، إنّ الشّعر فصيحًا كان أم محكيًا، مساحة لاستعادة الذّات في كلّ زمان ومكان، ويبقى الأمل معقودًا على الأصوات الشّابّة الّتي تؤمن بالكلمة، لمواصلة هذا الإرث وكتابة فصوله المقبلة. ■

*كاتبة، شاعرة وناقدة لبنانية

هل إستنجاد إنفانتينو بترامب سينقذ مستقبله في رئاسة الإتحاد الدولي لكرة القدم

إغراءات المال تهدد مسابقات الفيفا

إنفانتينو وجد كأس العالم دجاجه تبيض ذهباً

إنفانتينو يستنجد بالرئيس الاميركي ترامب من أجل دعمه ضد حمله الاطاحه به من رئاسة فيفا.

تشيفيرين أمام فرصة للإنقضاض على منصب رئيس الفيفا

لندن: هاني عبيد*

هل وقع السويسري جياني إنفانتينو رئيس الإتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) في فخ الإغراءات المالية، أم أصابه الغرور بعد الإيرادات الضخمة التي حققتها كأس العالم الاخيرة في اميركا الشمالية والتي تجاوزت الـ15 مليار دولار؟

لقد خرج إنفانتينو، بعد ختام كأس العالم التي توجت إسبانيا بلقبها يوليو الماضي، يتباهي بصواب فكرته في توسيع رقعة المنافسة من 32 الى 48 منتخبا في أكبر مسرح كروي في العالم، ومشيراً الى سعية زيادة عدد الفرق المشاركة في نسخة 2030 المقررة في إسبانيا والبرتغال والمغرب الى 64 منتخبا!.

معظم خبراء اللعبة ومسؤولي الإتحادات في الدول الكبرى، يرون أن إنفانتينو بات يضع طموحات الفيفا التجارية كأولوية على حساب المستوى الفني للبطولة الأهم بالعالم، لكن ما تطرق اليه من خطط بيع حصة من الحقوق التجارية لكأس العالم لشركات خاصة، كان بمثابة فتح أبواب النيران التي تهدد بقائه في منصبه، برغم تراجعه عن فكرته.

كان إنفانتينو يعتزم إنشاء شركة تحمل اسم «فيفا فورورد إنتربرايز»، تكون مفتوحة أمام مستثمرين من القطاع الخاص، وتتولى إدارة الأنشطة التجارية والفعاليات الكبرى التابعة لفيفا، إلى جانب منح دفعات استثنائية بقيمة 20 مليون دولار لكل من الاتحادات الأعضاء البالغ عددها 211 والتي يملك كل منها صوتا واحدا في فيفا.

ودافع إنفانتيو عن موقفه بأن بيع حصة أقلية في عملياته التجارية سيدر مليارات الدولارات لدعم تطوير كرة القدم في جميع أنحاء العالم، واتهم وسائل الإعلام بتشويه المقترح، لكن الرد جاء من نائبه السابق جيم بويس بإن الاتحاد الدولي يجب أن يركز على مصالح المشجعين ولا ينبغي بأي حال من الأحوال "بيع اللعبه للمستثمرين".

لقد كان العالم ينتظر من إنفانتينو ومنظمته تبريرات منطقية للأحداث التي شهدتها كأس العالم الأخيرة في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا والتي أثارت الكثير من الجدل بسبب التدخلات السياسية وقرارات تحكيمية تدعوا للشكوك وتساؤل عن جدوى إستحداث تقنيات تكنولوجية جديدة.

لكن بدلا من ذلك خرج متحدياً ومتباهياً بإنجازاته التي جلبت الكثير من المليارات للإتحاد الدولي. لم يدرك السويسري الطامح في ولاية جديدة لرئاسة الفيفا بعد 10 سنوات في المنصب، أن خطته الرامية إلى بيع حصة من الحقوق التجارية لكأس العالم، ستجلب عليه هذا الكم من الهجوم، ومن المؤكد أن مستقبله على رأس المنظمة العالمية، بات محل شك كبير بعدما أبدت العديد من الإتحادات الوطنية سحب ثقتها منه.

في استقصاء بحثي لأستاذ الاقتصاد بجامعه ماساتشوستس الأميركي فيكتور ماثيسون يقول: "بعد نهاية كأس العالم، كان إنفانتينو في قمة النجاح ويشعر بثقة كبيرة أنه سيعاد انتخابه بأغلبية ساحقة على خلفية نجاح مالي كبير للبطولة. لكن كل ذلك أصبح في خطر الآن".

إنفانتينو يستنجد بترامب

كان إنفانتينو قبل العاصفة الأخيرة، يشعر بأن إستمراره على رأس المنظمة العالمية لكرة القدم في مأمن ولا يستطيع أحد المساس بمكانته، لكن بالتأكيد بات يدرك أن ردة الفعل العنيفة من غالبية الإتحادات الوطنية (211 اتحاد) ستقف ضد طموحه في الفوز بالانتخابات المقررة في مارس المقبل من أجل ولاية جديدة حتى ولو أستنجد بالرئيس الأميركي دونالد ترامب لدعمه.

ومع أعلان الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا)، أغنى وأكثر الاتحادات القارية الستة نفوذا ومن بعده الإتحادين الأميركي الشمالي والأسيوي، الوقوف ضد خطط رئيس الإتحاد الدولي والتهديد بمقاطعة جميع فعاليات «فيفا»، تراجع إنفانتينو عن فكرته ببيع نسبة من أرباح بطولاته للشركات الاستثمارية، لكن لن يكون ذلك كافياً للسويسري البالغ عمره 56 عاما لإرضاء تلك الإتحادات التي تطالب بعزله بعد اتهامه ببيع روح اللعبة من أجل المال.

ويضم الـ «يويفا» و«الكونكاكاف» والاتحاد الآسيوي مجتمعين 143 اتحادا محليا، أي ما يزيد عن نصف أعضاء الفيفا البالغ عددها 211 عضوا وهو الأمر الذي سيجعل موقف إنفانتينو صعباً في الانتخابات المقبلة حال وقفت هذه الإتحادات ضده.

استقالة «كورديرو» المستشار البارز في الفيفا احتجاجا على ما وصفه بأنه يصفقة سيئة لكرة القدم»، وزعم كيفن لامور المدير التنفيذي للعمليات في الاتحاد الدولي بأنه تعرض للخداع، وضع إنفانتينو في موقف محرج أمام أقرب داعميه قبل معارضيه.

إنفانتينو، الذي تولى رئاسة الفيفا عام 2016 بعد أن أنهت فضيحة فساد عهد مواطنه السويسري سيب بلاتر الذي استمر 17 عاما كرئيس للاتحاد، كان يرى ان قدرته على الحفاظ على خزائن الفيفا ممتلئة تكفي لتمكينه من تجاوز أخطائه، إلا أن مناورته الاخيرة جاءت بنتائج عكسية بشكل مذهل.

ويرى الإتحاد الاوروبي أن إنفانتينو بأت يدير الفيفا بشكل فردي، ويستقل بقراراته بعيدا عن اللجنة التنفيذية، التي بقيت في الظلام بينما كان هو يجتمع مع المستثمرين ويختار شركة "ثرايف كابيتال" التي أسسها جوشوا كوشنر، وهي شركة تربطها صلات عائلية وثيقة بالرئيس الأميركي دونالد ترامب، من أجل بيع حصة بطولات كأس العالم المربحة.

كانت العلاقة الوثيقة بين إنفانتينو وترامب موضع تدقيق بالفعل بعد أن منح الفيفا الرئيس الأميركي جائزته الأولى للسلام في ديسمبر الماضي.

لكن ما حدث خلال كأس العالم الاخيرة عندما قال ترامب إنه اتصل بإنفانتينو ليطلب إلغاء إيقاف اللاعب الأميركي فولارين بالوجون بسبب بطاقة حمراء، حتى يتمكن من المشاركة في إحدى مباريات الأدوار الإقصائية، كان بداية للشعور بأن مصداقية المسابقة باتت محل شك!

ولم يسهم السماح لبالوجون باللعب في النهاية، في تبديد الانطباع بأن ترامب كان يتدخل في شؤون كرة القدم من خلال إنفانتينو، بل جاء إسم جوشوا كوشنر شقيق زوج ابنة الرئيس الأميركي كأحد المرتبطين بالتسويق لشراء جزء من حصص بطولات الفيفا ليضع مزيداً من الزيت على النار المشتعل.

ومع التأكيد بأن أنفانتينو طالب بموعد للقاء ترامب من أجل الحصول على دعم في أزمته الأخيره ، الا ان الرئيس الأميركي لم يلب طلبه بل وأشار الى انه لا يعرف شيئا عن اقتراح بيع حصص في كأس العالم!

إنفانتينو تحت الضغط

كان إنفانتينو يهدف الى إغراء الاتحادات الوطنية المنضوية تحت لواء الفيفا بمنحه تصل الى 20 مليون دولار حال تنتفي مخططه ببيع 20 من حصص كأس العالم التي يرى أنها ستجلب نحو 4.5 مليار دولار للإتحاد الدولي.

لقد فتحت الفكرة الجدلية للإنفانتينو الباب مجددا حول مصداقية مسابقات الفيفا، بعد أيام من إتهامه هو شخصياً بمحاولة توجيه بطولة كأس العالم لصالح الأرجنتين التي وصلت للنهائي بعد مشوار شهد قرارات تحكيمية جدلية قبل أن تفوز إسبانيا بالكأس. ويرى معظم خبراء اللعبة أن وجود شركاء استثماريين للفيفا سيضع مصداقية بطولات كأس العالم محل شك.

ورغم تراجعه عن فكرته الا ان المعارضة القوية التي واجهها، والانتقادات غير المسبوقة من الإتحادات القارية الا أن بقاء إنفانتينو على رأس المنظمة العالمية للعبة بات محل شك.

ويرى مايكل باين، مدير التسويق السابق في اللجنة الأولمبية الدولية ان مقترح إنفانتينو كان بمثابة إعلان عن إنتحار سياسي وأوضح: «لا أعتقد أننا شهدنا يوما سقوطا سريعا بهذا الشكل لزعيم رياضي... بعد كأس العالم كان إنفانتينو يحلق عاليا متباهيا بالتنظيم الناجح، وبعد اسبوع واحد من مقترحه ببيع حصص المسابقات الدولية هناك شك كبير في بقائه بمنصبه... إنه الغرور المفرط!».

ويرى باين الذي ساهم خلال نحو عقدين في اللجنة الأولمبية الدولية في تحديث العلامة التجارية للمنظمة وتحسين أوضاعها المالية، أنه يخشى تداعيات استمرار إنفانتينو في منصبه. وقال الإيرلندي البالغ 68 عاما: «تعلمت منذ وقت طويل ألا أقول أبدا إن أمرا مستحيلاً في هذا العالم، لكن إنفانتينو يحتاج إلى أكثر من معجزة كي ينجو».

وأمام مطالب الإتحاد الأوروبي بضرورة حفظ الوثائق وعدم إتلاف رسائل البريد الإلكتروني أو الملفات أو البيانات المتبادلة بين إنفانتينو والشركات التي كانت معنية بشراء حصص المسابقات الدولية حتى يتم إجراء تحقيق فيها، يبدو أن رئيس الفيفا دخل النفق المظلم.

ومنذ أن تولى المنصب خلفا لبلاتر في عام 2016، أعيد انتخاب السويسري مرتين بالتزكية، وبدا أنه يسيطر على المنظمة لكن انتخابه للفترة من 2027 إلى 2031 بات محل شك.

وهدد الاتحاد الأوروبي باتخاذ إجراءات قانونية حال إتلاف أي أدلة محتملة في الاقتراح السري لإنفانتينو مع المستثمرين ومن بينهم شركة جوشوا كوشنر في نيويورك.

وأكد محامو«يويفا» أنهم يدرسون بجدية اتخاذ إجراءات قانونية أو اللجوء للقضاء أو تقديم شكاوى إدارية أو كل هذه الإجراءات بشأن مقترح إنفانتينو وخطته الاستثمارية، وطالب 18 مسؤولا تنفيذيا في الفيفا بالاحتفاظ بالبيانات والوثائق والرسائل الإلكترونية كأدلة محتملة.

لقد تعرضت سلطة إنفانتينو لضربة قوية، بسبب شعوره بأنه لا يمكن الإطاحة به، بعدما فاز برئاسه الفيفا لدورتين من دون منافس في عامي 2019 و2023، وأمام تغير المعادلة هذه المرة فقد يرى العالم رئيسا جديدا في الانتخابات المقررة مارس المقبل.

وينظر الى السلوفيني ألكسندر تشيفيرين رئيس الاتحاد الأوروبي للعبة (يويفا) على انه الشخص الأجدر لقيادة المنظمة العالمية حيث يتمتع بمصداقية كبيرة من دول القارة العجوز.

ولا تبدو العلاقات جيدة بين تشيفيرين وإنفانتينو من زمن طويل، بسبب تداخل المنافسات الاوروبية والدولية، لكن السلوفيني عبر عن خلافه بوضوح عندما قاطع نهائي كأس العالم احتجاجًا على قرار الفيفا بإلغاء إيقاف مهاجم الولايات المتحدة الأمريكية فولارين بالوجون بعد تدخل من ترامب.

ولم يكن ذلك هو الأمر الوحيد فقد سبق ليويفا الاعتراض على سياسة الفيفا بشأن التسعير التلقائي لتذاكر المباريات وفترات الراحة لشرب الماء خلال كأس العالم، لكن الخلاف الأكبر كان يتعلق بمونديال الأندية المُوسّع الذي كان يراه الإتحاد الأوروبي مهددا مباشرًا لدوري أبطال أوروبا.

في السابق، كان اليويفا هو المنظمة الوحيدة التي تُدير بطولة دولية للأندية تضم أفضل اللاعبين، ويشاهدها مليارات الأشخاص حول العالم، وتُدرّ أرباحًا طائلة. لكن في الصيف الماضي، سيطر الفيفا على هذا المجال بإطلاق مونديال الأندية الموسع بمشاركة 32 فريقا يمثلون نخبة القارات المختلفه.

ومع قرب نهاية ولايته كرئيس ليويفا، ولأنه لن يترشح مرة أخرى في عام 2027، ربما يجد تشيفيرين ان هذا هو التوقيت المناسب للمنافسه على رئاسة الفيفا. وان استضافة إسبانيا والبرتغال إلى جانب المغرب لكأس العالم القادمة عام 2030، فرصتة للحصول على دعم الأوروبيين للإطاحة بإنفانتينو. ■

* صحافي وناقد رياضي

مروان البرغوتي

ماجده الرومي

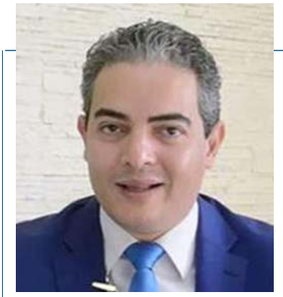
نقيب الاعلاميين طارق سعده

اعتداء جديد على مروان البرغوتي

■ عبر منشور اصدرته على صفحتها الشخصيه، المحاميه فدوى البرغوتي (هي زوجة القيادي الأسير مروان البرغوتي) قالت فيه ان احد السجانين الأسرائيليين قد قام باطلاق رصاصه مطاطيه، على ساقه في سجن (جانوت) مما نتج عنها اصابة مؤلمه، صاحبها نزيف ،ومع ذلك لم يتم اسعافه، وذلك في حلقة جديدة من الاعتداءات المتواصله عليه.

من جانبه، قال نجله (عرب البرغوثي) إن الحادثة وقعت في سجن (جانوت) بصحراء النقب في جنوب إسرائيل،مشيرا إلى أن والده لم يتلقَّ العلاج من الأصابه ،وأوضح أن العائلة علمت بالحادثة عبر محامي والده (أفيغدور فيلدمان)، وهو محام إسرائيلي بارز في مجال الحقوق المدنية. وقال فيلدمان في رسالة أرسلها إلى مصلحة السجون الإسرائيلية (اشتكى موكلي من أنه أُصيب بطلقة في ساقه) عندما تحدثنا في زيارتي الأخيرة له.

من جهتها زعمت مصلحة السجون الإسرائيلية أن الحديث حول إصابة البرغوثي (كاذب ولا أساس له من الصحة، وإن طواقمها تعمل وفقا للقانون). يذكر ان مروان البرغوثي (67 عاماً) يتمتع بشعبية واسعة في استطلاعات الرأي الفلسطينية، ويعده كثير من الفلسطينيين رمزاً للنضال الوطني، فيما يقبع في السجون الإسرائيلية منذ أكثر من عقدين. ويصفه أنصاره بـ(مانديلا الفلسطيني)، بينما تقول إسرائيل إنه يقضي خمس عقوبات بالسجن المؤبد بعد إدانته على خلفية هجمات وقعت خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية. ودعت جامعة الدول العربية في بيان أصدرته إلى تشكيل لجنة تحقيق دولية في (الاعتداءات المتكررة) على مروان البرغوثي، و(تقديم الجناة للمحاكمة الدوليه) يذكر ان البرغوثي رهن السجن منذ عام 2002

ماجدة الرومي تتألق في مهرجان جرش

■ تتطلع جماهير المطربه اللبنانيه الكبيره (ماجده الرومي) الى حضور حفلها المرتقب في العاصمه اللبنانيه (بيروت).كانت المطربه الكبيره قد قامت باحياء أولى الحفلات الغنائية على المسرح الجنوبي بمدينة جرش الأثرية في الأردن، ضمن برنامج الدورة الأربعين لمهرجان جرش للثقافة والفنون وسط حضور جماهيري كبير، وقامت بمخاطبة جمهورها قائلة (يسعدني ويسعد مجموعة الموسيقيين الكبار بقيادة المايسترو لبنان بعلبكي أن نحييكم بكل الحب.. نتمنى للأردن دوام العز والمجد، ونتمنى لشعبه الحبيب دوام الازدهار والاستقرار، كنت وما راح أنسى أن أوصل لكم من أهلنا وناسنا في لبنان الحلو سلامات وتحيات،إن الحفل الجاي بإذن الرب راح يكون ببيروت الأبية). ثم أضافت (عم غني الليلة ولبنان تاج على راسي، والأردن صلاة في قلبي، والله يسلم الجميع)، في إشارة إلى ما يتعرّض له بلدها من هجمات مستمرة منذ شهر مارس الماضي عقب اندلاع الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران. وقدّمت على مدى نحو ساعة ونصف الساعة باقة من أغانيها الرومانسية. استمر مهرجان جرش للثقافة والفنون حتى الثاني من أغسطس بمشاركة مجموعة من الفنانين العرب منهم المصري تامر حسني، واللبنانيه ببير نعمة، والتونسية درصاف الحمداني، والسعودي عبادي الجوهر.

نقيب الإعلاميين المصري يحيل الإعلامي إيهاب قاسم للتحقيق بعد استضافة صحفي إسرائيلي

■ قررت نقابة الإعلاميين المصريه ايقاف (الإعلامي إيهاب قاسم) مذيع قناة (القاهرة والناس) على خلفية استضافته صحفي إسرائيلي يدعى جدعون ليفي. وقال طارق سعدة نقيب الإعلاميين في تصريح منشور،إنه تم اتخاذ قرار بإيقاف هذا المذيع ومنعه من الظهور في أي وسيلة إعلامية بسبب استضافته لصحفي إسرائيلي يدعى جدعون ليفي، خاصة أنه قابل حديث الصحفي الإسرائيلي عن سيناء دون أي تعليق او استنكار.

عزل كريم خان بقرار جمعية الدول الاعضاء في المحكمه الجنائيه الدولية

■ قررت جمعية الدول الاعضاء في المحكمة الجنائيه الدوليه، اقالة المدعي العام (كريم خان) من منصبه خلال جلسة التصويت التي تمت مؤخرا في الأمم المتحده بنيويورك.

اعلنت القرار رئيسة الجمعيه (بايفي كاوكورنتا. وأفادت مصادر دبلوماسية بأن 82 من أصل 125 دولة عضوا في المحكمة أيدت، خلال اقتراع سري عُقد في اجتماع خاص مغلق بمقر الأمم المتحدة في نيويورك، إنهاء ولاية خان. ويأتي القرار بعد أن خلصت هيئة الرقابة التابعة للمحكمة، إلى أن خان أقام علاقة جنسية غير لائقة مع محامية مبتدئة تعمل في المحكمة، وأوصت بفصله من منصبه، وهو الاستنتاج الذي أيدته غالبية الدول الأعضاء في التصويت الأخير.

وينفي خان، البالغ من العمر 56 عاما، ارتكاب أي مخالفة، وأعلن محامي خان أن موكله سيعترض على قرار إعفائه من مهامه الذي اتخذته الدول الأعضاء في المحكمة على خلفية اتهامات ينفيها بالاعتداء الجنسي على موظفة في فريقه.

نتائج مدرسة ايلينغ العربية للعام 2025-2026

■ اعلنت مدرسة ايلينغ العربية نتائجها لهذا العام، ونرى المستوى المرتفع للحصيلة النهائيه للمجهود الرائع الذي يتم بذله والذي يعد فخراً للمستوى العام للنتائج المدرسيه بشكل عام.

خالص التهاني للطلاب المجدين وللأساتذه المرموقين وللأهالي المتلهفين لسماع تلك الأخبار السعيده التي حملت لهم تلك البشرى بالنجاح المؤزر والتفوق الحميد.

فادي المجدلاوي	A*9	رانيا الراعي	A 7
ليث بن ختيث	A*8	لين جمجوم	A 7
يوسف قلال	A*8	صوفيا بوزيد كاين	A 7
ياسين قلال	A*8	أدهم حامد	B 6
		إنتصار أحمد	B 6

«لامرتين» و «الرصافي» والمأزق العربي

محمد علي فرحات

صديقي المقيم عند اسوار حطمتها جنازير الدبابات، يزداد بعده عن مجتمعه واحيانًا عن نفسه، فلا نستطيع وصولًا اليه، هو الذي تلقى أولى الضربات الإسرائيلية عند الزاوية الجنوبية من لبنان التي تطل على ما كان فلسطين وما كان سورية القريبة. صديقي هذا في بعده المزدوج: فكان الاستقرار الذي يصعب الوصول اليه، والزمان الغامض في الحدود الفاصلة بين الأحياء والأموات.

والحال أن الجيش الإسرائيلي احتل، حتى كتابة هذه المقالة، حوالى نصف جَنُوب لبنان مهجرًا السكان ومهدمًا البيوت ومقتلعًا الشجر. تلك المنطقة من لبنان سبق ان شهدت منذ سبعينات القرن الماضي موجات من الاحتلال الإسرائيلي، لكن الضربة هذه المرة مختلفة. أنها احتلال يطرد البشر ويهدم مساكنهم على الطريقة الغزاوية، بذلك يشهد العالم تضامنًا لبنانيًا غزاويًا معجونًا بالدم والغبار.

المقابر في القرى اللبنانية المهدمة تتساوى في الخراب مع البيوت، أي ان مساكن الأحياء ومأوي الأموات تتجلى في الحُطام المتشابه فلا تصلح لزرع ولا لايواء. هنا لا أذكر إلاّ صدى رسائل على حدود الشعر بعثت بها إلى صديقي قبل موته وبعده:

حين تشعل القبائل حروبها باحثة عن الغزو في الكتب العقائدية، تتأبط شرك لتصرعك رصاصة من هنا وثانية من هناك. أيها الصوت الطالع من الذاكرة كضوء الشموع في سطوح القذائف. اللصوص يلبسون مسوح الأنبياء ودمك يبحث عن أرض جديدة.

وأتراجع من النَّظْرَة الشعرية لأستعين بنظرة مثقف إلى حال وطن في تناقضات وجوده، انه الشاعر الفرنسي الفونس دو لامرتين الذي زار لبنان عام 1833، ومن الانطباعات التي كتبها:" انه بانتصار إبراهيم باشا المصري في حمص على الجيش التركي المجتمع هناك، فتشكل وضع يؤمن نجاة لمسيحيي لبنان حلفاء المصريين. ولكن، إذا بقي إبراهيم باشا سيدًا على سورية فلن ينظر طويلًا بعين الرضا إلى امارة لبنانية مستقلة عن سلطته، وسيحاول ان يهدمها إما بالسياسة وإما بإنهاء حكم الأمراء الشهابيين الى الأبد.

ولكن، لم يبق إبراهيم باشا سيدًا على بلاد الشام واضطر الى الانسحاب الى بلده مصر بعد ضغط القوى الأوروبية التي حصرت طموحات محمد علي باشا وابنه إبراهيم في حكم مصر وحدها باعتراف السلطنة العثمانية والقوى الأوروبية.

وبالعودة الى جبل لبنان فقد كان مزدحمًا بالسكان وغنيًا أكثر من سائر مناطق سورية، وتميز أهله بالشجاعة والذكاء والقدرة على التنظيم، وكانت بلداتهم وقراهم وعرة يصعب سلوكها، لكن العقبة أمام تشكيل قوة وحيدة في تلك البلاد. كانت اختلاف الدين بين مكونات السكان الرئيسية الثلاثة: الموارنة والدروز والمتاولة (تعبير تاريخي يشير الى المسلمين الشيعة اللبنانيين)، وكان هؤلاء يعيشون بأعداد متساوية في تلك الجبال. ان اقوى رابطة قومية عندهم هي رابطة الأفكار الدينية، وهذا ما كانت عليه (وربما بقي تأثيرها طاغيًا بعد زيارة لا مرتين وحتى في أيامنا الحاضرة). ويرى لا مرتين ان الفكر الديني عندهم يلخص كل الأفكار الأخرى: الاخلاق والقوانين والوطن. كل شيء بالنسبة الى هذا الشعب موجود في دينه، وهذا في رأيه يمنع الشرق من تكوين امة واحدة وكبيرة، وهذا ما جعل الإمبراطورية التركية (المقصود العثمانية) تنهار.

صدمة الفرنسي لامرتين في المجتمع اللبناني المنقسم على نفسه نجدها، وإن من زاوية مختلفة، لدى الشاعر والمفكر العراقي معروف الرصافي. لقد كان صاحب رؤية خاصة في الحاضنة الأولى للدين الإسلامي وفي تكوين العراق، وقد نشرت أفكاره في هذا الشأن بعد وفاته في كتابيه «الرسالة العراقية» و«الرسالة المحمدية»، كان الرصافي ثابت الاعتقاد بالسلطنة العثمانية، وقد صدم بانهيارها وتفكك مناطقها، خصوصًا العربية، الى كيانات متمايزة تخضع لانتداب فرنسا (واحتلالها في بعض البلدان) وبريطانيا وإيطاليا واسبانيا. وتبنى الرصافي مواقف تنسجم مع الرأي السياسي السائد لدى المفكرين والكتاب في عصر النهضة الذين واجهوا الحكم العثماني ودعوا الى استقلال العرب.

الملفت (والطريف أيضا) ان الرصافي الذي تخلى عن عثمانيته ليتبنى فكرة العروبة الجامعة، واجه صدمة فكرية (وشخصية أيضا) في ارتداد معظم المفكرين النهضويين الذين تأثر بهم أو زاملهم، اذ خلع هؤلاء ثوب العروبة ليتبنوا كيانات صغيرة تعتمد مراجع تاريخية تسبق العروبة والإسلام أو مراجع محلية ترى تمايز فئة من العرب عن فئة أخرى، وأكثر الصدمات التي تلقاها الرصافي كانت من مثقفين لبنانيين، يذكر منهم شكري غانم الذي قال في احد مقالاته المنشورة: «لسنا عربًا وإن تكلمنا بالعربية وانما نحن فينيقيون»، فردّ الرصافي على غانم وغيره من المتراجعين عن دعوة العروبة، في قصيدة طويلة، ومما جاء فيها:

عجبت لقوم اصبحوا ينكرونـنـا ... وقد عرفونا في الزمان الذي مرّ
هـم أسـمـعـونـا نـعـرة عـربـيـة ... فدوّى صداها في المسامع مضطرا
فكم من خطيب قام فيها مثرثراً ... فطرَّى لنا من يابس القول ما طرّى
وكم شاعر قد أرخص الشعر دونها ... وكم قلم فوق الطروس بها صرّ
وكنا أجبـنـاهـم إلـيـهـا إجـابـة ... بها قد تركنا جانبَ الدين مزوراً
رجاء اتحاد في طريـق سـيـاسـة ... تعمُّ مراميـهـا بـنـي يـعـربٍ طُرّاً
لعمري لقد ساء الكرام ابن غانم ... بباريس إذ قد قال ما يُخجل الحرّا
نفى عن منامیه العروبة وادعى ... جُزافًا وخلّى منهم القوم وابترّا
وهل حسِبوا أن العروبة في الورى ... من العرّ حتى أنكروا ذلك العرّا
فما أحد منهم وفى بعهوده ... ولا أحد منهم بما قال قد برّا
وكان غروراً كل ما حالفوا به ... وشر الحليفين الذي خان أو غرّا

ان كلام لا مرتين عن لبنان واللبنانيين وكلام معروف الرصافي عن تناقضات العقل العربي في النظر الى ثقافته الجامعة والى المصالح العليا لأبناء منطقته، إذا لم نقل أمته. هذا الكلام يميل الى واقع المشرق حيث يشكو العراق من صراع قوميات أو ثقافات أو ديانات أو طوائف من ديانة واحدة، وتشكو سورية من صدمة انهيار حكمها الدكتاتوري العسكري والحزبي الذي شكل زلزلاً بدل أن يشكل يقظة تحتاجها سورية أكثر من أي وقت مضى، وحيث يشكل لبنان نموذجًا للتنوع على قاعدة الاعتراف، ويكاد هذا النموذج يتحطم من وطأة الصراع العربي الإسرائيلي وتدخل دول إقليمية ودولية في القرارات السيادية للدولة اللبنانية. ■

أنا آسف إنقصت بالخطاء... خذها معك Take away!!

بريشة: حسين حمّود

أقوال

■ الدليل على انك بحاجة الى نصيحة هو انك تنصح الاخرين.

برنارد شو

■ رجل الدولة الكثير الكلام، قليل العمل.

كوليدج

■ اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك، فان زوال الكرامة بزوالهما. ولكن ليعجبك ان اكرموك لدين او أدب.

ابن المقفع

■ عجبت لمن يشتري المماليك بماله، كيف لا يشتري الاحرار بمعروفة.

المهلب

■ لقد استفدت من اعدائي اكثر مما انتفعت باصدقائي، لان اعدائي كانوا يعيرونني ويكشفون لي عيوبي، وبذلك انتبه الى الخطأ فاستدركه، اما اصدقائي فانهم يزينون لي الخطأ ويشجعونني عليه. فاللهم احفظني من اصدقائي.

الاسكندر الكبير

■ لك من مالك ما انفقت، ومن ثيابك ما ابليت.

■ وجه تعرفه، خير من وجه تتعرف اليه.

أمثال عربية

■ من لم يملك عقله، لم يملك غضبه.

هوميروس

اختبر معلوماتك

اختر الجواب الصحيح:

١ـ ومن العداوة ما ينالك نفعه
ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
هذا البيت هو للشاعر:
ابو نواس ـ المتنبي ـ ام لابي تمام؟

٢ـ ايهما اكبر مساحة؟ لبنان ام دولة قطر؟

٣ـ هو رئيس وزراء بريطانيا، اعتزل العمل السياسي سنة ١٩٥٧ بعد اخفاق العدوان الثلاثي على مصر. انه:
وينستون تشرشل ام انطوني ايدن؟

٤ـ ما هي اكبر صحراء في العالم؟
الربع الخالي في المملكة العربية السعودية؟ ام الصحراء الكبرى في شمالي افريقيا؟

٥ـ «السمك لا يسمع ولكنه يشم ويرى.»
صح؟ ام خطأ؟

٦ـ كم بيضة دجاج يجب ان نضع في كفة الميزان لتتساوى مع بيضة نعامة موضوعة في الكفة الثانية؟
٦ـ ١٢ ـ ام ١٨ بيضة؟

٧ـ ما هو الاسم الدخيل بين هذه الاسماء؟
ابن المقفع ـ ابن عبد ربه ـ ابن بطوطة ـ ابن الاثير؟

كلمة السر

كلمة السر: ٩ احرف: صاحب هذه الكلمات

ـ جميع هذه الكلمات مدونة داخل المربعات.
ـ لا يشطب الحرف الا مرة واحد فقط.
ـ الحروف غير المشطوبة تؤلف كلمة السر.

علّمني حبك سيدتي أسوأ عادات
علمني افتح فنجاني
في الليلة، آلاف المرات
وأجرب طب العطارين
وأطرق باب العرّافات
علمني أخرج من بيتي
لأمشط ارصفة الطرقات
واطارد وجهك.. في الامطار
وفي اضواء السيارات
علمني حبك كيف الحب
يغيّر خارطة الازمان
علمني.. اني حين أحبّ
تكف الارض عن الدوران
علمني حبك اشياء
ما كانت ابداً في الحسبان....

ف	ا	ا	س	و	أ	ع	ا	د	ا	ت	س	و	ع	و
و	ي	ل	ل	ف	ن	ج	ا	ن	ي	ن	ي	أ	ل	ا	ع
ا	ف	ا	س	ط	ا	ش	ي	ا	ء	د	ط	م	ط	ل	ا
م	ل	ي	ل	ي	ر	ب	ا	ب	ا	ت	ا	ن	ر	م	ر	أ
خ	ن	ا	ا	ا	ا	ق	ز	ي	ر	ي	ق	ن	ص	ف	ع
و	ا	ب	ز	ض	م	ر	ا	د	ي	ا	ي	ف	ت	ل	و
ا	ج	ر	ي	م	و	ط	ا	ت	غ	ب	ة	ح	م	ا	أ
ل	ا	ه	ط	ت	ا	ا	ا	ت	ي	د	ر	ن	ف	ن	ج
ع	م	ع	ك	ة	ي	ن	ء	ر	ر	ا	ي	ل	ي	ي	ر
ر	ا	ل	ف	ي	ا	ل	ح	س	ب	ا	ن	أ	ا	ح	ب
ا	ك	م	ق	ع	ل	م	ن	ي	ح	ب	ك	م	ل	ي	ط
ف	ا	ن	ع	ن	ا	ل	د	و	ر	ا	ن	ش	ل	ن	ب
ا	ن	ي	ا	ل	ع	ط	ا	ر	ي	ن	ب	ط	ي	أ	ح
ت	ت	ا	آ	ل	ف	ا	ل	م	ر	ا	ت	ل	ح	ب
ا	ل	ا	ر	ض	ع	ل	م	ن	ي	ح	ب	ك	ة	ب	ك
ت	ك	ف	ن	ك	ي	ف	ا	ل	ح	ب	ي	أ	خ	ر	ج

نوادر

● لسانها كالمبرد ●

■ روى احدهم الحادثة التالية:
عمتي لا تطيق ابدا الوقوف في طابور، والناس الذين يحاولون الاندساس امامها يثيرون نقمتها.
وذات يوم كادت تصل الى امين صندوق احد المتاجر حين تخطاها شاب وسألها:
«أيزعجك اذا ما تقدمتك؟ ليس معي سوى هذه العلبة لطعام الكلاب».
فأجابته بصوت يشبه الزئير:
«يا مسكين...! اذا كنت جائعا الى هذا الحد فتقدم حالا..!»

● شهادة مجرّب ●

■ روي ان احد رجال الاعمال الفرنسيين، ترك مبلغا يساوي مائة وعشرين الف جنيه للمرأة التي رفضت عرضه الزواج بها.
وجاء في وصيته: «اني اترك لها هذا المبلغ اعترافا بجميلها، فبسببها تهيأ لي ان اعيش حياة عزوبية هنيئة، منطلقة، خالية من المشاكل، مما سهّل لي النجاح في الحياة..!»

● اثنتان بواحدة ●

■ طلب الطبيب من احد مرضاه ان يشتري محلولا للتخدير من عيار اربعة في المئة لاجراء جراحة بسيطة. وعاد المريض بزجاجتين في كل منهما محلول من عيار اثنين في المئة تعادلان في مفعولهما زجاجة واحدة من عيار اربعة في المئة.
واحتدم الطبيب غيظاً وطلب من المريض ان يعيد الزجاجتين الى الصيدلي ويسأله: «وهل يتزوج ابنتي عشر سنين اذا لم يجد عروسا في العشرين؟!»

● من غرائب المشاهير ●

■ سجنت الامبراطورة كاترين الروسية حلاقها الخاص ثلاثة اعوام حتى لا يفشي لأحد ان الشيب تسلل الى رأسها!

■ كان شكسبير يكره القطط كراهية شديدة!

■ كان فردريك الاكبر ملك بروسيا يكره الماء ولم يكن يغتسل الا نادراً!

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايه والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS
0207 373 4445
www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

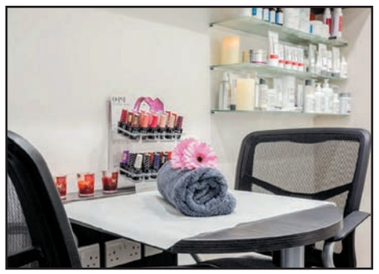

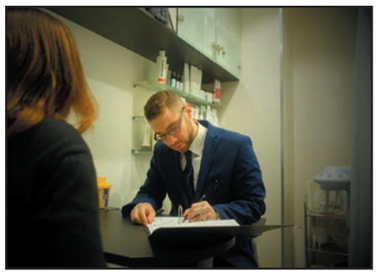

يكتبها
أمين الغفاري*

لماذا قال احمد بهاء الدين سياسات الخمسينات والستينات لم تعد تصلح الآن؟

احمد بهاء الدين ليس مجرد كاتب سياسي، بل كان مفكرا عظيم الشأن والمقام، وانجازاته في ميدان الفكر والتحليل السياسي والاجتماعي متعدده، فهو اول من طالب بقيام الدولة الفلسطينيه عام 1967 وله كتاب في هذا الشأن وحواراته مع مجموعة من المفكرين واسم الكتاب (الدوله الفلسطينيه).

ويذكر له في بداياته الصحفيه حيث كان كاتبا ناشئا في مجلة روزاليوسف، وقرا مقالا في المجلة بقلم احسان عبدالقدوس رئيس تحرير المجله وكان المقال بعنوان (مصر اولا) فأمسك بالقلم وكتب ردا على رئيس التحرير تحت عنوان (بل كلنا اولا) فقد كان احمد بهاء الدين قوميا وعروبيا حتى النخاع وقال في رده ان ما يسمى بالشعوب العربيه، هو في حقيقة الامر شعبٌ واحدٌ اختلطت دماؤه بتراب الارض، وشكلت منها طبقات عبر التاريخ لاتستطيع ان تفاضل بينها، ولا تفصل ايا منها، ولذلك لا يستقيم الأمر بالقول ان بلدا بعينه تنفصل مصلحته عن مصالح الآخرين. ونشر رئيس التحرير المستنير، رد المحرر الناشئ عليه. هكذا كان احمد بهاء الدين في بداياته، قناعاته هي سيدة كتاباته، وظلت كتاباته على ذلك النحو طوال مسيرته الصحفيه المضيئة والمشعه، وتلك الصفة كان يدركها عبدالناصر ولذلك رفض المرة تلو الأخرى، ان تتعرض له اجهزة الأمن بأي شكل من الأشكال ،وخاصة حين طلبت تلك الأجهزة اعتقاله، بعد ان نشر بيان مجلس ادارة نقابة الصحفيين في اعقاب نكسة الخامس من يونية عام 1967 وكان به نقد حادٌ لبعض الأوضاع، وقال عبدالناصر ان بهاء ليست له انتماءات مشبوهه، وليس مرآة لأخرين ،ولكنه يكتب رأيه ،وانا لا استطيع ان اعتقل احدا لمجرد انه يختلف معي في الرأي.حدث ان نشرت جريدة الاخبار القاهرية ذات صباح حديثا اجراه الكاتب الصحفي الراحل (جمال بدوي) قبل ان يصبح رئيسا لتحرير جريدة (الوفد) مع الاستاذ احمد بهاء الدين، في الثمانينات من القرن الماضي، وتقول عناوين الحديث (احمد بهاء الدين لجريدة الاخبار: سياسات الخمسينات والستينات لم تعد تصلح الأن).

وفي عنوان آخر (لم التق عبدالناصر، ولا مرة واحده). فوجئت بهذا الحديث ،ولذلك هرعت اليه متسائلا اخبرني يا استاذ بهاء ،هل لم تلتق بعبدالناصر ابدا، قال التقيت به كثيرا في مناسبات عامه، ولكنى لم التق به منفردين. عدت اسأله (هل قضايا الحريه والعدل الاجتماعي والقوميه العربيه لم تعد تصلح الآن) رد قائلا (لقد قمت في سؤالك بخلط الاهداف مع السياسات، فما زالت قضية الحريه والعدل الاجتماعي والتنسيق والتكامل وصولا للوحدة العربيه، صالحه كأهداف لا بد ان نعمل على تحقيقها، لكنى كنت افصد (سياسات الخمسينات والستينات) التي تؤدي الى تلك الاهداف، فهي لم تعد صالحه الأن .سألت ولماذا لم تعد صالحه ؟ قال اوجه لك سؤالا (من قام باجراء تلك السياسات في الخمسينات والستينات؟) قلت (جمال عبدالناصر) عاد يسألني (هل كان عبدالناصر قيادة عاديه ..؟) أجبت (بالتأكيد لم يكن قياده عاديه) رد قائلا (لذلك لم تعد تلك السياسات صالحه .. فالسياسات التي تقوم باجرائها قيادات غير عاديه ..لا تصلح يقينا ان تقوم بها قيادات عاديه، واستطرد قائلا انها تشبه حمل الأثقال، (هناك نجوم للأوزان الخفيفه ،وهناك ابطال للأوزان الثقيله)، وهكذا في علوم السياسه. ■

*كاتب وصحافي مصري

Back cover (Hammamat) 17/7/04 10:16 Page 1

The Scent of Jasmine and Mediterranean Mystique

Welcome to Le Royal Hammamet, just steps from the Marina and seaside adventure. The hotel boasts 266 rooms with private balconies, Satellite TV, Wifi internet, 24-hour room service and all the facilities of a five-star hotel. Moorish architecture, sandy beaches and manicured gardens add to the propertys' charm. Five restaurants and bars offer the best of food and beverage, with both local and international flavours. The property features four swimming pools, two tennis courts, water-sports and a deluxe Spa center. The Cleopatra Convention Centre is the ideal venue for events.

Luxembourg | Luxembourg

Amman | Jordan

Beirut | Lebanon

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com